[١]

إيضاح المحجة
في
الرد على صاحب طنجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَقدِيمٌ بقلَمِ مُفتِي البِلادِ السُّعودِيَّة

الحَمدُ لله، وَحدَهُ والصَّلاةُ والسَّلام عَلَىٰ مَن لا نَبيَّ بَعدَه:

وبعدُ: فقَدِ اطَّلعتُ عَلَىٰ هَذَا المؤلَّف لفَضيلَةِ الشَّيخِ حِمُودِ بنِ عبدِ اللهِ التُّويجِرِيِّ المَوسُومِ بـ«**إيضاحِ المَحجَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ صاحِبِ طَنجَةَ**» كَشفًا للشُّبهاتِ للرُّدودِ عَلَيهِ، وإِبطالًا لتُرَّهاتِهِ، فوَجدتُه ردًّا كافيًا شافيًا، فجَزَىٰ الله الشَّيخَ حِمُودًا خيرًا، وزَادَهُ من التَّصدِي لنُصرَةِ الدِّين وردِّ شُبهاتِ المُبطِلِين.

قالَهُ الفَقِير إِلَىٰ عَفوِ الله/ **مُحَمَّدُ بنُ إِبراهِيمَ بن عَبدِ اللَّطيفِ.**

وصَلَّىٰ الله عَلَىٰ نبيِّنا مُحَمَّد وآلِهِ وصَحبِه وسلَّم.

١٤/ ٥/ ١٣٨٥

الختمُ

مُحَمَّدُ بنُ إِبراهِيمَ آل الشَّيخِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ لله ربِّ العالَمِين، والعاقِبَةُ للمُتَّقِين، ولا عُدوانَ إلَّا علىٰ الظَّالِمِين.

وأَشهدُ أن لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ له المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ. وأَشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه الصَّادِقُ الأَمِينُ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلَىٰ آلِهِ وأَصحَابِه ومَن تَبِعَهُم بِإِحسانٍ إِلَىٰ يومِ الدِّينِ وسلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا.

❑ **أمَّا بَعدُ:**

فقَد وَقفْتُ عَلَىٰ مؤلَّفٍ لأَحمَد بنِ مُحَمَّد بنِ الصِّدِّيق الغُمارِيِّ الحَسَنِي[1] من أَهالِي طَنجَةَ؛ البَلدَةِ المَعرُوفَةِ فِي أَقصَىٰ المَغربِ، سمَّاهُ «مُطابَقَةُ الاختِرَاعَاتِ العَصرِيَّةِ لِمَا أخبرَ به سيِّدُ البَرِيَّةِ»؛ فرأَيتُ فِيهِ أخطاءً كثيرةً من تَأويلِ الآياتِ والأَحادِيثِ عَلَىٰ غيرِ تَأويلِهَا، ومِن وَقِيعَةٍ فِي أَنصارِ الدِّين، ومَدحٍ وإِطراءٍ لأَعداءِ الدِّينِ... إِلَىٰ غَيرِ ذَلِك منَ الأَخطاءِ الَّتِي قد شوَّه بِهَا كِتابَهُ.

وقد نبَّهتُ عَلَىٰ ما لا يَسَعُ السُّكوتُ عَنهُ من تِلكَ الأَخطاءِ خَشيَةَ أَنْ يغتَرَّ بِها مَن قَلَّ نَصِيبهُ مِنَ العِلمِ النَّافِعِ.

---

(١) أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد، أبو الفيض الغماري الحسني الأزهري: متفقه شافعي مغربي، من نزلاء طنجة، تعلم في الأزهر، واستقر وتوفي بالقاهرة، عُرف بابن الصِّديق كأبيه. توفي سنة (١٣٨٠هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٥٣).
وكان أشعريًّا صوفيًّا مائلًا إلىٰ التشيع، وله طوام كثيرة، وانظر في بيان مخالفاته كتاب: «تنبيه القاري إلىٰ فضائح أحمد بن الصديق الغماري» لمصطفىٰ اليوسفي.

واللهُ المَسئولُ أن يُوَفِّقَنِي وإِخوانِيَ المُسلِمين لِمَا يُحِبُّ ويَرضَىٰ من الأَقوالِ والأَعمالِ، وأن يُرِيَنا الحَقَّ حقًّا ويُرزَقَنا اتِّباعَهُ، ويُرِيَنا البَاطِلَ بَاطِلًا ويَرزُقَنا اجتِنابَهُ، وَلَا يَجْعَلَه مُلتَبِسًا عَلينَا فنَضِلَّ.

وما أُشِير إِلَيهِ من صَفَحاتِ الكتابِ فالمُرَاد بذَلِك الطَّبعةُ الثَّانِية سنةَ (١٣٧٩هـ) مطبعة مُحَمَّد عاطِف.

* * *

فصل

قَال المُؤلِّفُ فِي خُطبَةِ الكِتابِ ما نَصُّه:

«**أمَّا بَعدُ:** فإنَّ عِلمَ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالغَيبِ وإطْلاعِ الله تَعالَىٰ إيَّاه عَلَىٰ ما كان ومَا يَكُون إِلَىٰ قِيامِ السَّاعَةِ وإِلىٰ أن يَصِيرَ الفَرِيقَانِ إِلَىٰ مَنازِلِهم من الجَنَّة أو النَّار، بل وما بَعدَ ذَلِك إِلَىٰ مَا لا نِهايَةَ له منَ الأَزمانِ، معلومٌ ضَرُورةً لأَهلِ الإِيمانِ، مَقطوعٌ به عِندَ أَهلِ المَعرِفَة والإِيقَانِ؛ لا يَختَلِفُ فِي ذَلِك مِنهُم اثنَانِ وَلا يَشُكُّ فِيهِ فَاضِلَانِ».

والجَوابُ أنْ يُقالَ:

أما إِطلاعُ الله تَعالَىٰ لرَسُولِه مُحَمَّد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **عَلَىٰ ما كانَ وما يَكُون إِلَىٰ قِيامِ السَّاعَةِ وإِلَىٰ أن يَصِيرَ الفَرِيقَانِ إِلَىٰ مَنازِلِهم من الجَنَّة أو النَّار:** فهَذَا صَحيحٌ، وقَد جَاءَ فِي ذَلِك عِدَّةُ أَحادِيثَ ذَكَر المُصنِّف بَعضَها.

مِنهَا: حَدِيث عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَال:** «قامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَقامًا فَأخبَرَنا عَن بَدءِ الخَلقِ حتَّىٰ دَخَل أَهلُ الجَنَّة مَنازِلَهم وأَهلُ النَّار مَنازِلَهُم؛ حَفِظَ ذَلِك مَن حَفِظَه ونَسِيَه مَن نَسِيَه». رَواهُ البُخاريُّ تَعلِيقًا مَجزُومًا بِهِ وَوَصلَهُ الطَّبرانِيُّ وأَبُو نُعَيمٍ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٠٦) معلقًا، ووصله الحافظ في «التغليق» (٣/ ٤٨٧- ٤٨٨) من حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الحافظ في «الأمالي المطلقة» (ص١٧٥)، والألباني في «المشكاة» (٥٦٩٩).

ومِنهَا: حَدِيث حُذَيفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَقَد خطَبنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطبَةً ما تَرَكَ فِيهَا شَيئًا إِلَىٰ قِيامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَره؛ عَلِمَه مَن عَلِمَه وَجَهِلَه مَن جَهِلَه». رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ والشَّيخانِ وأبو دَاوُد(١).

ومِنهَا: حَدِيثُ حُذَيفَة -أيضًا- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أَخبَرَنِي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كائِنٌ إِلَىٰ أن تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنهُ شيءٌ إِلَّا قد سَأَلتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَم أَسأَله مَا يُخرِجُ أَهلَ المَدِينَة مِن المَدِينَة». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ وأبو دَاوُد الطَّيالِسِيُّ ومُسلِمٌ(٢).

ومِنهَا: حَدِيثُ أَبِي زَيدٍ -وَهُو عَمْرُو بنُ أخطَبَ الأَنصارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَال: «صلَّىٰ بِنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفَجرَ وصَعِد المِنبَرَ فَخَطَبَنا حتَّىٰ حَضَرتِ الظُّهرُ فَنَزَل فصلَّىٰ، ثُمَّ صَعِد المِنبَرَ فخطَبَنا حتَّىٰ حَضَرتِ العَصرُ ثُمَّ نَزَل فَصَلَّىٰ، ثمَّ صَعِد المِنبَرَ فخَطَبَنا حتَّىٰ غَرَبتِ الشَّمسُ؛ فأَخبَرَنا بما كانَ وبِمَا هُوَ كائِنٌ، فَأَعْلَمُنا أَحْفَظُنا». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ ومُسلِمٌ(٣).

ومِنهَا: حَدِيث أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا صَلَاة العَصرِ بنَهارٍ ثمَّ قامَ خَطِيبًا، فلَمْ يَدَعْ شَيئًا يَكُونُ إِلَىٰ قِيامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخبَرَ بِهِ؛ حَفِظَه مَن حَفِظَه ونَسِيَه مَن نَسِيَه». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ وأبو دَاوُد

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩) (٢٣٣٥٧)، والبخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١)، وأبو داود (٤٢٤٠) وغيرهم من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٦) (٢٣٣٢٩)، والطيالسي في «مسنده» (١/ ٣٤٧) (٤٣٤)، ومسلم (٢٨٩١) وغيرهم من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤١) (٢٢٩٣٩)، ومسلم (٢٨٩٢) وغيرهما من حديث أبي زيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الطَّيالِسِيُّ والتِّرمذيُّ والحاكِمُ. وقَالَ التِّرمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن»(١).

ومِنهَا: حَدِيثُ المُغِيرَة بنِ شُعبَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَال:** «قَام فِينَا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقامًا أَخبَرَنا بِمَا يَكُون فِي أُمَّتِه إِلَىٰ يَوم القِيامَةِ؛ وَعَاهُ مَن وَعَاهُ ونَسِيَه مَن نَسِيَه». رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ والطَّبرانِيُّ(٢).

ومنها: حَدِيث عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ رَفَعَ لِيَ الدُّنْيَا، فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا وإِلىٰ مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ، كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلىٰ كَفِّي هَذِهِ**». رَواهُ الطَّبرانِيُّ(٣).

وأَمَّا عِلمُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِمَا بَعدَ دُخولِ الجَنَّة والنَّار إِلَىٰ ما لا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الأَزمانِ: فهَذَا لا دَلِيلَ عَليهِ**، وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقد استَدَلَّ المُصنِّف عَلَىٰ ذَلِك بقَولِ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]؛ **ولا دَلِيلَ فِي الآيَةِ عَلَىٰ ما ذَهَبَ إِلَيهِ.**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩) (١١١٥٩)، والطيالسي في «مسنده» (٣/ ٦١٤) (٢٢٧٠)، والترمذي (٢١٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥١) (٨٥٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني: «ضعيف لكن بعض فقراته صحيح». انظر: «ضعيف الترمذي» (ص٢٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٤) (١٨٢٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٤٤١) (١٠٧٧)، وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «حديث صحيح لغيره».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ٣١٨) (١٤١١٢)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠١)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٩٥٧).

فَصلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (٦) وصَفحَة (٧) مَا نَصُّه:

«فمِن تِلكَ الأُمورِ العِظامِ الَّتِي قَال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّنا سَنراهَا: بَابُور السِّكَةِ الحَديدِ(١)، والأوطُمُبيل(٢)، والبِسْكِلِيتَّة(٣)، وما فِي مَعناهَا.

وقَد أخبَرَ بِها صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخُصُوصِها ووَرَدتِ الإِشارَةُ إِليهَا فِي القُرآنِ والأَحاديثِ النَّبوِيَّةِ.

أمَّا القُرآن: فَفِي ثَلاثِ آياتٍ -حَسبَمَا حَضرَ لَنَا-:

الآيَةُ الأُولَىٰ: قَولُه تَعالَىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤٢]؛ أي: خَلقْنا لَهُم مِمَّا يُماثِلُ الفُلكَ المَشْحُون مَا يَركَبُون فِي البَرِ، والَّذِي يُماثِل الفُلكَ المَشحُون فِي كِبَره وكَثْرَةِ حَملِه هُوَ بَابُور السِّكَّةِ الحَديدِ وسَيَّاراتِ النَّقلِ الَّتِي تَحمِل عَشَراتِ الرُّكابِ مَعَ بَضائِعِهِم وحَاجِيَّاتِهِم، وتكُون مارَّةً كَأَنَّها الأَعلَامُ طُولًا وعُلُوًّا، كَمَا وَصَف الله تَعالَىٰ به السُّفُن الجَوارِي فِي البَحرِ كالأَعلَامِ، وكَذَلِكَ بَابُور السِّكَّةِ الحَديدِ بل هُوَ أَولَىٰ بالشَّبَه والمِثلِيَّةِ للفُلكِ المَشْحُون.

أمَّا المُفسِّرون الذين فَسَّروا المِثلَ فِي الآيَةِ بالإبِل فمَعذُورُون؛ لأنَّه لم يَكُن فِي

(١) وهو ما يسمىٰ بالقطار.

(٢) نوع من السيارات.

(٣) وهي ما تعرف بالدراجة.

زَمانِهِم ما يُشبِه الفُلكَ فِي حَملِ الرُّكابِ والبَضائِعِ؛ فاضْطُرُّوا لِحَمَلِ الآيَةِ عَلَىٰ الإِبِلِ، وإِن كان حَملًا بَاطِلًا مَقطُوعًا ببُطلانِهِ؛ لأنَّ الفُلكَ المَشحُون يَحمِل العَشَراتِ مِنَ النَّاس بأَثقَالِهِم، ويَحمِلُ مع ذَلِك الكَثِيرَ مِنَ السِّلَعِ والبَضائِعِ، وهَذَا بالنِّسبَةِ لِمَا كانَ فِي زَمانِهِم، أمَّا ما حَدَث فِي زَمانِنَا فالسَّفِينَة تَحمِل الآلَافَ منَ النَّاس ومِنَ القَناطِرِ المُقنطَرَةِ من البَضائِع.

ثمَّ السُّفُنُ الَّتِي كانَت فِي زَمانِهِم -أيضًا- مع كِبَرِها وحَملِها الكَثِيرَ من الرُّكابِ والأَثقالِ كانَت تَجرِي فِي البَحرِ جَريًا حَثِيثًا بالرِّياحِ، كما قَال تَعالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وكلُّ ذَلِك مُخالِفٌ لوَصفِ الإِبِل تَمامَ المُخالَفَة؛ فمَشْيُها بَطِيءٌ للغَايَة، وحَملُها لا يُقاسُ بحَملِ السُّفُن؛ بل كانَتِ السَّفِينَةُ تَحمِل ما يَزِيدُ عَلَىٰ حِملِ مِائَةِ بَعيرٍ، فكَيفَ يَصِحُّ تَفسِيرُ الآيَةِ بِها؟! بل ذَلِك بَاطِلٌ قطعًا.

وإِنَّمَا الَّذِي يُماثِلُ الفُلكَ المَشحُونَ تَمامَ المُماثَلَة فِي كَثرَة حَملِه وسُرعَةِ سَيرِه فِي البَحرِ هُوَ بَابُور السِّكَّةِ الحَدِيدِ ثمَّ السَّيَّارات؛ فهِيَ المُرادَةُ بالآيَةِ جَزمًا.

وقد قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ والحَسَن والضَّحَّاك وجَماعَةٌ فِي الآيَةِ المَذكُورَةِ: «وخَلَقْنا لَهُم سفنًا أَمثالَ تِلكَ السُّفُن يركَبُونَها». قَال النَّحَّاسُ: «وهَذَا أَصَحُّ لأنَّه متَّصِلُ الإِسنادِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ»(١).

وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ شُفوفِ نَظَر ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ونَظَرِه بنُورِ اللهِ تَعالَىٰ فِي مَعانِي القُرآنِ الكَرِيمِ تَصدِيقًا لدُعاءِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذ قَال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ**

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٤/ ٤٢٧) للشوكاني.

فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[١]؛ فإِنَّ وُجُودَ السَّفِينَةِ فِي البَرِ لا يَخطِر ببَالِ أَحدٍ ولا يَكادُ يَنطِقُ به عاقِلٌ فِي ذَلِك الوَقتِ، ولكنَّ ابنَ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَظرَ إِلَىٰ الغَيبِ مِن سِتْرٍ رَقيقٍ إِذ قَال ذَلِك، فكانَ هُوَ المُطابِقَ للحَالِ المُوافِقَ للوَاقِعِ». انتَهَىٰ المَقصُودُ من كَلامِهِ.

وفِيهِ ثَلاثَةُ أَخطاءٍ:

الأَوَّل: قَولُه: إنَّ حَملَ الآيَةِ عَلَىٰ الإِبل بَاطِلٌ مَقطُوعٌ ببُطلَانِهِ.

والثَّانِي: قَولُهُ: إنَّ بَابُورَ السِّكَّة الحَديدِ والسَّيَّاراتِ هي المُرَادَةُ بالآيَةِ جزمًا.

والثَّالِثُ: زَعمُه أَنَّ ابنَ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ قَال: «وخَلَقْنا لَهُم سُفُنًا أَمثالَ تِلكَ السُّفُنِ يَركَبُونَها» أَرادَ بذَلِك السَّيَّاراتِ وبَابُورَ السِّكَّة الحَديدِ.

والجَوابُ عَن هَذِه الأَخطاءِ وعمَّا ذَهَب إِلَيهِ فِي تَفسِير الآيَةِ مِن وُجوهٍ:

الأَوَّل: أنَّ اللهَ تَعالَىٰ عبَّرَ فِي الآيَةِ بصِيغَةِ المَاضِي الَّذِي قَد وَقَع، فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤٢]، وهَذَا صَريحٌ فِي إرادَةِ السُّفُنِ المَوجُودَةِ فِي زَمَنِ النُّزولِ ومَا قَبلَهُ، ولَو كَانَ المُراد بِهَا ما حَدَث بَعدَ النُّزولِ بأَكثَرَ مِن أَلفٍ وثَلاثِمِائَةِ سَنَةٍ لَعبَّرَ عَن ذَلِك بصِيغَةِ المُستقبَلِ.

وهَذَا ظاهِرٌ فِي إِبطَالِ ما جَزَم بِهِ المُصنِّف فِي تَفسِيرِ الآيَةِ الكَريمَةِ. **يُوَضِّحُ ذَلِكَ:**

الوَجهُ الثَّانِي: وهُوَ أن اللهَ تَعالَىٰ امتنَّ عَلَىٰ عِبادِه بمَا يسَّرَه مِن حملِ آبائِهِم فِي

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) (٢٣٩٧)، والبخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَفِينَة نُوحٍ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وجَعَل ذَلِك مِن آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَمالِ قُدرَتِه، ثمَّ امتنَّ عَلَيهِم بِمَا خَلَق لَهُم من السُّفُنِ المُشَابِهَة لسَفِينَةِ نُوحٍ لِيَشكُرُوه عَلَىٰ ما أَنعَم به عَلَيهِم ويُفرِدُوه بِالعِبَادَة، وأَوَّل مَن خُوطِبَ بِهَذا التَّذكِير والِامتِنَانِ هُم كُفَّار قُرَيشٍ ومَن حولَهُم مِن أَحياءِ العَرَب.

ويدُلُّ عَلَىٰ ذَلِك: قَولُه تعالَىٰ فِي أَوَّل السورة: ﴿**لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ**﴾ [يس: ٦].

وقَولُه بَعدَ الآيَةِ الَّتِي ذَكَر فِيهَا الفُلكَ: ﴿**وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ**﴾ [الأنعام: ٤].

ولَيسَ مِن المَعقُولِ أَنْ يُخاطِبَهُم الله تَعالَىٰ ويُذَكِّرَهُم بِمَا لَا يَعرِفُونَه، وأَنْ يمتَنَّ عَلَيهِم بِمَا يَحدُث بَعدَهُم بِأَكثَرَ مِن أَلفٍ وثَلاثِمِائَةِ سَنةٍ.

الوَجهُ الثَّالِثُ: أَنَّ الله تَعالَىٰ عقَّب الآيَةَ بقَولِهِ: ﴿**وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ**﴾ [يس: ٤٣]، وهَذَا وَاضِحٌ فِي إِرادَةِ السُّفُنِ الَّتِي تَجرِي فِي البَحرِ، ولَو كَانَ المُرَاد ما حَدَث مِن السَّيَّاراتِ وبَابُور السِّكَّة الحَدِيدِ لَكَان ذِكْرُ الغَرَق هَاهُنا لا مَعنَىٰ له ولا فَائِدَةَ فِي ذِكرِهِ.

الوَجهُ الرَّابِعُ: **أَنَّ ابنَ عَبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا **قَال فِي تَفسِير الآيَةِ**: «هي السُّفُن جُعِلَت مِن بَعدِ سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَىٰ مِثلِهَا»(١).

وكذا قَال أَبُو مَالِكٍ والضَّحَّاك وقَتادَة وأبو صَالِحٍ والسُّدِّيُّ أَنَّ المُرَاد بذَلِك السُّفُنُ(٢).

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٤) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٨٠) لابن كثير.

وهَذَا يَرُدُّ ما زَعَمَه المُصنِّف من أنَّ ابنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَرادَ بذَلِك السَّيَّارَاتِ وبَابُورَ السِّكَّةِ الحَديدِ.

وقَالَ العَوفِيُّ عَن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَعنِي بِذَلِك الإِبلَ؛ فَإِنَّها سُفُنُ البَرِّ يَحمِلُون عَلَيهَا ويَركَبُونَها».

وكَذَلِكَ قَال عِكْرِمَةُ ومُجاهِدٌ والحَسَن وغَيرُهُم(١).

ويَشهَدُ لِهَذَا: قَولُ الله تَعالَىٰ: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**﴾ [المؤمنون: ٢١، ٢٢]، وهَذَا يَرُدُّ قَولَ المُصنِّف أنَّ حَمْلَها عَلَىٰ الإِبل بَاطِلٌ مَقطُوعٌ ببُطلَانِهِ، والقَول الأَوَّل أَقوَىٰ وأَولَىٰ بظَاهِرِ الآيَةِ، والله أَعلَمُ.

الوَجهُ الخَامِس: أنَّ الصَّحابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعلَمُ بتَفسِيرِ القُرآنِ ممَّن جاءَ بَعدَهُم ولَاسِيَّمَا حَبْرُ الأُمَّةِ وتُرجُمَانُ القُرآنِ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد فسَّر المُرَادَ مِن الآيَةِ بالسُّفُنِ، وفسَّرَهُ -أيضًا- بالإِبلِ؛ لِاشتِرَاكِها مع السُّفُن فِي حَملِ الأَثقَالِ والرُّكوبِ عَلَيهَا، ومع هَذَا يَقُولُ المُصنِّف: «إنَّ حَمْلَ الآيَةِ عَلَىٰ الإِبل بَاطِلٌ مَقطُوعٌ ببُطلَانِه»! وهَذِه جَراءَةٌ عَظِيمَة عَلَىٰ مَقامِ حَبْرِ الأُمَّة، ومَن قَال بقَولِه من أَكابِرِ التَّابِعِين.

الوَجهُ السَّادِس: أنَّ البَاطِل قَطعًا هُوَ جَزمُ المُصنِّف بأنَّ المُرَادَ بالآيَةِ السَّيَّاراتُ وبَابُورُ السِّكَّةِ الحَديدِ، وعَزْوُه ذَلِك إِلَىٰ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذَلِكَ من القَول عَلَيهِ بِمَا لَم يَقُلْه.

---

(١) انظر: المصدر السابق (٦/ ٥٧٩).

الوَجهُ السَّابعُ: أنَّ القَولَ فِي القُرآنِ بمُجَرَّد الرَّأيِ حَرامٌ، وقد وَرَد الوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ ذَلِك.

كما فِي الحَدِيث الَّذِي رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ والتِّرمذِيُّ وابنُ جَريرٍ والبَغَوِيُّ عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ أو بِمَا لا يَعْلَمُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». هَذَا لَفظُ ابنِ جَريرٍ. وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيح»(١).

ورَوَىٰ التِّرمِذِيُّ -أيضًا- وأَبُو دَاوُد وابنُ جَريرٍ والبَغَوِيُّ عَن جُندُبِ بنِ عَبدِ اللهِ البَجليِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَاب فَقَدْ أَخْطَأَ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيث غريب»(٢).

قَالَ: «وهَكَذا رُوِي عن بَعضِ أَهلِ العِلمِ مِن أَصحَابِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ وَغَيرِهِم أَنَّهُم شَدَّدوا فِي هَذَا؛ فِي أن يُفَسَّر القُرآنُ بغَيرِ عِلمٍ.

وأمَّا الَّذِي رُوِيَ عَن مُجاهِدٍ وقَتادَةَ وغَيرِهما من أَهلِ العِلمِ: أَنَّهُم فسَّروا القُرآن؛ فليسَ الظَّنُّ بِهِم أَنَّهُم قَالُوا فِي القُرآن أو فَسَّرُوه بغَيرِ عِلمٍ، أو مِن قِبَلِ أَنفُسِهِم، وقَد رُوِيَ عَنهُم ما يدُلُّ عَلَىٰ ما قُلنَا: أَنَّهُم لَم يَقُولُوا مِن قِبَلِ أَنفُسُهِم...».

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣) (٢٠٦٩)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨ - ٢٥٩) من حديث جندب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٥).

ثم ساق بإسناده عن قتادة أنه قال: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا»(١).

وبإسناده عن مجاهد أنه قال: «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت»(٢). انتهى كلام الترمذي(٣).

وقال البغوي: «قال شيخنا الإمام(٤): قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه؛ وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئًا من غير علم».

قال: «وأما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها؛ فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل». انتهى(٥).

ولا يخفى أن تفسير المصنف لقول الله تعالى: ﴿**وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ**﴾ [يس: ٤٢] وجزمه بأن المراد بذلك السيارات وبابور السكة الحديد لم يكن من طريق النقل الثابت، وإنما هو تفسير بمجرد الرأي؛ فهو بذلك متعرض للوعيد الشديد، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، وابن الجعد في «مسنده» (١٠٣١) وغيرهما عن قتادة به.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٢٨) وغيرهما عن مجاهد به.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٢٠٠).

(٤) المقصود به هنا هو الإمام البغوي نفسه، وذلك لأن «معالم التنزيل» رواه عن البغوي تلميذه أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد حفده العطاري، المتوفى سنة (٥٧١هـ)، فكان إذا أراد بيان قول البغوي يقول: قال شيخنا الإمام.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٤٦).

فَصلٌ

وقَالَ المُصنِّف فِي صَفحَة ٧ وصَفحَة ٨ ما نَصُّه:

«الآيَةُ الثَّالِثة: قَولُه تَعالَىٰ فِي أَشرَاطِ السَّاعَةِ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير:٤]؛ أي: عَن السَّفرِ عَلَيهَا وحَملِ الأَثقالِ عَلَيهَا.

والعِشارُ: هي الإِبِلُ الَّتِي قد أَتَىٰ عَلَيهَا عَشرَةُ أَشهُرٍ، كَمَا قَال ثَعلَبٌ وأَئِمَّة اللُّغَةِ[1]، وإِنَّما عُطِّلت عَن السَّفَر ونَقْل السِّلَع والبَضائِعِ عَلَيهَا بوُجودِ السَّيَّارات وبَوابِير سِكَّة الحَديدِ؛ فإِنَّها بعدَ ظُهورِها لم يَعُد أَحدٌ يُسافِرُ عَلَىٰ الإِبِل، أو يُرسِلُ بَضائِعَه عَلَيها إلَّا نَادِرًا جِدًّا فِيمَا لَم يُمكِن سَفَر السَّيَّاراتِ إِلَيهِ، حتَّىٰ إِنَّ عَرَب الحِجازِ وجَزِيرَة العَرَب تَضرَّروا غايَةً لَمَّا عُبِّدَت الطُّرُق فِي بِلادِهِم وانتَشَرت فِيهَا السَّيَّاراتُ الَّتِي عَطَّلَت إِبِلَهُم عَن العَمَل الَّذِي كانوا مِنهُ يَرتَزِقُون.

وقد وَرَد التَّصرِيحُ بِهَذا -أيضًا- عن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقَالَ مُسلِم فِي «صَحِيحِه»: حدَّثَنا قُتَيبَةُ بنُ سَعِيدٍ، حدَّثَنا لَيثٌ، عن سَعِيد بنِ أَبي سَعِيدٍ، عن عَطاءِ بنِ مِيناءَ، عَن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا**...» الحَدِيث[2]. القِلاصُ -بكَسرِ القَافِ-: جَمعُ قَلوص -بفَتحِها- وهِيَ مِنَ الإِبِل كالفَتاةِ مِن النِّساءِ[3].

(١) انظر: «لسان العرب» (٤/ ٥٧٢)، و«تاج العروس» (١٣/ ٥١).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٥)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «لسان العرب» (٧/ ٨٢)، و«تاج العروس» (١٨/ ١٢١).

فقولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا**» تَعيينٌ للمُرَاد مِن قَولِه تعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]؛ يَعنِي: يُتْرَكُ استِخدامُها فِي السَّفَر ونَقلِ البَضائِعِ كَمَا كَانَ حَالُها مِن قَبلُ».

والجَوابُ عن هَذَا مِن وُجوهٍ:

الأَوَّلُ: أنَّ الآياتِ فِي أَوَّل سُورَةِ التَّكوِير لَيسَت وَارِدَةً فِي أَشراطِ السَّاعة كَمَا زَعَم ذَلِك المُصنِّف، وإِنَّما هِيَ فِي أَهوالِ يَوم القِيامَةِ كَمَا هُوَ واضِحٌ مِن سِيَاقِ الآيَاتِ، وكَمَا هُوَ ظاهِرٌ مِن كَلامِ المُفسِّرين مِنَ الصَّحابَة وأَئِمَّة التَّابِعِين.

والدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِك: ما رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ والتِّرمِذِيُّ والحاكِمُ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ**: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ». قَال الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسنادِ وَلَم يُخرِجَاهُ» ووَافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»[١].

الوَجهُ الثَّانِي: أَنَّ تَفسِيرَه لآيَةِ التَّكوِيرِ تَفسِيرٌ بمُجَرَّدِ الرَّأيِ، وقد تقدَّم أنَّ ذَلِك حَرامٌ ومُتَوَعَّد عَلَيهِ بالوَعيدِ الشَّدِيدِ.

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ أُبَيَّ بنَ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغَيرَ وَاحِدٍ من أَكابِرِ التَّابِعِين فَسَّروا الآيَةَ بغَيرِ ما فَسَّرها بِهِ المُصنِّف، وهم أَعلَمُ بكِتَابِ الله منه، والمَرجِعُ فِي التَّفسِيرِ إِلَيهِم وإِلَىٰ أَمثالِهِم، لا إِلَىٰ المُتَكَلِّفين كالمُصنِّف وأَمثالِه من العَصْرِيِّين.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧) (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٢٠) (٨٧١٩) وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨١).

قَال أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ [التكوير: ٤] قَال: «أَهمَلَهَا أَهلُها».

وقَالَ عِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ: «هي عشار الإِبِل».

قَال مُجاهِدٌ: «﴿عُطِّلَتۡ﴾: تُرِكَت وسُيِّبَت».

وقَالَ الرَّبِيعُ بنُ خُثَيمٍ: «لم تُحْلَب ولَم تُصَرَّ؛ تخلَّىٰ مِنهَا أَربَابُها».

وقَالَ الضَّحَّاكُ: «تُرِكَت لَا رَاعِيَ لَهَا»(١).

قَالَ ابنُ كَثيرٍ: «والمَعنَىٰ فِي هَذَا كُلِّه مُتقَارِبٌ»(٢).

قال: «والمَقصُودُ: أَنَّ العِشارَ من الإِبِل -وهي خِيَارُها والحَوامِلُ مِنهَا الَّتِي قد وَصلَت فِي حَملِها إِلَىٰ الشَّهرِ العَاشِرِ- قَدِ اشتَغَل النَّاسُ عنهَا وعَن كَفالَتِها والانتِفَاعِ بِهَا بَعدَما كَانُوا أَرغَبَ شَيءٍ فِيهَا بِمَا دَهَمَهُم مِنَ الأَمرِ العَظيمِ المُفظِعِ الهَائِلِ، وهُوَ أَمرُ يَومِ القِيامَةِ وانعِقَادُ أَسبابِهَا ووُقُوعُ مُقَدِّمَاتِهَا. وقيل: بَل يَكُون ذَلِك يَومَ القِيامَةِ يَراهَا أَصحَابها كَذَلِكَ لا سَبِيلَ لَهُم إِلَيهَا».

قُلتُ: ويُقَوِّي هَذَا القَولَ ما تقدَّم ذِكرُه مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا.

الوَجهُ الرَّابع: أَنَّ العِشارَ من الإِبِل لا يَركَبُها أَهلُها وَلَا يَحمِلُون عَلَيها إِلَّا فِي النَّادِرِ، وإِنَّما يَركَبُون ويَحمِلُون عَلَىٰ الذُّكورِ من الإِبِل والحَوائِلِ من إِناثِهَا ولاسِيَّما الشَّوَابُّ مِنهَا، وهِيَ المُرَاد بالقِلَاصِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٤- ١٣٥).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٣٠).

قَال الجَوهَرِيُّ: «القَلُوصُ مِن النُّوقِ: الشَّابَّةُ، وهِيَ بمَنزِلَة الجَارِيَة من النِّساءِ وقَالَ العَدَوِيُّ: القَلُوص: أَوَّل ما يُركَب مِن إناثِ الإِبل إِلَىٰ أن تُثنِّيَ فإِذَا أثنت فَهِيَ نَاقَة. والقَعُودُ: أَوَّلُ ما يُركَب مِن ذُكورِ الإِبل إِلَىٰ أن يُثنِّي فإذا أَثنَىٰ فَهُوَ جملٌ، ورُبَّما سَمَّوا النَّاقَةَ الطَّوِيلَةَ القَوائِم قَلُوصًا»(١).

وقَالَ صاحِبُ «القَامُوسِ»(٢): «القَلوصُ مِنَ الإِبل: الشَّابَّة أو البَاقِيَة عَلَىٰ السَّيرِ خاصٌّ بالإِنَاثِ».

وقَالَ مُرتَضَىٰ الحُسَينِي فِي «تَاجِ العَرُوسِ»(٣): «قَالَ ابنُ دُرَيدٍ: هُوَ خاصٌّ بالإِنَاثِ ولا يُقالُ للذُّكورِ: قَلوصٌ». انتَهَىٰ.

وإِذَا كانَتِ العِشارُ لا تُركَب ولا يُحمَل عَلَيهَا إلَّا نادِرًا؛ فأيُّ مُتعَلَّقٍ للمُصنِّفِ فِي قَولِه تعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]؛ إذ لا دَلِيلَ فِيهَا عَلَىٰ ما ذَهَب إِلَيهِ.

الوَجهُ الخَامِس: أنَّ المُصنِّف جَعَل مَعنَىٰ الآيَةِ ومَعنَىٰ ما فِي حَدِيثِ أبي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ واحِدًا، ولَيسَ الأَمرُ كَذَلِكَ؛ فإِنَّ التَّعطِيلَ المَذكُورَ فِي الآيَةِ هُوَ تَركُهَا بالكُلِّيَّة لاشتِغَالِ النَّاس عَنهَا بِمَا حلَّ بِهِم مِن الهَولِ العَظِيمِ، وأمَّا التَّركُ المَذكُور فِي حَدِيث أبِي هُرَيرَة فهو تَركُ السَّعيِ عَلَيها لا تَركُها بالكُلِّيَّة، وأَينَ هَذَا مِن ذَاكَ؟!

وقد اختُلِفَ فِي مَعنَىٰ تَركِ السَّعيِ عَلَىٰ القِلاصِ؛ فقَالَ النَّوَوِيُّ(٤): «مَعناهُ:

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٠٥٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص ٦٢٨).

(٣) انظر: «تاج العروس» (١٨/ ١٢٠).

(٤) انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢/ ١٩٢).

أَن يَزهَدَ فِيهَا ولا يَرغَبَ فِي اقتِنَائِها لكَثرَةِ الأَموالِ وقِلَّة الآمَالِ وعَدَم الحاجَةِ والعِلمِ بقُربِ القِيَامَةِ، وإنَّما ذُكِرَت القِلاصُ لكَونِهَا أَشرَفَ الإِبل الَّتِي هي أَنفَسُ الأَموالِ عِندَ العَرَب، وهُوَ شَبيهٌ بمَعنَىٰ قَولِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]، ومَعنَىٰ: «**لا يُسعَىٰ عَلَيهَا**»: لا يُعتَنَىٰ بِهَا؛ أي: يتسَاهَلُ أَهلُها فِيهَا ولا يَعتَنُون بِهَا؛ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ.

وقَالَ القاضِي عِياضٌ(١) **وصاحِبُ «المَطالِعِ»**(٢): مَعنَىٰ «**لا يُسعَىٰ عَلَيهَا**»؛ أي: لا تُطلَب زَكاتُها؛ إِذ لا يُوجَدُ مَن يَقبَلُها».

قُلتُ: وهَكَذا قَال ابنُ الأَثيرِ وابنُ مَنظُورٍ فِي «لِسَانِ العَرَب»: أن مَعنَىٰ «**لا يَسعَىٰ عَلَيهَا**»؛ أي: لا يَخرُج سَاعٍ إِلَىٰ زَكاةٍ لِقلَّة حاجَةِ النَّاس إِلَىٰ المَالِ واستِغنَائِهِم عَنهُ(٣).

قال النَّووِيَ: «وهَذَا تَأويلٌ بَاطِلٌ مِن وُجوهٍ كَثِيرَة».

قُلتُ: بَل هُوَ أَقوَىٰ وأَظهَرُ مِن قَول النَّووِي.

ويُؤَيِّدُه: ما رَواهُ ابنُ مَاجَهْ من حَدِيث أَبِي أُمامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ الدَّجَّال ونُزُولِ عِيسَىٰ عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وفيه قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**فَيَكُونُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا**

(١) في كتابه «مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار» (٢/ ١٨٥).

(٢) «مطالع الأنوار علىٰ صحاح الآثار» لابن قرقول (٥/ ٣٦٣).

(٣) انظر: «النهاية» (٤/ ١٠٠)، و«لسان العرب» (٧/ ٨١).

يُسْعَىٰ عَلَىٰ شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ...»[١] الحَدِيث. وهُوَ مُطابِقٌ لحَدِيثِ أَبِي هُرَيرَة الَّذِي تقدَّم ذِكْرُه فِي كَلام المُصنِّف، ومُفسِّرٌ لمَعنَىٰ تَركِ السَّعيِ عَلَىٰ القِلَاصِ؛ إِذ كُلٌّ من الحَدِيثَينِ وارِدٌ فِيمَا يكُون فِي أَيَّامِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فَمَا أُبْهِمَ فِي حَدِيث أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهُو مُفسَّر فِي حَدِيث أَبِي أُمامَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويُؤَيِّدُه أيضًا: ما فِي «الصَّحيحَينِ» وغَيرِهِمَا عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ**». هَذَا لَفظُ مُسلِمٍ[٢].

وفِي «الصَّحيحَينِ» -أيضًا- مِن حَدِيث حارِثَة بن وَهبٍ[٣] وأَبِي مُوسَىٰ[٤] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحوُه.

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَد والبُخاريُّ من حَدِيث عَدِيِّ بن حاتِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ ذَلِك أيضًا[٥].

ومِمَّا يَرُدُّ قَولَ النَّوِويِّ: ما رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ ومُسلِمٌ من حَدِيث عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلا يَسْمَعُهُ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) وغيره من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (ص٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٥)، ومسلم (١٥٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١)، وغيرهما من حديث حارثة بن وهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢)، وغيرهما من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٧) (١٨٢٨٦)، والبخاري (٣٥٩٥) وغيرهما من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ»(١).

وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ أنَّ الرَّغبَةَ فِي اقتِنَاءِ الإِبِلِ لا تَزالُ باقِيَةً إِلَىٰ أن يُنفَخَ فِي الصُّورِ، لا كَمَا يَقُول النَّووِيُّ أنَّ أَهلَها يَزهَدُون فِيهَا ولا يَعتَنُون بِهَا.

ويَحتَمِلُ أن يَكُون مَعنَىٰ قَولِه: **«وَتُتْرَكُ الْقِلَاصُ لا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا»**؛ أي: يُتْرَكُ رُكُوبُها فِي الأَسفارِ والحَملِ عَلَيها، وهَذَا مُطابِقٌ للوَاقِعِ فِي هَذِه الأَزمانِ، وإنْ كان قَولُ عِياضٍ ومَن وافقَه أَقوَىٰ مِنهُ من حَيثُ الدَّليلُ.

ويَحتَمِل أن يَكُون كلٌّ من الأَمرَينِ مُرَادًا فِي الحَدِيث؛ أَعنِي: تَرْكَ السَّعيِ عَلَيها للصَّدَقة، وتَركَ رُكوبِها والحَملِ عَلَيها، والله أَعلَمُ.

الوَجهُ السَّادِسُ: أنَّ عَرَبَ الحِجَازِ وجَزِيرَة العَربِ لم يتضَرَّرُوا من تَعبيدِ الطُّرقِ فِي بِلَادِهِم وانتِشَارِ السَّيَّاراتِ فِيهَا كَمَا زَعَمه المُصَنِّف، بل انتَفَعوا بِه كثيرًا واستَرَاحُوا من كَثيرٍ مِن المَشَقَّة والعَناءِ ممَّا كَانَ يُصيبُهُم بسَبَب السَّفر عَلَىٰ الإِبلِ والحَملِ عَلَيها، وكانَ ارتزاقُهُم بسببِ السَّيَّاراتِ أَعظَمُ بكَثيرٍ منِ ارتِزَاقِهم بسَبَب الإِبلِ، وانتَفعُوا -أيضًا- بكَثرَةِ أَثمانِ الإِبلِ؛ فقَدْ كانَتِ النَّاقَة الجَيِّدَة فِي زَمَن السَّفر عَلَىٰ الإِبلِ والحَملِ عَلَيها تُساوِي مِائَةَ رِيَالٍ أو نَحوَها، وأمَّا الآن فتُساوِي سَبْعَمِائَةٍ وثَمانمِائَةٍ، ورُبَّما زادَتْ عَلَىٰ الأَلفِ، وهَذَا خيرٌ لأَهلِ الإِبلِ ممَّا كان من قَبلُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٦) (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٩٤٠) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقوله: «أصغىٰ لِيتًا»؛ أصغىٰ: أمال، واللِّيتُ: صفحَةُ العُنُق وهي جانبه.

فَصلٌ

وفي صَفحَة (٨):

جَزَم المُصنِّف ببقَاءِ استِعمَال السَّيَّارات إِلَىٰ زَمانِ نُزولِ عِيسَىٰ بنِ مَريَم عَليهِمَا الصَّلَاة والسَّلام.

وهَذَا ممَّا لا يَنبَغِي الجَزمُ بِه؛ لأنَّ ما يَقَع فِي المُستَقبَلِ أمرٌ غَيبِيٌّ لا يَعلَمُه إلَّا اللهُ تَعالَىٰ، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وفي الحَدِيث الصَّحِيحِ عن ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قَالَ: **«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ فِي خَمْسٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ نُزُولَ الْغَيْثِ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ السَّاعَةَ إِلَّا اللهُ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»**. رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ والبُخارِيُّ(١).

وإذا عُلِم هَذَا؛ فإِثباتُ ما يَكُون فِي المُستَقبَلِ يَحتَاجُ إِلَىٰ دَليلٍ قاطِعٍ من نُصوصِ الكِتَابِ أو السُّنَّة، ولا دَلِيلَ عَلَىٰ ما ذَكَره المُصنِّفُ، فلا يَنبَغِي إِذَنِ الجَزمُ ببقَاءِ السَّيَّارات إِلَىٰ زَمانِ نُزولِ عِيسَىٰ عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ فقَدْ يُفنِيها اللهُ ويُفنِي صَانِعَها كَمَا أَفنَىٰ القُرونَ الأُولَىٰ وأَفنَىٰ صَنائِعَهُم مَعَهُم، وأَبقَىٰ مِن آثَارِهِم نُموذَجًا يَسِيرًا أَدهَش به

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢) (٥١٣٣)، والبخاري (٧٣٧٩) وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا.

المُتَأَخِّرين وحَيَّرَهُم؛ كالأَهرامِ المِصرِيَّة وغَيرِها من الآثَارِ القَدِيمَة.

ولا يَنبَغِي -أيضًا- الجَزمُ بعَدَم السَّيَّارات؛ فقد يُبقِيها اللهُ تَعالَىٰ إِلَىٰ زَمانِ نُزولِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والمَقصُود هَاهُنا: أَنَّه لا يَجُوز الخَوضُ فِي الأُمورِ المُستَقْبَلة بمُجَرَّد الظَّنِّ والتَّخَرُّص، بل يُرَدُّ عِلمُ ذَلِك إِلَىٰ عَالِم الغَيبِ والشَّهادَة الَّذِي يَعلَمُ ما كان وما يَكُون، لا إِلَه إِلَّا هُوَ، ولا رَبَّ سِواهُ.

فَصلٌ

في صَفحَة (٩ و١٥):

جَزَمَ المُصنِّف أَنَّ الدَّجَّال وأَعوانَهُ يَسِيرُون فِي الطَّائِرَاتِ والسَّيَّاراتِ.

وهَذَا مِمَّا لا يَنبَغِي الجَزمُ بِهِ؛ لأَنَّ ما يَكُون فِي المُستَقْبَل لا يَعلَمُه إِلَّا الله تَعالَىٰ، وليس مع المُصنِّف دَلِيلٌ قاطِعٌ فِيمَا ذَهَب إِلَيهِ.

وأَمَّا قَولُه فِي حَدِيث النَّوَّاس بنِ سَمعَان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قُلنَا: يا رَسُول الله، وما إِسرَاعُه فِي الأَرضِ؟ قَال: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**»[1]؛ فلا يَلزَمُ مِنهُ أن يَكُون سَيرُه عَلَىٰ الطَّائِراتِ والسَّيَّارات، بل قد تُخرَقُ له العادَةُ إِمَّا بطَيِّ الأَرضِ وإِمَّا بغَيرِ ذَلِكَ.

وقد جاء فِي حَدِيث جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَال:** قام رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذات يومٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وغيره من حديث النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عَلَىٰ المِنبَرِ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَمْ أَجْمَعْكُمْ لِخَبَرٍ جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ...» فذَكَر حَدِيثَ الجَسَّاسَةِ وزَادَ فِيهِ: «هُوَ المَسِيحُ تُطْوَىٰ لَهُ الْأَرْضُ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا...» الحَدِيثَ. رَواهُ أبو يَعلَىٰ بِإِسنادَينِ قَال الهَيثَمِيُّ: «رِجالُ أَحدِهِمَا رِجالُ الصَّحيحِ»(١).

ورَوَىٰ الحَاكِمُ فِي «مُستَدرَكِهِ» من حَدِيث أَبِي الطُّفَيلِ عن حُذَيفَة بن أَسِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أنَّه قَالَ:** «إِنَّ الدَّجَّالَ لو خَرَج فِي زَمانِكُم لَرَمَتْهُ الصِّبيانُ بالخَذْفِ، ولَكِنَّ الدَّجَّالَ يَخرُجُ فِي نَقصٍ مِن النَّاس، وخِفَّةٍ مِن الدِّينِ، وسُوءِ ذاتِ بَيْنٍ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنهَلٍ، فَتُطوَىٰ له الأَرضُ طَيَّ فَروَةِ الكَبشِ» الحَدِيث، وفيه: «ولا يُسَخَّرُ له من المَطايا إِلَّا الحِمارُ، فَهُوَ رِجسٌ عَلَىٰ رِجسٍ». وقَالَ الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»: «عَلَىٰ شَرطِ البُخارِيِّ ومُسلِمٍ»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَد فِي «مُسنَده» عن جَابِرِ بن عَبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَسِيحُهَا، الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ، وَالْيَوْمُ كَالشَّهْرِ، وَالْيَوْمُ كَالْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ مِثْلُ أَيَّامِكُمْ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا...**» الحَدِيثَ. وإِسنادُهُ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرطِ الشَّيخَينِ.

ورواهُ الحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» وقَالَ: «صَحِيحُ الإِسنادِ ولم يُخرِجَاهُ»، وقَالَ

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٤/ ١١٩، ١٤٢) (٢١٦٤، ٢٢٠٠) وغيره من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحسن الألباني إسناده في «قصة المسيح الدجال» (ص٨٧). وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٤) (٨٦١٢)، وغيره من حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصحح الألباني إسناده في «قصة المسيح الدجال» (ص١٠٦).

الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»: «عَلَىٰ شَرطِ مُسلِمٍ»[(١)].

وما فِي هَذِه الأَحادِيث هُوَ المُعتَمَد فِي سَيرِ الدَّجَّال فِي الأَرضِ لِصِحَّة أَسانِيدِهَا وعَدَم ما يُنافِيها.

ورُكوبُه عَلَىٰ الحِمارِ الَّذِي عَرضُ ما بَينَ أُذُنَيهِ أَربَعُون ذِراعًا أَبلَغُ فِي الافتِتَانِ به من رُكوبِه عَلَىٰ الطَّائِرات والسَّيَّارات وغَيرِهِما ممَّا قد عَرَفه النَّاسُ واعتَادُوا رُكوبَه، وكَذَلِكَ سَيرُه عَلَىٰ الحِمارِ العَظِيمِ الجِسمِ قد يَكُون أَسرَع من سَيرِ الطَّائِرات بكَثِيرٍ، والله أَعلَمُ.

والمَقصُود هُنا: أَنَّه لا يَنبَغِي الجَزمُ بسَيرِ الدَّجَّال فِي الطَّائِرات والسَّيَّاراتِ ولا بعَدَم ذَلِكَ؛ لأَنَّه أَمرٌ غَيبِيٌّ، والخَوضُ فِي مِثلِ ذَلِك من الرَّجمِ بالغَيبِ.

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (١٠):

جَزَم المُصنِّف فِي شَأنِ المَهدِيِّ بنَحوِ ما جَزَم به فِي شَأنِ عِيسَىٰ والدَّجَّال من بَقاءِ الطَّائِرات والسَّيَّارات إِلَىٰ زَمانِه.

والجَوابُ عَنهُ:

هُوَ ما تقدَّمَ فِي الفَصلَينِ قَبلَه، والله أَعلَمُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧) (١٤٩٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٥) (٨٦١٣)، وغيرهما من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٩٦٩).

فَصلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (١٦) ما نَصُّه:

«وأمَّا الطَّائِراتُ الحَربيَّة فمَذكُورةٌ فِي القُرآنِ العَظيمِ وفِي السُّنَّة النَّبويَّة، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ [المرسلات: ١-٧].

فهَذَا وَصفٌ للطَّائِراتِ الحَربيَّة بجَميعِ حَرَكاتِهَا وأَفعالِها: تَعصِفُ بقَنابِلِها، وهي تَحتَمِل فِي اللُّغَة مَعنيَيْن: تَركُ النَّاسِ كعَصفٍ مَأكُول، وتَمِيل أَحيانًا عن هَدَفِها؛ وهُوَ مَعنَىٰ العَصفِ أيضًا، وتُنشَر المَنشُوراتُ عَلَىٰ الجُنودِ فِي مَيادِين الحَربِ وعَلَىٰ الأَهالِي والسُّكَّان فِي المُدُن للدِّعايَة والإخبارِ بما تُرِيدُه الدَّولَة المُحارِبَة، وتُفرِّق بَينَ الجُموعِ والكَتائِبِ فَرقًا؛ لأنَّ الرُّعبَ بِهَا والهَزِيمَة أَشدُّ من غَيرِها بحَيثُ لا يَثبُت تَحتَهَا جَمعٌ بل بمُجَرَّد رُؤيَتِها مِن بَعيدٍ يَقعُ الفِرارُ والتَّفَرُّق والاختِفاءُ فِي الكُهوفِ والمَلاجِئِ، ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا﴾: تَعذِرُ به الدَّولَة عَن ضَربِها بَعضَ الأَماكنِ البَريئَةِ والَّتِي لَيسَت من مَراكِز الحَربِ، ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ تُنذِر به السُّكَّان وتُخَوِّف وتُوعِد وتُهَدِّد وتَطلُب التَّسلِيمَ ونَحوُ ذَلِك مِن نوعِ الإنذارِ كَمَا هُوَ مَعروفٌ».

والجَوابُ عن هَذَا مِن وُجوهٍ:

الأَوَّلُ: أنَّ تَفسِيرَه للآيَاتِ تَفسِيرٌ بمُجَرَّد الرَّأيِ، بل إِلحادٌ فِي آياتِ الله تَعالَىٰ، وقَرمَطَةٌ فِيهَا شَبِيهَةٌ بقَرمَطَةِ الرَّافِضَة وتَأوِيلِهِم للقُرآنِ.

وقد تقدَّمَ أنَّ تَفسِير القُرآنِ بالرَّأيِ حَرامٌ ومُتَوَعَّد عَليَهِ بالوَعيدِ الشَّدِيدِ.

قال الله تَعالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ

خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٠].

وفِي هَذِه الآيَةِ الكَريمَةِ تَهديدٌ شَديدٌ ووَعِيدٌ أَكيدٌ لِمَن أَلحَد فِي آياتِ الله تَعالَىٰ وتَأَوَّلها عَلَىٰ غَيرِ تَأوِيلِها.

قَال ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الإلحادُ وَضعُ الكَلامِ عَلَىٰ غَيرِ مَواضِعِه»(١).

ولا يَخفَىٰ عَلَىٰ ذِي عِلمٍ ما جرىٰ عَلَيهِ أَحمَدُ بن مُحَمَّد بن الصِّدِّيق الغُماري من تَفسِيرِه لآيَاتٍ كَثِيرَة بمُجَرَّد الرَّأيِ ووَضعِهِ الكَلامَ فِيهَا عَلَىٰ غَيرِ مَواضِعِه ومُخالَفَةِ ما جاء عن السَّلَف الصَّالِح فِي ذلك.

وقد رَوَىٰ الفِريابِيُّ عن الحَسَنِ(٢) قَال: «سَأَل صَبيغٌ التَّميمِيُّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن (الذَّارِيَات ذَروًا) وعن (المُرسَلاتِ عُرفًا) وعن (النَّازِعَاتِ غَرقًا)؛ فقَالَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اكشِفْ رَأسَكَ، فإذَا له ضَفِيرَتَان؛ فقال: والله لو وَجَدْتُك مَحلُوقًا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ، ثمَّ كَتَب إِلَىٰ أبي مُوسَىٰ الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَّا يُجالِسَه مُسلِمٌ ولَا يُكَلِّمَه». وقد رُوِي من غَيرِ وَجهٍ أَنَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضَربَهُ ضَربًا وَجِيعًا وحَمَله عَلَىٰ قَتْبٍ(٣).

ورَوَىٰ الآجُرِّيُّ فِي كِتابِ «الشَّريعَةِ» من حَدِيثِ السَّائِب بنِ يَزِيدَ قَال: «أتىٰ

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ١٨٣) لابن كثير.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الأنصاري مولاهم أبو سعيد. روىٰ عن أبي بن كعب وغيره. روىٰ عنه أبو الأشهب العطاردي، وخلق. ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرًا ويدلس. هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. انظر: «تهذيب الكمال» (٦/ ٩٥)، و«التقريب» (١٢٢٧).

(٣) كذا عزاه في «الدر المنثور» (١٣/ ٦٥٠ - ٦٥١)، و«كنز العمال» (٢/ ٥١١).

عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالُوا: يا أَميرَ المُؤمِنين، إِنَّا لَقِينا رَجُلًا يسأَلُ عن تأويلِ القُرآنِ، فقالَ: اللَّهُمَّ أَمكِنِّي مِنهُ! فبينَما عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذاتَ يومٍ يُغدِّي النَّاسَ إِذ جاءَهُ رَجلٌ عَليهِ ثِيابٌ وعِمامَةٌ يَتغدَّىٰ حتَّىٰ إذا فَرَغ قَال: يا أَمِيرَ المُؤمِنين، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات: ١، ٢]؛ فقَالَ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنتَ هُوَ! فقام إِلَيهِ فحَسَر عن ذِراعَيهِ فلم يَزَلْ يَجلِدُه حتَّىٰ سَقطَت عِمامَتُه فقَالَ: والَّذِي نَفسُ عُمَرَ بيَدِه، لو وَجدْتُك مَحلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأسَك! أَلبِسُوه ثِيابَه واحتَمِلُوه عَلَىٰ قَتْب ثم أَخرِجُوه حتَّىٰ تَقدَمُوا به بِلادَهُ ثُمَّ ليَقُمْ خَطيبًا ثمَّ ليَقُلْ: إنَّ صَبِيغًا طَلَب العِلمَ فأَخطَأَه! فلم يَزَل وَضِيعًا فِي قَومِه حتَّىٰ هَلَك. وكَانَ سَيِّدَ قَومِه!»(١).

وإذا كان هَذَا فِعلُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع مَن كانَ يَسأَلُ عن مُتشابِه القُرآنِ؛ فكَيفَ لو رَأَىٰ مَن يَتأَوَّل القُرآنَ عَلَىٰ غيرِ تَأويلِهِ؟!

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ الصَّحابَة والتَّابِعِين فسَّروا الآياتِ الَّتِي ذَكَرها المُصنِّف بغَيرِ ما فَسَّرها به، وهم أَعلَمُ بتَفسِير القُرآن ممَّن بَعدَهُم.

قال أَبُو هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَولِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ [المرسلات: ١] **قَال**: «هي المَلائِكَة أُرسِلَت بالمَعرُوف». رَواهُ ابنُ أَبِي حاتِمٍ والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» وقَالَ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرطِ الشَّيخَينِ ولم يُخرِجَاه» ووافقه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(٢).

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٨٣) (١٥٣)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٦٠٩) (٧٨٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٧٠٢) (١١٣٧)، وغيرهم من طرق عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٥) (٣٨٨٦) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى ابنُ جَريرٍ من طَريق مَسرُوقٍ عن ابنِ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: «المَلائِكَة»(١).

وروى ابنُ المُنذِر عن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: «المَلائِكَة» ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قال: «المَلائِكَة فَرَّقت بينَ الحَقِّ والبَاطِل». ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ قال: «المَلائِكَة بالتَّنزِيل»(٢).

وروى ابنُ جَريرٍ عن مَسرُوقٍ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: «الملائكة»(٣).

وروى عَبدُ بنُ حُمَيد عن مُجاهِدٍ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: ١-٥] قال: «المَلائِكَة»(٤).

وروى عَبدُ بنُ حُمَيد وأَبُو الشَّيخِ وابنُ المُنذِر عن أَبِي صَالِحٍ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قَال: «هي الرُّسُل تُرسَلُ بالمَعرُوف» ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ قال: «الرِّيحُ» ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ قال: «المَطَر» ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قال: «الرُّسُل»(٥).

وروى عَبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جَريرٍ وابنُ المُنذِر من وَجهٍ آخَرَ عن أَبِي صَالِحٍ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قَالَ: «المَلائِكَة يَجِيئُون بالأَعارِف» ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ قال:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٣/ ٥٨٢) وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٣/ ٥٨٢)، وغيره عن مسروق قوله.

(٤) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢)، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٦٧) (٤٩٢) عن مجاهد به.

(٥) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢)، وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٣/ ٥٨٢) عن أبي صالح مختصرًا.

«الرِّيحُ العَواصِفُ» ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ قال: المَلائِكَة يَنشُرون الكُتُب» ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قال: المَلائِكَة يُفرِّقون بين الحَقِّ والبَاطِلِ» ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ قال: «المَلائِكَة يَجِيئُون بالقُرآنِ والكِتَابِ ﴿عُذْرًا﴾ من الله ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ مِنهُ إِلَىٰ النَّاسِ، وهُمُ الرُّسُل يَعذِرون ويُنذِرون»(١).

ورَوَىٰ عَبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتِمٍ وابنُ المُنذِر من طَريقِ أَبِي العُبَيدَين: «أنَّه سأَل ابنَ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: الرَّيحُ ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ قال: الرِّيحُ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ قَال: الرِّيحُ ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قال: حَسبُكَ»(٢).

ورَوَىٰ عَبدُ بن حُميدٍ وابنُ المُنذِرِ والحاكِمُ وغَيرُهم عن خالِدِ بن عَرعَرَة قال: «قام رجلٌ إِلَىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ فقال: ما العاصِفَات عصفًا؟ قال: الرِّياحُ». قَال الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسنادِ ولم يُخرِجاه» ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(٣).

ورَوَىٰ ابنُ جرير عنِ ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ قال: «الرِّيحُ» ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ قال: الرِّيحُ ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قال: «المَلائِكَة» ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ قال: «المَلائِكَة»(٤).

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢).

(٢) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨١). وانظر: «تفسير مجاهد» (ص٦٩١)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق» (١٥٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ به.

(٣) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨١)، وأخرجه ابن راهويه في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٤٢٠) (٣٧٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٥) (٣٨٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٥٢) (٣٧٠٤) وغيرهم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ به.

(٤) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢) بهذا السياق، والذي في المطبوع من «تفسير ابن جرير» =

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ عن مُجاهِد ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ **قال:** «الرِّيحُ» ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾ قال: «الرِّيحُ» ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ قال: «الرِّيحُ»(١).

ورَوَىٰ عَبدُ الرَّزَّاق وعَبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جَريرٍ وابنُ المُنذِر عن قَتادَة ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ **قَالَ:** «هي الرِّيحُ» ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾ قال: «هي الرِّيحُ» ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ يَعنِي: القُرآنُ ما فرَّقَ الله به بين الحَقِّ والبَاطِل» ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾: «هي المَلائِكَة تُلقِي الذِّكرَ عَلَىٰ الرُّسُل وتُلقِيه الرُّسُل عَلَىٰ بَنِي آدَمَ» ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ قال: «عُذرًا من الله ونُذرًا مِنهُ إِلَىٰ خَلقِه»(٢).

فهَذِه أَقوالُ الصَّحابَة والتَّابِعين فِي تَفسِير الآيَاتِ من أَوَّل سُورَة المُرسَلَات كَمَا تَرَىٰ، والعُمدَة عَليها لا عَلَىٰ قَرمَطَة المُقرمِطِين وشَطَحاتِ المُنحَرِفين الخاطِئِين!

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَقسَم بالآيَاتِ من أَوَّل سُورَة المُرسلَات عَلَىٰ وُقوعِ المَعادِ والجَزاءِ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَعظَمُ وأجلُّ من أن يُقسِم بظُلمِ بني آدَمَ وعُدوانِ بَعضِهِم عَلَىٰ بَعضٍ وإِهلاكِهِم للحَرثِ والنَّسلِ بالطَّائِرات والقَنابِل وما يُلقُونه من مَنشُوراتِ البَغي والإِفسادِ فِي الأَرضِ، ومَن زَعم أنَّ الله تَعالَىٰ أَقسَم بالطَّائِرات والقَنابِل ومَنشُوراتِ أَهلِها فقَد أَعظَمَ عَلَىٰ الله الفِريَةَ!

=

(٢٣/ ٥٨٠، ٥٨٤) بلفظ مختصر. وإسناده ضعيف مسلسل بالعوفيين.

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨١) عن مجاهد به.

(٢) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢)، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨١، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٩) عن قتادة به.

فَصلٌ

وقَالَ المُصنِّف فِي صَفحَة (١٦- ١٧) ما نَصُّه:

«**وقال تعالَىٰ:** ﴿**قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ [الأنعام: ٦٥] الآيَةَ؛ فإنَّها وَارِدَة فِي إِلقاءِ القَنابِل من الطَّائِرات؛ فقد سُئِل رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن هَذِه الآيَةِ الكَريمَة فقال: «**أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ**». رَواهُ أَحمَد فِي «مُسنَدِه» من حَدِيث سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ بسَنَد حَسَن[(١)].

فهَذَا يُفِيد القَطعَ بأَنَّ المُرَاد بالعَذابِ من فَوقَ فِي الآيَةِ المَذكُورَة هُوَ القَنابِل النَّازِلَة من الطَّائِرات؛ لأَنَّه لم يَقَع فيما مَضَىٰ شَيءٌ من ذَلِك فِي هَذِه الأُمَّة حتَّىٰ ظَهَرت الطَّائِرات ورَميُها بالقَنابلِ، والنَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبَرَ بأَنَّ ذَلِك كائِنٌ لا مَحالَةَ وأَنَّه آتٍ بَعدَه، فحَصَل من ذَلِك القَطعُ أَنَّها المُرَادُ من الآيَةِ.

وقَد تحقَّقَ ذَلِك وضرب المُسلِمون وغَيرُهم بالقَنابِل من فَوقِهم، ولا يَزالُ النَّاس مُهَدَّدين بالنَّوعِ الخَطَر مِنَها وهي القنابِلُ الذَّرِّيَّة الَّتِي هي عَذابٌ عامٌّ شامِلٌ، وستَأتِي الإِشارَةُ إِليَها بخُصوصِها فِي آيَةٍ أُخرَىٰ.

وأَمَّا العَذابُ من تَحتِ الأَرجُلِ: فأَشارَ إِلَىٰ الألغام الَّتِي تُنصَب فِي الأَرضِ فيَمُرُّ عَلَيها مَن يُرادُ إِهلاكُه فتَنفَجِر تَحتَ رِجلِه أو عَرَبتِه فيَهلِك، أو تُنصَب تَحتَ الدُّورِ والمَنازلِ فتَتَهَدَّم عَلَىٰ مَن فِيهَا مِمَّن يُرِيد الله هَلاكَه وعَذَابَه.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٧٠) (١٤٦٦)، والترمذي (٣٠٦٦) وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعف إسناده الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (ص٣٧٥).

ومن الأحاديثِ العَجِيبَة فِي هَذَا البابِ: ما رَواهُ أَحمَد فِي «مُسنَدِه» بسَنَد صَحيحٍ عن أبي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُمْطِرَ السَّمَاءُ مَطَرًا لا تَكُنُّ مِنْهَا بُيُوتُ الْمَدَرِ، وَلا تَكُنُّ مِنْهَا إِلَّا بُيُوتُ الشَّعَرِ**»(١).

فالمَطَر الَّذِي لا تَكُنُّ مِنهُ البُيوتُ المَبنِيَّة بالحَجَر هُوَ القَنابِل النَّازِلَة من الطَّائِرات، فإنَّه يَهدِمُها عَلَىٰ مَن فِيهَا ولو لم تَنزِل عَلَىٰ البَيتِ نَفسِه؛ لأنَّ قُوَّةَ انفِجارِها تَهدِم البُيوتَ القَرِيبَة من مَكانِ الانفِجَار عَلَىٰ مَن فيها، فلا تَكُنُّ بُيوتُ المَدَر مِنهَا، وإنَّما تَكُنُّ مِنها بيوتُ الشَّعَر فِي البَوادِي الَّتِي سَكَن أَهلُها خِيامَ الشَّعَر، فإنَّ القَنابِل إذا لم تَنزِل عَلَىٰ نَفسِ الخَيمَة لا يَحصُل منها ضَررٌ لسُكَّان القَريَة الَّذِين يَختَبِئون فِي المَغارَات وتَحتَ الأَحجَار؛ فالحَدِيث لَولَا ظُهُور القَنابِل لَمَا تَصوَّر أَحدٌ مَعناهُ».

والجَوابُ أن يُقالَ:

إنَّ تَأوِيلَه للآيَةِ الكَريمَة وقَطْعَه بما قَطَع به فِيهَا من نَمَط ما قَبلَه مِن التَّكلُّف وتَأَوُّل القُرآنِ عَلَىٰ غَيرِ تَأوِيلِه.

والصَّحِيحُ: أنَّ المُرَاد بقَولِه: ﴿**عَذَابًا مِّن فَوۡقِكُمۡ**﴾ الرَّجمُ من السَّماءِ، ﴿**أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ**﴾ الخَسفُ. قَالَه أُبَيُّ بنُ كَعبٍ وأَبُو العَالِيَة ومُجاهِدٌ وسَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ وأَبُو مالِكٍ والسُّدِّيُّ وابنُ زَيدٍ وغَيرُ واحِدٍ(٢).

وقَالَ ابنُ جَريرٍ: حدَّثنِي مُحَمَّد بن عِيسَىٰ الدَّامغانِيُّ قال: أخبَرَنا ابنُ المُبارَكِ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٢) (٧٥٥٤)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٦٦).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

عن الرَّبيعِ بنِ أَنَس عن أَبِي العاليَةِ[(١)] فِي قَولِه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الآيَةَ. قَالَ: «فهُنَّ أَربعٌ، وكُلُّهُنَّ عَذابٌ؛ فجاءَ مِنهُن اثنتَانِ بعدَ وَفاةِ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخَمسٍ وعِشرين سَنَةً فأُلبِسُوا شِيَعًا وأُذِيق بَعضُهم بَأسَ بعضٍ، وبَقِيَت اثنتَانِ فَهُما لَابُدَّ واقِعَتَانِ؛ يَعنِي: الخَسْفَ والمَسْخَ»[(٢)].

وقد رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ وابنُ جَريرٍ من طَريقِ أَبِي جعفَرٍ الرَّازِيِّ عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ عن أَبِي العَالِيَة عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فِي قَولِه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «أَربَعُ خِلَالٍ وكُلُّهُن عَذابٌ، وكُلُّهُن واقِعٌ قَبلَ يَومِ القِيامَةِ؛ فمَضَت اثنتَان بَعدَ وَفاةِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخَمسٍ وعِشرين سنةً: أُلبِسُوا شِيَعًا؛ وأُذِيق بَعضُهم بأسَ بَعضٍ، وثِنتَان واقِعَتانِ لا مَحالَةَ: الخَسفُ، والرَّجمُ». قَال الهَيثَمِيُّ: «رِجالُ أَحمَد ثِقاتٌ». قُلتُ: وكَذَا رِجالُ ابنِ جَريرٍ.

قَال الهَيثَمِيُّ: «والظَّاهِرُ أنَّ مِن قَولِهِ: «فمَضَت اثنتَانِ...» إِلَىٰ آخره، مِن قَول رُفَيعٍ -يَعنِي: أبا العَالِيَة-؛ فإنَّ أُبَيَّ بنَ كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يَتأَخَّرْ إِلَىٰ زَمَن الفِتنَةِ» انتهَىٰ[(٣)].

---

(١) هو رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر سمع من عمر، وعلي، وغيرهما، روىٰ عنه الأعمش، والربيع بن أنس، وجماعة. ثقة كثير الإرسال، من الثانية، مات سنة تسعين وقيل: ثلاث وتسعينن وقيل بعد ذلك. انظر: «تهذيب الكمال» (٩/ ٢١٤)، و«التقريب» (١٩٥٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٣٠١) عن أبي العالية به، وفي إسناده الدامغاني أبو الحسين -نزيل الري-مقبول.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤) (٢١٢٦٥)، وابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩) وغيرهما عن أبي بن كعب، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف». وانظر أيضًا: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١).

والقَول الثَّانِي فِي الآيَةِ: أنَّ المُرَاد بقَولِه: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: أَئِمَّة السُّوءِ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الخَدَم وسِفلَة النَّاس. رَواهُ ابن جَريرٍ وابنُ أبي حاتِمٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١).

قَالَ ابنُ جَريرٍ -فِيمَا نَقَله ابنُ كَثيرٍ(٢) عَنهُ-: «وهَذَا القَولُ وإِن كانَ لَهُ وَجهٌ صَحيحٌ لَكِنَّ الأَوَّلَ أَظهَرُ وأَقوَىٰ».

قال ابنُ كَثيرٍ: «وهُوَ كَمَا قَال ابنُ جَريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، ويَشهَدُ له بالصِّحَّة قَولُه تعالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وفِي الحَدِيث «**لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْخٌ**» وذَلِكَ مَذكُورٌ مع نَظائِره فِي أَمارَاتِ السَّاعَة وأَشراطِها وظُهورِ الآيَاتِ قَبلَ يَوم القِيَامَة». انتَهَىٰ.

وقَد تَضافَرَت الأَخبارُ بوُقوعِ القَذفِ والخَسفِ والمَسخِ فِي آخِرِ هَذِه الأُمَّة، وأَكثَرُ ما جاءَ الوَعيدُ فِي ذَلِك لأَصحَاب الغِناءِ والمَلاهِي وشَارِبِي الخُمورِ، وهي تُوافِقُ ما قَالَه أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَن قَال بقَولِه فِي تَفسِير الآيَةِ الكَريمَة.

وأَمَّا كَلام المُصنِّف فِي مَعنَىٰ حَدِيث أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلا يَخفَىٰ ما فِيهِ من التَّعَسُّف والتَّكَلُّف، وما تَصَوَّره فِي مَعناهُ فهو تَصَوُّر فاسِدٌ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٩-١٣١٠) وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٧٦).

وبَيَانُ ذَلِكَ مِن وُجوهٍ:

أَحَدُها: أَنَّ بُيوتَ الشَّعَر لا تَكُنُّ من القَنابِل كما زَعَمه المُصنِّف، بل هي أَقرَبُ إِلَىٰ الِاحتِراقِ والتَّلَف من بُيوتِ المَدَر، وهَذَا لا يَخفَىٰ عَلَىٰ الصِّبيانِ فَضلًا عن الكِبَارِ العُقَلاءِ.

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ سُكَّان الخِيَامِ إذا اختَبَئُوا عن القَنابِل فِي المَغاراتِ وتَحتَ الأَحجارِ فلا يُقالُ: إنَّ الخِيامَ هي الَّتِي تَكُنُّهُم من القَنابِل كما تَصَوَّره المُصنِّف، وإنَّما تَكُنُّهم المَغاراتُ والأَحجارُ.

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ الحَدِيثَ لا تَعَرُّض فِيهِ لذِكْر البُيوتِ المَبنِيَّة بالحَجَر، وإنَّما ذُكِرَت فِيهِ بُيوتُ المَدَر، والمَدَر غَيرُ الحَجَر.

قَال ابنُ الأَثيرِ: «المَدَر: هُوَ الطِّينُ المُتَماسِكُ»(١).

وقَالَ ابنُ مَنظُورٍ فِي «لِسانِ العَرَب»(٢): «المَدَر: قِطَعُ الطِّينِ اليابِسِ، وقِيلَ: الطِّينُ العِلْك الَّذِي لا رَمْلَ فِيه. قال: والمَدْر للحَوضِ: أن تُسَدَّ خُصاصُ حِجَارَته بالمَدَرِ، وقِيلَ: هُوَ القَرْمَدَة إلَّا أنَّ القَرْمَدَة بالجِصِّ والمَدْر بالطِّينِ وفِي «التَّهذيبِ»(٣): والمَدْر تَطيينُك وَجهَ الحَوضِ بالطِّينِ الحُرِّ لِئَلَّا يَنشَفَ». انتَهَىٰ.

وإذا عُلِمَ هَذَا؛ فالظَّاهِر مِن صَنِيعِ المُصنِّف أنَّه إنَّما عَدَل عَن بُيوتِ المَدَر إِلَىٰ بُيُوت الحَجَر ليُوهِمَ بذَلِك صِحَّة تَصَوُّرِه الفاسِدِ لمَعنَىٰ الحَدِيثِ، ولا يَخفَىٰ ما فِي تَعبِيره ببُيوتِ الحَجر مِن تَغيِير مَعنَىٰ الحَدِيثِ وما يُرادُ به.

---

(١) انظر: «النهاية» (٤/ ٣٠٩).

(٢) (٥/ ١٦٢).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٨٦).

الوَجهُ الرَّابع: أنَّ بُيوتَ المَدَر إذا تَتابَعَ عَلَيها نُزولُ المَطَر يومَيْنِ أو نَحوَها لا يَفتُر عنها لا يُمسِك الماءَ، بل يَنزِل مِنهُ قَطْر كَثيرٌ عَلَىٰ مَن فِيهَا بخِلَافِ بُيوتِ الشَّعَر؛ فإِنَّ الماءَ يَزِلُّ عَنهَا وتكُنُّ ساكِنِيها مِنهُ، وهَذَا شَيءٌ مَعرُوف عِندَ الحاضِرَة والبادِيَة، وعَلَىٰ هَذَا فالحَدِيثُ عَلَىٰ ظاهِرُه لا عَلَىٰ ما تَصَوَّرَه المُصنِّف، والله أَعلَمُ.

فَصلٌ

وقَالَ المُصنِّف فِي صَفحَة (١٧ - ١٨) ما نَصُّه:

«ومن تِلكَ القَنابِل الَّتِي تُلقِيها الطَّائِراتُ للعَذابِ: ما ظَهَر حَدِيثًا من القَنابِل الذَّرِّيَّة والهَيدْرُوجِينِيَّة القَوِيَّةِ المَفعولِ، وهِيَ مع كَونِهَا داخِلَةً بطَرِيقِ الأَوْلىٰ فِي الآيَةِ السَّابِقَة فلَها -أيضًا- آيةٌ تَخُصُّها من بَينِ أَنواعِ القَنابِل الأُخرَىٰ، قَال تَعالَىٰ فِي أَشراطِ السَّاعَةِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس: ٢٤]؛ فإِنَّ أهلَ الدُّنيا -وهم الكُفَّار- وإِنْ ظَنُّوا بما تَيَسَّر لَهُم من المُختَرَعاتِ أَنَّهُم قادِرُون عليها إِصلاحًا وعِمارَةً وتَزيِينًا وهَدمًا وتَخرِيبًا، لم يَقْوَ عِندَهم هَذَا الظَّنُّ حتَّىٰ حَصَل عِندَهُم القَطعُ -أو كادَ- بِأَنَّهُم قَادِرُون عَلَيها إِلَّا بَعدَ حُصولِهِم عَلَىٰ القَنابِلِ الذَّرِّيَّة والطَّاقَة الذَّرِّيَّة كما هُوَ مَعلُومٌ.

وبِهَذا يُعلَمُ أَنَّ السَّاعةَ قَرِيبةٌ جدًّا، وأَنَّ ظُهورَ أَشراطِهَا الكُبْرَىٰ كالمَهدِيِّ وعِيسَىٰ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ مُنتظَرٌ مِن يومٍ لآخَر.

وقد يَكُون المُرَاد قوله تَعالَىٰ: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس: ٢٤] أَنَّه سيُسَلِّط أَصحَابَ هَذِه القنابل بَعضَهُم عَلَىٰ بَعضٍ فيتَحارَبُون بِهَا ويَكُون ذَلِك سببًا فِي

خَرابِ الدُّنيا وجَعْلِها حَصِيدًا كمَا قَال الله تَعالَىٰ، وكما يَصِفُه الواصِفُون لمَفعُول هَٰذِه القَنابِلِ الَّتِي يُبْدُون مِنهَا تَخوُّفَهم العَظِيمَ عَلَىٰ الدُّنيا بأَسرِها، ولكِنْ لا تَقع هَٰذِه الحَربُ المُؤَدِّيَة إِلَىٰ ما قَال الله تَعالَىٰ إلَّا بعد خُروجِ المَهدِيِّ ونُزولِ عِيسَىٰ لقَتْلِ الدَّجالِ وطُلوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها وخُروجِ الدَّابَّة وغَيرِ ذَٰلِك ممَّا صَحَّت به الأَخبارُ ومِمَّا هُوَ واقِعٌ لا مَحالَةَ».

والجَوابُ عن هَٰذَا مِن وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ هَٰذَا من نَمَط ما قَبلَه من القَرمَطَة والقَولِ فِي كتابِ الله بغَيرِ عِلمٍ.

الثَّانِي: أنَّ الآيَةَ من سُورَةِ يُونُس لَيسَت وارِدَةً فِي أَشراطِ السَّاعَة كَمَا زَعَمه المُصنِّف، ولَيسَت فِيهَا دَلالَةٌ عَلَىٰ وُجودِ القَنابِل الذَّرِّيَّة والهَيدْرُوجِينِيَّة بوَجهٍ من الوُجوهِ، وإنَّما هي مَثَلٌ ضَرَبه الله تَعالَىٰ لسُرعَة زَوالِ الدُّنيا وانقِضَائِها، ولا خِلَافَ بَينَ المُفسِّرين فِي هَٰذَا.

وهَٰذِه الآيَةُ كقَولِه تَعالَىٰ فِي سُورَة الكَهفِ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وقَال تَعالَىٰ فِي سُورَة الزُّمَر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ٢١].

وقَال تَعالَىٰ فِي سُورَة الحَدِيدِ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

مُّصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا﴾ [الحديد: ٢٠].

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ خَرابَ الدُّنيا بأَسرِها وقِيامِ السَّاعة لا يَكُون عَلَىٰ أَيدِي بَنِي آدَمَ بتَفجِير القَنابِل القَوِيَّةِ المَفعُولِ، كَما قَد تَوَهَّمَه المُصنِّف، وكَمَا يَظُنُّه كَثيرٌ من أَهلِ زَمانِنَا مِمَّن قَلَّ نَصِيبُهم من العِلمِ النَّافِعِ، وإنَّما يَكُون ذَلِك بالنَّفخِ فِي الصُّورِ كَمَا أخبَرَ الله تَعالَىٰ بذَلِك فِي آياتٍ كَثِيرَةٍ من القُرآنِ كقوله تعالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٣-١٦].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

قَال ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: «الرَّاجِفَة: النَّفخَة الأُولَىٰ، والرَّادِفَة: النَّفخَة الثَّانِيَة». ذَكَره البُخارِيُّ فِي «صَحِيحِه»، ورَواهُ ابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتِمٍ وابنُ المُنذرِ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٨) معلقًا، وابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥) وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا. وانظر: «الدر المنثور» (١٥/ ٢٢٢).

وهَكَذا قَال مُجاهِدٌ والحَسَن وقَتادَةُ والضَّحَّاك وغيرُ واحِدٍ(١).

وقال تعالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨-١٠].

قَال ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «النَّاقُورُ: الصُّورُ». ذَكَره البُخارِيُّ فِي «صَحِيحِه»، ورَوَاه ابنُ جَريرٍ وابنُ المُنذِرِ وابنُ مَردُويَه(٢). وهَكَذا قَال مُجاهِدٌ والشَّعبِيُّ وزَيدُ بنُ أَسلَمَ والحَسَن وقَتادَةُ والضَّحَّاك والرَّبيعُ بنُ أنسٍ والسُّدِّيُّ وابنُ زَيدٍ(٣).

وقَال تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢] والآياتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وفي الحَدِيث الصحيح عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ**». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ ومُسلِمٌ(٤).

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٨) معلقًا، وابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢٠) وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر: «الدر المنثور» (١٥/ ٦٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤١٩- ٤٢٠).

(٤) سبق تخريجه.

قَال الجَوهَرِيُّ: «اللِّيتُ -بالكَسرِ-: صَفحَة العُنُق وهُما لِيتَانِ».

وقَالَ ابنُ مَنظُورٍ فِي «لِسَانِ العَرَب»: «وفِي الحَدِيث: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا**»؛ أي: أَمالَ صَفحَة عُنُقِه».

وفِي حَدِيث الصُّورِ الَّذِي رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ والطَّبَرانِيُّ عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ مَلَكًا، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَىٰ فِيهِ، شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ الْعَرْشَ، يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ**» قُلتُ: يا رَسُول الله، وما الصُّورُ؟ قال: «**قَرْنٌ**» قُلتُ: كَيفَ هُوَ؟ قَال: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ، أَنَّ عِظَمَ دَارَةٍ فِيهِ لَعَرْضُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ أَنْ يَمُدَّهَا وَيُطَوِّلَهَا فَلا يَفْتُرُ، وهي الَّتِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾** [ص: ١٥]...» الحَدِيثَ بطُولِه، وفيه: «**ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ**». قَال ابنُ كَثِيرٍ: «هَذَا حَدِيثٌ مَشهُورٌ، وهُوَ غَرِيبٌ جِدًّا ولبَعضِه شَواهِدُ»(١).

ورَوَىٰ الحاكِمُ فِي «مُستَدرَكه» عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**». قَال الحاكِمُ: «صَحِيحُ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٨) (١٦٦٢١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٩٠).

الإِسنادِ ولم يُخرِجَاهُ»، وقَالَ الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»: «عَلَىٰ شَرطِ مُسلِمٍ»(١).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ وابنُ جَرِيرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ والطَّبَرانِيُّ من حَدِيثِ عَطِيَّةَ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي قَولِه: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] قَال: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟!**» فقَالَ أَصحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: كَيفَ نَقُولُ؟ قال: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**». قَال الهَيثَمِيُّ: فِيهِ عَطِيَّةُ العَوفِيُّ وهُوَ ضَعِيفٌ وفيه تَوثِيقٌ لَيِّنٌ». وقَالَ ابن كثير: هُوَ حَدِيثٌ جيِّدٌ»(٢).

وقد رَوَىٰ الحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» من حَدِيث عطِيَّةَ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي قَولِه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [المؤمنون: ١٠١] قال: رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ؟!**» قَال أَصحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: كيفَ نَقُول يا رَسُول الله؟ قال: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**»(٣).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ -أيضًا- والتِّرمذِيُّ من حَدِيث عطِيَّةَ عن أَبِي سَعِيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٣) (٨٦٧٦) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٦) (٣٠١٠)، وابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٤١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٢٨) (١٢٦٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٣) (٨٦٧٧) وغيرهم من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٧١)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٩).

(٣) انظر: التخريج السابق.

قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَىٰ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟!**» فكأَنَّ ذَلِك ثَقُل عَلَىٰ أَصحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ لَهُم: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**». قَال التِّرمذِيُّ: «هَذَا حَدِيث حسن»، وصحَّحَه ابنُ حِبَّان، ورَواهُ الحاكِمُ فِي «مُستَدركِه» من حَدِيثِ أَبي صَالِحٍ عن أَبي سَعِيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... فذَكَره بنَحوِه[١].

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَدُ -أيضًا- والطَّبرانِيُّ عن زَيدِ بنِ أرقَم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ وَأَصْغَىٰ السَّمْعَ مَتَىٰ يُؤْمَرُ؟!**» قَال: فسَمِع بذَلِك أَصحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشَقَّ عَلَيهِم فقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**». قَال الهَيثَمِيُّ: «رِجالُه وُثِّقوا عَلَىٰ ضَعفٍ فِيهِم»[٢].

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَدُ -أيضًا- عن أَبِي مُرَيَّةَ[٣] عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أو عَن

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧) (١١٠٥٣)، والترمذي (٢٤٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٠٥) (٨٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٣) (٨٦٧٨)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٤) (١٩٣٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٩٥) (٥٠٧٢)، وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وانظر: «المجمع» (١٠/ ٣٣٠). وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٩).

(٣) هو عبد الله بن عمرو، أبو مُرَاية، وقيل: أبو مُرَيَّة، العجلي البصري. روىٰ عن عمران بن حصين، وغيره. روىٰ عنه قتادة، وأسلم العجلي، وغيرهما. قال ابن سعد: «كان قليل الحديث»، وقال الدارقطني: «يعتبر به»، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٣١). وانظر أيضًا: «الطبقات الكبرىٰ» (٧/ ٢٣٦)، و«العلل ومعرفة الرجال» (١/ ٢٦٨)، و«التاريخ الكبير» (٥/ ١٥٤)، و«الجرح والتعديل» (٥/ ١١٨)، و«سؤالات البرقاني للدارقطني» (ص٧٦).

عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَال: «**النَّفَّاخَانِ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَشْرِقِ، وَرِجْلَاهُ بِالْمَغْرِبِ** -أو قَال: **رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَغْرِبِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَشْرِقِ- يَنْتَظِرَانِ مَتَىٰ يُؤْمَرَانِ يَنْفُخَانِ فِي الصُّورِ فَيَنْفُخَانِ**». قَال الهَيثَمِيُّ: «رواهُ أَحمَدُ عَلَىٰ شكٍّ فإن كان عن أَبِي مُرَيَّةَ فهو مُرسَل ورِجالُه ثِقاتٌ؛ وإن كَان عن عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فهُو متَّصِلٌ مُسنَدٌ ورِجالُه ثِقاتٌ»(١).

ورَوَىٰ ابن مَاجَهْ والبَزَّار والحاكِمُ عن أبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَلَكَانِ مُوَكَّلانِ بِالصُّورِ يَنْتَظِرَانِ مَتَىٰ يُؤْمَرَانِ فَيَنْفُخَانِ**»(٢).

ورَوَىٰ الطَّبرانِيُّ فِي «الأوسَطِ» عن عَبدِ الله بن الحارِثِ قال: «كُنتُ عِندَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعِندَها كَعبٌ الحَبْرُ؛ فذَكَر إِسرَافِيلَ فقالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا كَعبُ، أَخبِرنِي عن إِسرافِيلَ فقَالَ كَعبٌ: عِندكُم العِلمُ. قَالتْ: أَجَلْ! قَالَتْ: فأَخبِرنِي! قَال: له أَربعَةُ أَجنِحَةٍ جَناحانِ فِي الهَواءِ وجَناحٌ قد تَسَرْبَلَ به وجَناحٌ عَلَىٰ كاهِلِه، والقَلَم عَلَىٰ أُذُنِه فإِذَا نَزَل الوَحيُ كَتَب القَلَم ثُمَّ دَرَستِ المَلائِكَةُ ومَلَكُ الصُّورِ جَاثٍ عَلَىٰ إِحدَىٰ رُكبَتَيْهِ وقد نَصَب الأُخرَىٰ فالتَقَم الصُّورَ مَحنِيٌّ ظَهرُه، وقد أُمِر إذا رَأَىٰ إِسرَافِيلَ قد ضَمَّ جَناحَهُ أن يَنفُخ فِي الصُّورِ. فقَالَت عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَكَذا سَمِعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ». قَال المُنذِرِيُّ والهَيثَمِيُّ: «إِسنادُه حَسَن»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢) (٦٨٠٤)، وغيره من حديث أبي مرية، أو عن عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وانظر: «الصحيحة» (٣/ ٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٩) مختصرًا، كما أخرجه البزار في «المسند» (٤/ ١٥٣) (٣٤٢٤) - كشف، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٤) (٨٦٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني: «ضعيف جدًّا». انظر: «الضعيفة» (٢٠١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ١١٤) (٩٢٨٣) وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ورَوَىٰ الطَّبرانِيُّ -أيضًا- عن عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَال: «يَقُوم مَلَكٌ بالصُّورِ بين السَّماءِ والأَرضِ فيَنفُخ فِيه؛ فلا يَبقَىٰ خَلْقٌ مِن خَلْقِ الله إلَّا ماتَ إلَّا مَن شَاءَ رَبُّك»(١).

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحمَدُ وأبو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ وابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه» والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» عن عَبدِ الله بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قَال أَعرَابِيٌّ: يا رَسُول الله، ما الصُّورُ؟ قال: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصحَّحه الحاكِمُ والذَّهبِيُّ(٢).

وذَكَر البُخاريُّ فِي «صَحِيحه» عن مُجاهِدٍ أنَّه قَال: «الصُّورُ كَهيئَةِ البُوقِ».

ورَواهُ عَبدُ بنُ حُمَيدٍ بإسنَادِه عن مُجاهِدٍ أنَّه قَال: «الصُّورُ شَيءٌ كهَيئَةِ البُوقِ»(٣).

وفِي «الصَّحيحَينِ» عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالُوا: أَربَعُون شَهرًا؟ قَال: أَبَيْتُ، قَالُوا:

=

انظر: «المجمع» (١٠/ ٣٣١). قال الحافظ: «ورجاله ثقات إلا علي بن زيد بن جدعان ففيه ضعف». انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٦٩).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٥٤) (٩٧٦١) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢) (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ٣٠٣) (٧٣١٢)، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٤٧٣) (٣٦٣١) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٨) معلقًا عن مجاهد به، وهو في «تفسيره» (ص٥٨٠)، كما أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٨/ ١٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٩) (١٦٦٢٣)، وعزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٨) لعبد بن حميد.

أَرْبَعُون سَنَةً؟ قَال: أَبَيْتُ(١).

وبِمَا ذَكَرْتُه من الآيَاتِ والأَحادِيثِ يُعلَم قَطعًا أَنَّ خرابَ الدُّنيا وقِيامَ السَّاعَةِ إِنَّما يَكُون بأَمرٍ سَماوِيٍّ لا صُنْعَ للبَشَر فِيهِ، ويُعلَم قَطعًا بُطلَانُ ما يَتَخَرَّصُه المُتَخَرِّصون من خَرابِ الدُّنيا وقِيامِ السَّاعَة عَلَىٰ أَيدِي بني آدَمَ.

فَصل

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (١٨) ما نَصُّه:

«ومنها: التِّليفُون والتِّلِغرَاف والرَّاديو، ويُشِير إِلَىٰ ذَلِك قَولُه تَعالَىٰ: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٣]، بل هُوَ ظاهِرٌ فِيهِ».

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أن يُقالَ: هَذَا من نَمَطِ ما قَبلَه من التَّكَلُّف والتَّعَسُّف، ولَيسَ فِي الآيَةِ الَّتِي ذَكَرها ما يُشِير إِلَىٰ التِّليفُون والتِّلِغرَاف والرَّاديو بوَجهٍ من الوُجوهِ، فَضلًا عن أن يَكُون ظاهِرًا فِي ذَلِكَ.

الوَجهُ الثَّانِي: أَنَّ الآيَةَ وارِدَةٌ مع الآيَاتِ قَبلَها فِي تَكذِيب كُفَّار قُرَيشٍ للنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ولِمَا جَاء بِهِ مِن عِندِ الله، وسِياقُ الآيَاتِ وَاضِحٌ فِي ذَلِك؛ قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ إِلَىٰ قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٣-٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

قال مالكٌ عن زَيدِ بن أَسلَمَ: «﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: بالظَّنِّ»(١).

قَالَ ابنُ كَثيرٍ: «هُوَ كما قَال تَعالَىٰ: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ فتَارَةً يَقُولُون: شاعِرٌ، وتارَةً يَقُولون: كاهِنٌ، وتارَةً يَقُولون: ساحِرٌ، وتارَةً يَقُولون: مَجنونٌ... إِلَىٰ غَيرِ ذَلِك من الأَقوالِ البَاطِلَةِ، ويُكَذِّبون بالبَعثِ والنُّشورِ والمَعادِ، ويَقُولون: إن نَظُنُّ إلَّا ظنًّا وما نَحنُ بمُستَيقِنِين.

قَال قَتادَة ومُجاهِدٌ: يَرجُمُون بالظَّنِّ لا بَعْثَ ولا جَنَّةَ ولا نَارَ»(٢).

وذَكَر البَغَوِيُّ عن مُجاهِدٍ أنَّه قَال: «يَرمُون مُحَمَّدًا بالظَّنِّ لا باليَقِينِ، وهُوَ قَولُهُم: ساحِرٌ وشاعِرٌ وكاهِنٌ، قَال: ومَعنَىٰ الغَيبِ هُوَ الظَّنُّ؛ لأنَّه غَابَ عِلمُه عَنهُم. والمَكانُ البَعِيدُ: بُعدُهم عن عِلْمِ ما يَقُولون، والمَعنَىٰ: يَرمُون مُحَمَّدًا مِن حَيثُ لا يَعلَمُون»(٣).

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ التَّخاطُبَ بوَاسِطَةِ التِّليفُون والتِّلغْراف ليس هُوَ من القَذفِ بالغَيبِ كَما تَوَهَّمَه المُصنِّف؛ لأنَّ القَذفَ بالغَيبِ هُوَ القَولُ بالظَّنِّ والحَدْسِ من غيرِ عِلمٍ ويَقينٍ، والتَّخاطُبُ بوَاسِطَة التِّليفُون والتِّلغرَاف لَيسَ كَذَلِكَ، وإنَّما هُوَ فِي الغالِبِ مُخاطَبَةٌ عن عِلمٍ ويَقينٍ بما يُخاطِبُ به المَرءُ صاحِبَه، وهُوَ فِي الحَقِيقَة من المُخاطَبَة مُشافَهَة، وإنْ كَان ذَلِك بواسِطَةِ الآلَةِ الكَهرُبائِيَّة.

ونَشْرُ الأَخبارِ من الإذَاعاتِ هُوَ من هَذَا البابِ، إلَّا ما يُذاعُ فِيهَا من النَّشَرات الجَوِيَّة فهِيَ من الرَّجمِ بالغَيبِ، وكَذَلِكَ ما يُقَال بلا عِلمٍ ويَقينٍ فكُلُّه من القَذفِ بالغَيبِ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٢٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦/ ٥٢٩).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٦/ ٤٠٧).

قَال الجوهَرِيُّ: «الرَّجمُ: أن يتكَلَّم الرَّجُل بالظَّنِّ قَال تَعالَىٰ: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: ٢٢] »(١). وقَالَ الرَّاغِبُ الأَصفَهانِيُّ: ويُستَعار الرَّجمُ للرَّمي بالظَّنِّ والتَّوَهُّم»(٢) نحو: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: ٢٢] وقَالَ الشَّاعِرُ(٣):

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

فصلٌ

وذَكر المُصنِّف فِي صَفحَة (١٩):

«أنَّ العِلمَ انتَشَر بسَبَب الدُّرُوس والمُحاضَرَات والمَقالاتِ الَّتِي تُذاعُ بالرَّاديو فيَسمَعُها الرِّجالُ والنِّساءُ والكِبارُ والصِّغارُ والعَبيدُ والأَحرارُ».

والجَوابُ: أنْ يُقَال:

لَيس الأَمرُ كَما زَعَمه المُصنِّف مِنِ انتِشَارِ العِلمِ بسَبَب الرَّاديو، وإنَّما انتَشَرت بسَبَبِه المَعازِفُ والأَغانِي الخَلِيعَةُ والمَهازِلُ السَّخيفَةُ وغَيرُها من أَنواعِ الفِتَن والشُّرورِ الَّتِي هي أَضَرُّ شَيءٍ عَلَىٰ الدِّينِ والأَخلاقِ، فهَذِه هي الَّتِي يتلقَّاها أكثَرُ المُستَمِعين إِلَىٰ الرَّاديو من رِجالٍ ونِساءٍ وكِبارٍ وصِغارٍ، وهي الرَّائِجَة عِندَ مُتَّخذِيه إلَّا مِن شَاء الله مِنهُم.

(١) انظر: «مختار الصحاح» (ص ١١٩).

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (ص٣٤٥)، و«تاج العروس» (٣٢/ ٢١٨).

(٣) عجز بيت لزهير بن أبي سلمىٰ صدره:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

انظر: «ديوان زهير» (ص٣)، و«شرح المعلقات» للزوزني (ص١٤٣).

ولا يُنكَر أنَّه يُنشرُ فِي بَعضِ الأَحيانِ مِن بَعضِ الإِذاعَاتِ دُرُوسٌ ومَقالاتٌ ومُحاضَراتٌ عِلمِيَّةٌ، ولَكِنْ لا يَستَمِع إِلَيها إِلَّا القَلِيلُ من مُتَّخِذِي الرَّاديو والمُستَمِعِين إِلَيه، وأمَّا الأَكثَرُون فلا رَغبَةَ لَهُم فِيهَا ولا فِي سَماعِها، فتَرَاهُم عَاكِفِين عَلَىٰ استِمَاعِ المَعازِف والأَغانِي والمَهازِل فِي غالِبِ أَوقاتِهِم، فإِذَا جاءَتْهم القِراءَةُ أو الدُّروسُ والمُحاضَرات العِلمِيَّة أَغلَقُوا الرَّاديو عَنها وأَدارُوه إِلَىٰ ما هُم مَفتُونُون به من مَزامِير الشَّيطانِ وصَوتِهِ الفاجِرِ.

وبالجُملَةِ: فالأَكثَرُون فِي زَمانِنا قد أَعرَضُوا عن العِلمِ النَّافِع إِلَىٰ ما لا خَيرَ فِيهِ من الإِذاعَاتِ والجَرائِدِ والمَجَلَّات وما أَشبَهَها من الكُتُب العَصرِيَّة؛ فهَذِه هي الَّتِي يَتنافَسُ فِيهَا الأَكثَرُون، وعَلَيها فِي غالِبِ الأَوقاتِ يَعكُفون، وبسَبَب ذَلِكَ قَلَّ العِلمُ النَّافِعُ وهُوَ العِلمُ المَورُوث عن سَيِّد المُرسَلِين صَلَواتُ الله وسَلامُه عَلَيهِ، وظَهَر الجَهلُ وفَشَا فِي جَمِيعِ الأَقطارِ، فلا حَولَ ولا قُوَّة إِلَّا بالله العَلِيِّ العَظِيمِ.

فَصلٌ

وقال المُصنِّف فِي صَفحَة (٢٠) ما نَصُّه:

«ومن الأُمورِ العِظَامِ الَّتِي رَأيناهَا كَمَا قَال ﷺ: الغوَّاصَات، وقد ذَكَرها الله تَعالَىٰ -أيضًا- فِي قَولِه: ﴿**قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ [الأنعام: ٦٥] الآيَة، وقَد قدَّمْنا الحَدِيثَ الَّذِي خرَّجَه أَحمَدُ فِي «مُسنَدِه» من حَدِيثِ سَعدِ بن أبي وَقَّاصٍ أن النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عن هَذِه الآية فقال: «**أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ**». فجاءَ تَأوِيلُها بظُهورِ الطَّائِرات الرَّامِيَة للقَنابِلِ والأَلغَامِ والغَوَّاصاتِ.

ولمَّا لم يَكُن فِي زَمَن المُفسِّرين شيءٌ من ذَلِك فسَّرُوا العَذابَ من فَوقَ بالمُلوكِ، ومن تَحتِ الأَرجُل بالعَبيدِ، ولا يَخفَىٰ بُطلَانُه؛ ولَكِنَّهُم مَعذُورون لأَنَّهُم لم يَرَوْا ما يَصلُح أن تُطَبَّق عَلَيهِ الآية كما رَأَينا نَحنُ».

والجَوابُ عن هَذَا قد تقدَّم قريبًا صَفحَة (٢٢)(١) عِندَ كَلام المُصنِّف عَلَىٰ الطَّائِرات الحَربِيَّة.

وقد بيَّنتُ هُناكَ أنَّ المُرَاد بقَولِه تعالَىٰ: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الرَّجمُ من السَّماءِ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخَسفُ. وهَذَا قَولُ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ وأَبِي العالِيَةِ ومُجاهِدٍ وسَعيدِ بن جُبَير وأبي مالِكٍ والسُّدِّيِّ وابنِ زَيدٍ وغَيرِ واحِدٍ من المُفسِّرين، وهُوَ أَصَحُّ القَولَينِ فِي تَفسِير الآيَةِ، ويدُلُّ له مَا جَاء من الأَخبارِ بوُقُوع القَذفِ والخَسفِ والمَسخِ فِي آخِرِ هَذِه الأُمَّة، وهَذَا هُوَ الَّذِي يَصلُح أن تُطَبَّق عَلَيهِ الآيَةُ، لا عَلَىٰ التَّكَلُّف الَّذِي لا مُستَنَد لقائِلِه إلَّا مُجَرَّدُ رَأيِه.

فصلٌ

وفِي صَفحَة (٢٠ – ٢٢):

تأوَّل المُصنِّف قَولَ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّىٰ تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ**»(٢) عَلَىٰ السِّيرك الَّذِي تُستَخدَم فِيهِ الأُسُودُ والنُّمُور والفِيلَة وغَيرُها من

---

(١) انظر في هذه الطبعة: (ص٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٨) (١١٨٥٩)، والترمذي (٢١٨١) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٢).

السِّباع فِي الأَلعابِ العَجِيبَة والحَركاتِ الغَريبَة، وأنَّها تُخاطَب فتَفهَمُ، وتُؤمَرُ وتُنهَىٰ فتَأتَمِر وتَنتَهي حَسَب إرادَةِ اللَّاعِب بِهَا، وعَلَىٰ الكِلابِ الَّتِي تُتَّخذ لاستِكشَافِ أَصحَابِ الجَرائِم وعلىٰ الفُوتُوغراف وآلَةِ التَّسجِيل.

والجَوابُ: أنْ يُقالَ:

إنَّ ظاهِرَ الحَدِيث يدُلُّ عَلَىٰ أنَّ السِّباعَ تُكلِّم الإنسَ فِي آخِرِ الزَّمانِ كَلامًا حَقِيقِيًّا، كَمَا وقع ذَلِكَ فِي زَمَن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لأُهبَانَ بنِ أَوسٍ[(١)] رَضِيَ اللهُ عَنهُ حِينَ كَلَّمَه الذِّئبُ كَلامًا حَقِيقِيًّا، وأَخبرَ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بذَلِك فَصَدَّقه وأَمَرَه أن يُحَدِّث به النَّاسَ، وقَالَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ**». والحَدِيثُ بذَلِك رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ فِي «مُسنَدِه» بإِسنَادٍ صَحِيحٍ من حَدِيث أبي سَعِيد الخُدرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ[(٢)]، ورَوَىٰ التِّرمِذِيُّ بَعضَه وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن غَرِيبٌ صَحِيح»[(٣)]، ورَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ -أيضًا- من حَدِيثِ أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ[(٤)]، ورَواهُ البَيهَقِي من حَدِيثِ ابن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا[(٥)].

---

(١) أُهبان بضم أوله، وهو ابن أوس الأسلمي، ويقال: وُهبان، صحابي شهد بيعة الرضوان. انظر: «معجم الصحابة» (١/ ١٤٦)، و«معرفة الصحابة» (١/ ٢٨٩)، و«تهذيب الكمال» (٣/ ٣٨٤)، و«الإصابة» (١/ ٢٨٩)، و«التقريب» (٥٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٨٣) (١١٨٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٢).

(٣) رواه الترمذي (٢١٨١)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٦) (٨٠٤٩) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٦٦٦).

(٥) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤١) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنهُ، ولم أقف عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.

و(بَنُو أُهبَان) يُقالُ لَهُم: بَنُو مُكَلِّم الذِّئبِ.

وفي «الصَّحِيحَينِ» و«مُسنَد الإمَام أَحمَدَ» عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: صلَّىٰ بنا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً ثم أَقبَل عَلَينا بوَجهِهِ فقال: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحِرَاثَةِ**» فقَالَ النَّاسُ: سُبحَان الله! بَقَرَةٌ تَتكَلَّم! فقَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» وما هُمَا ثَمَّ «**وَبَيْنَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ، إِذْ عَدَا عَلَيْهَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ شَاةً مِنْهَا، فَطَلَبَهُ، فَأَدْرَكَهُ، فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ: يَا هَذَا، اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟**» قَال النَّاسُ: سبحان الله! ذِئبٌ يتكلَّم! فقال: «**إِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» وما هُما ثَمَّ(١).

ورَوَىٰ البَيهَقِيُّ عن أَبِي عَبدِ الرَّحمَنِ السُّلَمِيِّ: سَمِعتُ الحُسَينَ بنَ أَحمَدَ الرَّازِيَّ، سَمِعت أَبَا سُلَيمَان المُقرِي(٢) **يَقُول:** «خَرَجْتُ فِي بَعضِ البُلدانِ عَلَىٰ حِمَارٍ فجَعَل الحِمارُ يَحِيدُ بي عن الطَّرِيق، فضَرَبْتُ رَأسَهُ ضَرَباتٍ فَرَفَع رَأسَهُ إليَّ وقَالَ لي: اضْرِبْ يا أَبَا سُلَيمَانَ؛ فإِنَّما عَلَىٰ دِمَاغِكَ هُوَ ذا يَضرِبُ، قَال: قُلتُ له: كَلَّمَك كَلامًا يُفهَم؟ قال: كَمَا تُكَلِّمُني وأُكَلِّمُك»(٣).

والمَقصُودُ هنا: أَنَّ تَكلِيمَ السِّباعِ للإِنسِ فِيهِ خَرقٌ للعادَةِ، وهُوَ مُستَغرَبٌ جِدًّا؛

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٥) (٧٣٤٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وقع في «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٤٤): «المغربي».

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٤)، وابن العديم في «بغية الطلب» (١٠/ ٤٤٧٨) عن أبي سليمان المغربي.

ولِهَذَا تَعَجَّب الصَّحابَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لمَّا أَخبَرَهم النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بكَلامِ البَقَرة والذِّئبِ واستَغرَبُوا ذَلِكَ.

وأمَّا مَا ذَكَره المُصنِّف منِ استِخدَامِ السِّباعِ فِي الأَلعابِ العَجِيبَة والحَرَكات الغَرِيبَة، وأَنَّها تُؤمَر وتُنهَىٰ حَسَب إرادَةِ اللَّاعِب بِهَا؛ فلَيسَ ذَلِك بمُستَغرَبٍ مِنهَا كَمَا يُستَغرَبُ تَكلِيمُها للإِنسِ بالكَلامِ الحَقِيقيِّ.

وكَذَلِكَ استِكشافُ الكِلَابِ لأَصحَابِ الجَرائِمِ لَيس بمُستَغرَبٍ مِنهَا، وقد ذَكَر النَّاسُ عنها قَدِيمًا وحَدِيثًا من الحِكايَاتِ العَجِيبَة الدَّالَّة عَلَىٰ فَهمِهَا وقُوَّة إِدرَاكِها شيئًا كَثِيرًا.

وإنَّما المُستَغرَبُ مِنهَا أن تُكَلِّم النَّاسَ بالكَلامِ الحَقِيقِيِّ كتكلِيم النَّاسِ بَعضِهِم بَعضًا، وهَذَا لم يُوجَد إِلَىٰ الآنَ، وسَيَكُون ذَلِك كَمَا أَخبَرَ به الصَّادِقُ المَصدُوق صَلَوات الله وسَلامُه عَلَيه.

والقَولُ فِي تكلِيم عَذَبَةِ السَّوطِ وشِرَاكِ النَّعلِ والفَخِذِ لبَنِي آدَمَ كالقَولِ فِي تَكلِيم السِّبَاعِ لَهُم.

وأمَّا تَأوِيلُ المُصنِّف لِذَلِكَ بالفُوتُوغرَاف وآلَةِ التَّسجيلِ: فهُو تأوِيلٌ بَعيدٌ جِدًّا.

وبَيانُ ذَلِك من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ ظاهِرَ الحَدِيث يَدُلُّ عَلَىٰ أنَّ الكَلامَ يَكُون من نَفسِ العَذَبَة والشِّراكِ والفَخِذِ لا من آلَةٍ تُجعَل للكَلام، وفِي تَأوِيل ذَلِكَ بالفُوتُوغراف وآلَةِ التَّسجِيل صَرفٌ للحَدِيثِ عن ظَاهِرِه بغَيرِ دَلِيلٍ.

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ تَكلِيمَ العَذَبَة والشِّراكِ والفَخِذِ لبَنِي آدَمَ فِيهِ خَرقٌ للعَادَةِ وهُوَ مُستَغرَبٌ جِدًّا؛ ولِهَذَا يَكُون من أَمَاراتِ السَّاعَة بخِلَافِ الكَلام من الفُوتُوغراف وآلَةِ التَّسجِيل فإِنَّه لَيسَ بمُستَغرَبٍ كَمَا يُستَغرَبُ الكَلامُ من نَفسِ العَذَبَة والشِّراكِ والفَخِذ.

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ النُّطقَ من الجَمَاداتِ قد وُجِد فِي زَمانِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عن جَابِرِ بنِ سَمُرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ وأَبُو دَاوُدَ الطَّيالِسِيُّ ومُسلِمٌ، والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: «هَذَا حَدِيث حَسَن غَرِيب»(١).

ورَوَىٰ التِّرمِذيُّ -أيضًا- عن عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَال:** «كُنتُ مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَكَّة فخَرَجْنا فِي بَعضِ نَواحِيهَا، فَما استَقبَلَه جَبَل ولا شَجَر إلَّا وَهُوَ يَقُول: السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُول الله». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيث حَسَن غَرِيب»(٢).

وعن أَبِي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذ فِي كَفِّه سَبْع حَصَيات أو تِسعَ حَصَيات فَسَبَّحْنَ حتَّىٰ سَمِعتُ لَهُنَّ حَنِينًا كحَنِين النَّحلِ، ثمَّ وَضَعَهُنَّ فخَرِسْنَ، ثم أَخَذَهُنَّ فوَضَعَهُنَّ فِي كفِّ أَبِي بَكرٍ فسَبَّحْنَ حتَّىٰ سَمِعتُ لهُنَّ حَنِينًا كحَنِينِ النَّحلِ، ثمَّ وَضَعَهُنَّ فخَرِسْن، ثم تَناوَلَهُنَّ فوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَر فَسَبَّحْنَ حتَّىٰ سَمِعتُ لهُنَّ حَنِينًا كحَنينِ النَّحلِ، ثم وَضَعَهُنَّ فخَرِسْنَ، ثمَّ تَناوَلَهُنَّ فوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨٩) (٢٠٨٦٠)، والطيالسي في «مسنده» (٢/ ١٣٤) (٨١٨)، ومسلم (٢٢٧٧)، والترمذي (٣٦٢٤) وغيرهم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٦)، وغيره من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني «الصحيحة» (٢٦٧٠).

عُثمانَ فسَبَّحْنَ حتَّىٰ سَمِعتُ لهُنَّ حَنِينًا كَحنِينِ النَّحلِ، ثم وَضَعهُنَّ فخَرِسْنَ، فقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذِهِ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ**». رواهُ البيهَقِيُّ(١).

وإذَا كَان النُّطقُ من الجَماداتِ مَوجُودًا فِي زمن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغَيرُ مُستَبْعَدٍ أن يَكُون ذَلِك فِي آخِرِ الزَّمانِ أيضًا.

وكما أنَّ فِي تَسليمِ الجَماداتِ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَسبيحِهَا فِي يَدِه وأَيدِي الخُلفَاءِ الرَّاشدِين مُعجِزَةً للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فكَذَلِكَ فِي نُطقِ العَذَبَة والشِّراكِ والفَخِذِ مُعجِزَةٌ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا: فقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النور: ٢٤].

وقَال تعالَىٰ: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١] الآيَةَ.

وقال تَعالَىٰ: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة: ٤].

وفِي الحَدِيث الصَّحيحِ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**» قَالُوا: اللهُ ورَسُولُه أعلمُ، قال: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا: أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؛ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**». رواهُ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٦٤) وغيره من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الظلال» (١١٤٦).

الإِمَامُ أَحمَدُ والتِّرمِذِيُّ والنَّسائِيُّ من حَدِيثِ أبي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وقَالَ التِّرمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيح غَرِيب»(١).

وإِذَا كانَتِ الجَوارِحُ والأَرضُ تَنطِقُ يَومَ القِيامَةِ؛ فلا يُستَبعَدُ النُّطقُ من نَفسِ العَذَبَة والشِّراكِ والفَخِذ فِي آخِرَ الزَّمانِ، والله عَلَىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ.

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (٢٣):

ذَكَر المُصنِّف ما يَفعَلُه سائِرُ الدُّوَلِ من جَمعِ السِّباعِ وسائِرِ الوُحوشِ فِي البَساتِين للفُرجَة عَلَيها.

قال: «وذَلِكَ من أَشرَاطِ السَّاعَة وعَلاماتِ قُربِها، حتَّىٰ إِنَّ الله تعالَىٰ ذَكَر ذَلِكَ فِي القُرآنِ فِي أَشراطٍ أُخرَىٰ ضَمَّها إِلَىٰ ما سَيَقَع بعد قِيامِهَا؛ فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ٥]؛ أي: جُمِعَت، والحَشرُ: الجَمعُ والاختِلَاطُ؛ فَقد حُشِرَت الوُحوشُ وجُمِعَت فِي البَساتِين المُعَدَّة لِذَلِكَ كما قَال الله تَعالَىٰ، وهُوَ فِعلٌ مُحَرَّم مَنهِيٌّ عنه شَرعًا».

إِلَىٰ أن قَال: «ويَكفِي أنَّ الله تَعالَىٰ جَعَل ذَلِك من أَشراطِ السَّاعَة وأَنَّها قائِمةٌ عِندَ وُجودِهِ فتَعلَمُ كلُّ نَفسٍ ما أَحضَرَت».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤) (٨٨٥٤)، والترمذي (٢٤٢٩)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٣٤٢) (١١٦٢٩) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٨٣٤).

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ الآيَةَ من أَوَّل سُورَةِ التَّكويرِ لَيسَت وارِدَةً فِي أَشراطِ السَّاعَة، وإنَّما هي فِي أَهوالِ يَومِ القِيامَةِ، وقد تَقَدَّم إيضاحُ ذَلِك في (ص١٣)(١) فِي الكَلامِ عَلَىٰ قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ ما ذَهَب إِلَيهِ فِي مَعنَىٰ الآيَةِ الكَرِيمَة مَردُودٌ، لأنَّه من تَفسِير القُرآنِ بمُجَرَّد الرَّأيِ وذَلِكَ لا يَجُوز، وقد تقدَّم أنَّ تَفسِيرَ القُرآنِ بمُجَرَّد الرَّأيِ حَرَامٌ ومُتَوَعَّد عَلَيهِ بالوَعيدِ الشَّديدِ.

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ ابنَ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغَيرَ واحِدٍ من التَّابِعِين فَسَّروا الآيَةَ بغَيرِ ما ذَهَب إِلَيهِ المُصنِّف فِي مَعناهَا، والعُمدَةُ عَلَىٰ تَفسيرِهِم لا عَلَىٰ رَأيِ المُصنِّف ولا عَلَىٰ رَأيِ غَيرِه من المُتكَلِّفين.

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «حَشرُ البَهائِم مَوتُها، وحَشرُ كُلِّ شَيءٍ الموتُ غَيرَ الجِنِّ والإِنسِ فإنَّهُما يُوقَفَان يَومَ القِيامَةِ». رَواهُ سَعِيدُ بنُ مَنصورٍ وعَبدُ بن حُمَيد وابنُ جَريرٍ وابنُ المُنذِرِ وابنُ مَردُوَيْهِ والحاكِمُ وقَال: «صَحِيحُ الإِسنادِ ولم يُخرِّجاهُ» ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(٢).

وكَذَا قَال عِكرِمَة والضَّحَّاك: «حَشرُها مَوتُها»(٣).

---

(١) انظر في هذه الطبعة: (ص٢٨).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٦٠) (٣٩٠١)، وابن جرير في «التفسير» (٢٤/ ١٣٦) وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٨).

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ -أيضًا- حدَّثَنا أبو كُرَيب حدَّثَنا وَكِيعٌ عن سُفيانَ عن أَبيه عن أَبِي يَعلَىٰ عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيمٍ(١): «﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: أَتَىٰ عَلَيها أَمرُ الله. قَال سفيانُ: قَال أبي، فَذَكَرْتُه لعِكرِمَة فقال: قَال ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: حَشرُها مَوتُها»(٢).

ورَوَىٰ ابنُ أَبِي حاتِمٍ وابنُ المُنذِر عن ابنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قَال: «يُحشَر كُلُّ شَيءٍ حتَّىٰ إنَّ الذُّبابَ لَيُحْشَرُ»(٣). قَال ابنُ كَثيرٍ: «وَكَذا قَال الرَّبيعُ بنُ خُثَيم والسُّدِّيُّ وغَيرُ واحِدٍ»(٤).

وقَال قَتادَة فِي تَفسِير هَذِه الآية: «إنَّ هَذِه الخَلائِق مُوافِيَةٌ يَومَ القِيامَةِ فيَقضِي الله فِيهَا ما يَشاءُ». رَواهُ عَبدُ بنُ حُمَيدٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ(٥).

وقَالَ البَغوِيُّ فِي «تَفسِيرِه»(٦): «﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ يَعنِي: دَوَابَّ البَرِّ ﴿حُشِرَتْ﴾ جُمِعَت يَومَ البَعثِ لِيُقْتَصَّ لِبَعضِها من بَعضٍ».

---

(١) هو الربيع بن خُثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي -وخثيم بضم المعجمة وفتح المثلثة- روىٰ عن ابن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهما. حدث عنه: الشعبي، وإبراهيم النخعي، وآخرون. ثقة عابد مخضرم من الثانية، قال له ابن مسعود: «لو رآك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأحبك»، مات سنة إحدىٰ وقيل: ثلاث وستين. انظر: «تهذيب الكمال» (٩/ ٧٠)، و«التقريب» (١٨٨٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٤/ ١٣٦) وغيره عن ربيع بن خثيم به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٧١) (١٥٠٢٥) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٤) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٣١).

(٥) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٧-٤٢٨)، وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٤/ ١٣٧) عن قتادة به.

(٦) (٨/ ٣٤٦).

قُلتُ: ويَشهَدُ لِهَذا ما رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ فِي «مُسنَدِه» عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ شَاتَينِ تنتطِحَان فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟**» قَالَ: لَا. قَالَ: «**لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**». ورَوَاهُ عَبدُ الرَّزَّاق وابنُ جَريرٍ بنَحوِه[١].

ورَوَىٰ عَبدُ الرَّزَّاقِ -أيضًا- عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَال**: «يُحشَرُ الخَلقُ كُلُّهم يومَ القِيامَةِ: البَهائِمُ والدَّوابُّ والطَّيرُ وكُلُّ شَيءٍ، فيَبلُغُ مِن عَدْلِ الله يَومئِذٍ أن يأخُذَ للجَمَّاء من القَرناءِ ثُمَّ يَقُول: كُونِي تُرابًا؛ فلِذَلِكَ يَقُول الكافِرُ: يَا لَيتَنِي كُنتُ تُرابًا»[٢].

وقد رُوِي نَحوُ هَذَا مَرفوعًا فِي حَدِيث الصُّورِ الَّذِي رَواهُ الطَّبرانِيُّ وغَيرُه، وهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ مَشهُورٌ[٣].

والمَقصُود هَاهُنا: بَيانُ خَطَأِ المُصنِّف فيما ذَهَب إِلَيهِ فِي مَعنَىٰ قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، وبَيانُ مَعنَىٰ حَشْرِ الوُحوشِ وأَنَّه مَوتُها، كَمَا قَالَه ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغَيرُه، أو جَمعُها يومَ القِيامَةِ ليُقتَصَّ لبَعضِها من بَعضٍ، كما قَالَه آخرُون، والله أَعلَمُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢) (٢١٤٧٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٦) (٧٨٧) وغيرهما من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٨٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٦) (٧٨٦) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف، مداره علىٰ إسماعيل بن رافع، وهو قاص أهل المدينة، وتُكلم فيه بسبب هذا الحديث، وفي بعض سياقه نكارة، وقيل: إنه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقًا واحدًا. انظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٦/ ٢٦٦٩).

الوَجهُ الرَّابِعُ: أنَّ ظاهِرَ الآيَةِ الكَرِيمَة يدُلُّ عَلَىٰ حَشْر الوُحوشِ كُلِّها، والوُحُوش الآنَ مُنتَشِرَةٌ فِي أَرجاءِ الأَرضِ، والَّذِي قد جَمعَتْه الدُّوَل فِي بَساتِينِها نَزرٌ يَسِير من بَعضِ أَنواعِ الوُحوشِ لا مِن كُلِّها، ومع هَذَا يَقُول المُصنِّف: «إِنَّها قد جُمِعَت فِي البَساتِين المُعدَّة لِذَلِكَ»، وهَذَا قَولٌ ظاهِرُ البُطلانِ.

فصل

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (٢٤ – ٢٥) ما نَصُّه:

«ومن ذَلِك بُخار الوَقُود من البِتْرُول والجازِ الَّتِي تُستَخْرَجُ الآنَ مِن الأَرضِ فتُضْرَم وتُوقَد فِي الدُّنيا بأَسرِها، فِي السَّيَّارات والبَوابِير البَرِّيَّة والبَحْرِيَّة والطَّائِرات والمُوتُورات والفَبارِكِ الكَبِيرَة والصَّغِيرَة وماكِينَات الطَّحنِ والخُبزِ والنِّجارَة... وغَيرِ ذَلِك مِمَّا يَبلُغ مِئاتِ الأَصنافِ، وبَوابِير الطَّبخِ فِي البُيوتِ، ومُوتُورات الإِنارَةِ العامَّةِ والخاصَّة... وغَيرِ ذَلِكَ.

وكُلُّه مَذكُور فِي أَشراطِ السَّاعَة، وأَخبَر النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَعادِنِه وعَيَّن مَواضِعَها وسَمَّىٰ البِتْرُول ذَهَبًا كما يُسَمُّونَه اليَومَ بالذَّهَب الأَسوَدِ، ومِن العَجِيب أَنَّه وَرَد فِي بَعضِ طُرُق الحَدِيث تَسمِيَتَه بكَنزٍ لَيس من ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ، قال الله تَعالَىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ١-٦]. وقَال تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أُضرِمَت نارًا، كَمَا قَال عَلِيٌّ وابنُ عَبَّاسٍ ومُجاهِدٌ وسَعِيدُ بنُ جُبَير وعُبَيدُ بنُ عُمَير وجَماعَةٌ من أَئِمَّة التَّفسِير من السَّلفِ.

وغَيرُ خَافٍ أَنَّ البِتْرُول بِحَارٌ مُودَعَة فِي الأَرضِ، وقد قَدَّمْنا أَنَّ أُبَيَّ بنَ كَعبٍ

وابنَ عبَّاسٍ وأبا العاليَةِ وجَماعَةً من السَّلَف قَالُوا: إنَّ هَذِه فِي الدُّنيَا قَبلَ يَومِ القِيامَة، قَالُوا: ذَكَر الله تَعالَىٰ فِي السُّورَة الكَرِيمَة اثنَتَي عَشْرَةَ عَلامَةً، سِتَّة مِنهَا فِي الدُّنيا، وسِتَّة مِنهَا فِي الآخِرَة، فالَّتِي فِي الدُّنيا آخِرُها: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، وما بَعدَها فَهُو فِي الآخِرَة، كَمَا رَواهُ ابنُ جَريرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ.

وإذْ هِي فِي الدُّنيا وإِنَّها من أَشراطِ السَّاعَة، وهي بِحارٌ من الزُّيوتِ أَودَعَها الله فِي بَطنِ الأَرضِ مُنذُ خَلَق الله الدُّنيا، ولم يُهَيَّأْ استِكشَافُها واستِخرَاجُها من الأَرضِ لإِضرَامِها وإِيقادِهَا إلَّا فِي وَقتِنا هَذَا الَّذِي ظَهَرت فِيهِ تِلكَ الأَشراطُ السِّتَّة المَذكُورة كُلُّها -كَمَا بَيَّنَّاه فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ بالسَّيَّارات: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ فِي بَساتِينِ الحَيَوانَاتِ، وسُنَبيِّن الباقِي قريبًا- تعيَّنَ أَنَّهَا المُرَاد.

وأيَّد بذَلِك أنَّ البِتْرُول يُسَمَّىٰ بالذَّهَبِ الأَسودِ، وأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخبَرَ به، وأنَّ مِن المَواضِع الَّتِي سيَظهَرُ فِيهَا أَرضَ العِرَاقِ وأَرضَ فارِسَ وأَرضَ نَجدٍ وما وَالَاهَا، كَمَا وَرَد أنَّه قَريبٌ مِن الحِجَازِ، ووَرَد تَسمِيَتُه بكَنزٍ لَيسَ بذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ؛ فلَم يَبقَ شَكٌّ فِي أَنَّه المُرَاد.

ففي «صَحيحِ البُخارِيِّ» عن أَبِي هُرَيرَة قال: قَال رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**». ورَواه مُسلِمٌ فِي «صَحِيحِه» من وَجهٍ آخَرَ عن أَبِي هُرَيرَة بلفظِ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤) وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ الآيَاتِ السِّتَّ من أَوَّل سُورَة التَّكوير لَيسَت وارِدَةً فِي أَشراطِ السَّاعَةِ كَمَا زَعَم ذَلِك المُصنِّفُ فِيهَا، وتأوَّل لأَجلِ ذَلِك القُرآنَ عَلَىٰ غيرِ تأويلِهِ، كما تقَدَّم ذَلِك فِي مَواضِعَ من كَلامِه، وكَمَا سَيأتِي فِي مَواضِع أُخَر مِنهُ.

وأمَّا ما رُوِي عن أُبيٍّ بنِ كَعبٍ وابنِ عَبَّاسٍ وأبي العالِيَةِ أنَّ سِتَّ آياتٍ مِنهَا فِي الدُّنيا، فالمُرَاد أنَّهَا من جُملَة الأَهوالِ الَّتِي تكُون عِندَ قِيامِ السَّاعَةِ والنَّاسُ يُشاهِدُون ذَلِكَ، لا أَنَّها تكُونُ قَبلَ قِيَام السَّاعَة بزَمَن طَويلٍ كما تَوَهَّمه المُصنِّف.

قَال الرَّبيعُ بنُ أَنَسٍ عن أَبِي العالِيَةِ عن أُبَيٍّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «سِتُّ آياتٍ قبلَ يَومِ القِيامَةِ: بَينَما النَّاسُ فِي أَسواقِهِم إِذ ذَهَب ضَوءُ الشَّمسِ، فبَينَمَا هُم كَذَلِكَ إِذ تَناثَرت النُّجُوم، فبَينَمَا هُم كَذَلِكَ إِذ وَقَعت الجِبالُ عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ فتَحَرَّكَت واضطَرَبَت واختَلَطَت؛ ففَزِعَت الجِنُّ إِلَىٰ الإِنسِ والإِنسُ إِلَىٰ الجِنِّ، واختَلَطَت الدَّوابُّ والطَّيرُ والوُحوشُ فمَاجُوا بَعضُهم فِي بَعضٍ فذَلِكَ قَولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قَال: اختَلَطَت، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَال: أَهمَلَها أَهلُها، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾. قَال: قَالَتِ الجِنُّ نَحْنُ نَأتِيكُم بالخَبَر! قَال: فانطَلَقُوا إِلَىٰ البَحرِ فإِذَا هُوَ نارٌ تَتأَجَّجُ، قَال: فبَينَما هم كَذَلِكَ إِذ تَصدَّعَت الأَرضُ صَدعَةً واحِدَةً إِلَىٰ الأَرضِ السَّابِعَةِ السُّفلَىٰ وإِلَىٰ السَّماءِ العُليَا، قَال: فبَينَمَا هُم كَذَلِكَ إِذ جَاءَتهم رِيحٌ فأَماتَتْهُم». رَواهُ ابنُ أَبِي الدُّنيَا وابنُ جَريرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ(١). وسِيَاقُه ظاهِرٌ فِيمَا ذَكَرْنا، وفِيه رَدٌّ لِمَا زَعَمَه المُصنِّف فِي تَأوِيل الآياتِ السِّتِّ من أَوَّل سُورَة التَّكويرِ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٢) أيضًا، عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ ظاهِرَ الآيَتَينِ الكَرِيمَتَينِ وهُمَا قَولُه تعالَىٰ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ وقَولُه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ يدُلُّ عَلَىٰ أنَّ البَحرَ نَفْسَه هُوَ الَّذِي يُسجَر فيكُون كُلُّه نارًا، وبِحارُ الزُّيوتِ لم تُسجَر بالنَّار، وإنَّما يُضرم ما يُستَخرَجُ مِنهَا وهَذَا لا يَكُون تَسجِيرًا لَها. وعَلَىٰ هَذَا فاستِدلَالُ المُصنِّف بالآيتينِ عَلَىٰ ما ذَهَب إِلَيهِ لا وَجهَ له، وهُوَ استِدلالٌ فِي غايَةِ البُعدِ والتَّكلُّفِ.

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ البَحرَ إنَّما يُسجَر عِندَ قِيامِ السَّاعَة، كَمَا قَالَهُ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ وغَيرُه. وقِيلَ: إنَّه يُسجَر يَومَ القِيامَة. رُوِي ذَلِك عن عليٍّ وابنِ عَبَّاسٍ وسَعيدِ بنِ جُبَيرٍ ومُجاهِدٍ وعُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ وغَيرِهم، وهَذَا يَرُدُّ ما زَعَمه المُصنِّف من أَنَّها قد سُجِرَت الآنَ.

الوَجهُ الرَّابِعُ: أنَّ البَحرَ الَّذِي يُسجَر عِندَ قِيَامِ السَّاعة أو يَومَ القِيامَةِ هُوَ البَحرُ الَّذِي عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ، وقد تَقَدَّم ما رُوِي عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ فِي ذَلِك.

ورَوَىٰ ابنُ أبي حاتِمٍ عن شَيخٍ مِن بَجِيلَةَ عن ابنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا **قال**: «يُكَوِّر الله الشَّمسَ والقَمَر والنُّجُوم يومَ القِيامَةِ فِي البَحرِ ويَبعَثُ الله رِيحًا دَبُورًا فيَضرِمُها نارًا»(١). قَال ابنُ كَثيرٍ(٢): «وكَذَا قَال عامِرٌ الشَّعبِيُّ»(٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٥) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، وفي إسناده من لم يسم.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٢٩).

(٣) هو عامر بن شراحيل، وقيل: ابن عبد الله بن شراحيل، وقيل: ابن شراحيل بن عبدٍ، الشعبي، أبو عمرو الكوفي، روىٰ عن البراء بن عازب، وغيره. روىٰ عنه حصين بن عبد الرحمن السلمي، وجماعة. ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة، قال مكحول: «ما رأيت أفقه منه» مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٢٨)، و«التقريب» (٣٠٩٢).

وهَذَا يَرُدُّ ما زَعَمه المُصنِّف فِي بِحَارِ الزَّيتِ.

الوَجهُ الخَامِس: أنَّه لم يُؤْثَر عن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّه سَمَّىٰ البِتْرُول ذَهَبًا، وقَولُ المُصنِّف: إنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سَمَّىٰ البِتْرُول ذهبًا، من القَولِ عَلَيهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما لَم يَقُلْه، وذَلِكَ حَرامٌ وكَبِيرَة من الكَبائِرِ.

الوَجهُ السَّادِس: أنَّ البِتْرول لَيسَ بذَهَبٍ حَقِيقةً ولا مَجازًا.

وأمَّا تَسمِيَة بَعضِ النَّاس له بالذَّهَب الأَسوَد فلَيسَ مُرَادُهم أنَّه نَوعٌ من أَنواعِ الذَّهَب، وإنَّما يَقصِدُون أنَّه يَحصُل من ثَمَنِه الذَّهَبُ الكَثيرُ؛ فلِذَلِكَ يُطلِقُون عَلَيهِ اسمَ الذَّهَب الأَسوَدِ اعتِبَارًا بما يُستَثْمَر مِنهُ.

الوَجهُ السابع: أنَّ الأَثَر الَّذِي ذَكَره المُصنِّف فِي تَسمِيَة البِتْرول بكَنزٍ لَيسَ من ذَهَبٍ ولا فِضَة يَنقُضُ ما زَعَمه من تَسمِيَتَه فِي الحَدِيث بالذَّهَب.

الوَجهُ الثَّامِن: أنَّ الَّذِي جاء فِي الحَدِيثِ الصَّحيحِ هُوَ حَسرُ الفُراتِ عن كَنزٍ من ذَهَب، وفِي الرِّوايَةِ الأُخرَىٰ عن جَبلٍ من ذَهَب، ومن المَعلُوم أنَّ بُحورَ الزَّيتِ لَيسَت فِي نَهرِ الفُراتِ، وإنَّما هي فِي باطِنِ الأَرضِ، وكَثيرٌ مِنهَا يَبعُد عن نَهرِ الفُراتِ بمَسافةٍ بَعِيدَةٍ.

الوَجهُ التَّاسِعُ: أنَّ الزَّيتَ من المَعادِن السَّائِلَة، والَّذِي أَخبَرَ النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بانحِسَارِ الفُراتِ عنه هُوَ الذَّهَب المَعرُوفُ عِندَ النَّاسِ، وهُوَ من المَعادِن الجامِدَةِ؛ ولِهَذا جاء فِي بَعضِ الرِّوايَاتِ فِي «الصَّحيحِ» أنَّه يَنحَسِرُ عن جَبَل من ذَهَب، وهَذَا يَرُدُّ تَأوِيلَ من تَأَوَّله عَلَىٰ مَعدِنٍ سائِلٍ ليس بذَهَب ولا يُشبِهُ الذَّهَبَ.

الوَجهُ العاشِرُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَخبَرَ أنَّ الفُراتَ يَحسِر عن جَبلٍ من

ذَهَب؛ أي: يَنكَشِف لذَهابِ مَائِهِ فيَظهَرُ الجَبَل بارِزًا عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ، وهَذَا لم يَكُن إِلَىٰ الآنَ وسَيَكُون فِيمَا بَعدُ بلا رَيبٍ، وبُحورُ الزِّيتِ لم تَنحَسِر الأَرضِ عَنهَا، وإِنَّما يَستَخرِجُها النَّاس بالتَّنقِيب عَنها من مَسافَةٍ بَعِيدَة فِي بَطنِ الأَرضِ، وأَينَ هَذَا من ذَاكَ؟!

فَصلٌ

وفي صفحة (٢٥ – ٢٦):

جَزَم المُصنِّف أنَّه لابُدَّ مِن وُقوعِ الحَربِ من أَجلِ بِتْرُول العِرَاقِ وإِيرانَ، وأَنَّها سَوفَ تكُون بالقَنابلِ الذَّرِّيَّة المُبِيدَةِ للبَشَر.

والجَوابُ: أن يُقالَ:

هَذَا من الرَّجمِ بالغَيبِ، وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، والَّذِي سَيَقَع بلا شَكٍّ هُوَ الاقتِتالُ عَلَىٰ جَبَل الذَّهَب إذا حَسَر الفُراتُ عَنهُ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَخبَرَ بذَلِك، وما أَخبَرَ بوُقُوعِه فهو كائِنٌ لا مَحالَةَ.

فَصلٌ

وفي صفحة (٢٦):

ذَكَر المُصنِّف ما رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ من حَدِيثِ رَجُل من بَنِي سُلَيم سَمِع النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَال: «**سَتكُونُ مَعادِنُ يُحضِّرُهَا شِرَارُ النَّاسِ**»(١).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٠) (٢٣٦٩٥) وغيره من طريق زيد بن أسلم عن رجل من بني سليم

ثُمَّ قَال المُصنِّف: «فهَذِه المَعادِن هي آبَارُ البِتْرُول الَّتِي ما ظَهَرت إِلَّا قُرْبَ قِيامِ السَّاعَة الَّذِي هُوَ وَقتُنا هَذَا».

قَال: «ويُؤكِّد ذَلِك: قَولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يُحَضِّرُهَا شِرَارُ النَّاسِ**»؛ فإنَّ مَعادِنَ البِتْرُول لا يَستَخرِجُها ويُحضِرها إلا الكُفَّار الذَّين هم شِرارُ النَّاس، وقَولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحَضِّرُهَا**» هُوَ بضَمِّ الياءِ وفَتحِ الحَاءِ وكَسرِ الضَّادِ المُشَدَّدة؛ أي: يُهَيِّئُها للاستِعمَالِ ويَجعَلُها حاضِرَة لِذَلِكَ صَالِحةً لما حُضِّرَت له.

والجَوابُ: أن يُقالَ:

إنَّ هَذَا الحَدِيث ضعيفٌ؛ لأنَّه من رِوَايَة رَجُل من بني سُلَيم عن جدِّه، ورَجُل من بَنِي سُلَيم: مَجهُول.

وعلىٰ تَقدِير صِحَّته؛ فلَيس المُرَاد به آبارَ البِتْرول بخُصُوصِها، بل هُوَ عامٌّ لها ولمَعادِن الذَّهَب والفِضَّة وغَيرِها من المَعادِن الأَرضِيَّة، ويدلُّ عَلَىٰ ذَلِك قَولُه فِي حَدِيث عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**تَخْرُجُ مَعَادِنُ مُخْتَلِفَةٌ**...»(١) الحَدِيثَ.

وقوله: «يَحْضُرُهَا شِرَارُ النَّاسِ» هُوَ بفَتحِ الياءِ وإِسكَانِ الحاءِ وضَمِّ الضَّادِ المُخَفَّفة؛ أي: يَأتِي إِلَيها ويَسكُن عِندَها شِرارُ النَّاس.

وقَد جاءَ ذَلِك صَريحًا فِيمَا ذَكَره المُصنِّف من حَدِيث عَبدِ الله بن عَمرٍو،

=

عن جده به، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٨٥).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٥) (٨٤١٥) وغيره من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قوله، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦١٤١).

وأبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فأمَّا حَدِيثُ عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقَالَ فِيهِ: «تَخرُج مَعادِنُ مُختَلِفةٌ: مَعدِنٌ مِنهَا قَريبٌ مِن الْحِجازِ يَأتيهِ مِن أَشرارِ النَّاسِ». رَواهُ الحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه».

وأمَّا حَدِيث أَبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقَالَ فِيهِ: قَال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَظْهَرَ مَعَادِنُ كَثِيرَةٌ لا يَسْكُنُهَا إِلَّا أَرَاذِلُ النَّاسِ**». رَواهُ الطَّبرانِيُّ فِي «الأَوسَطِ»(١).

والمُرَادُ بأَرَاذِلِ النَّاسِ: الكُفَّار وفُسَّاق المُسلِمين كما هُوَ الواقِعُ الآنَ، ولَيس المُرَاد به الكُفَّارَ خاصَّةً كما زَعَم ذَلِك المُصنِّف.

ثم إنَّ المُصنِّف غيَّر مَعنَىٰ الحَدِيثِ بما فسَّر به قَولَهُ: «**يَحْضُرُهَا**» ليُوافِقَ ما ذَهَب إليه، ولا يَخفَىٰ أن ذَلِك من تَحرِيف الكَلِم عن مَواضِعِه.

فَصلٌ

وقال المُصنِّف فِي صَفحَة (٢٧) ما نَصُّه:

«ويُشِير إِلَىٰ البترول -أيضًا- قوله تَعالَىٰ: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ [الزلزلة: ١، ٢] الآيَةَ؛ فإنَّها أَخرجَت مَلايِينَ الأَطنانِ من البتْرُول والغازِ، وهُوَ أَعظَمُ ثِقَل فِيهَا عِندَما زُلْزِلَت؛ أي: حُرِّكَت بالآلَاتِ وفُتِح فِيهَا آبارُ البِتْرُول والغازِ، ﴿**وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا**﴾ [الزلزلة: ٣] تعجُّبًا ممَّا تُخرِجُه من ذَلِكَ؛

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٤١) (١٥٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الهيثمي: «وفيه من لم أعرفه». انظر: «المجمع» (٧/ ٣٣١).

فعِندَ ذَلِك تَحضُر السَّاعَة.

أَو: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ المَوعُودَ بِه وهُوَ الزِّلزالُ الكَثيرُ الَّذِي يَحدُث آخِرَ الزَّمان، كما قَال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتَكْثُرُ الزَّلَازِلُ» كما فِي أَحادِيثَ صَحِيحَةٍ مُتَعَدِّدة، وقد صارَت تَحْدُث بكَثرَةٍ فِي هَذَا الوَقتِ الَّذِي أَخرَجَت فِيهِ الأَرضُ أَثقالَها مِن البِتْرُول، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣] يَكثُر زَلازِلُها؟!

وهَذَا كُلُّه واقِعٌ فيُتَرَقَّب ما بَعدَهُ؛ فإِنَّ الزَّمان بالنِّسبَة إِلَىٰ عِلمِ الله تَعالَىٰ شيءٌ واحِدٌ، والله تَعالَىٰ يَجمَع بَينَ الأُمورِ المُتَباعِدَة فيَسُوقُها مَساقًا واحِدًا لتَحقُّق الجَميعِ وحُضُورِه فِي عِلمِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

والجَوابُ: أن يُقالَ:

هَذَا من التَّخبيطِ فِي القُرآنِ وتَأَوُّلِه عَلَىٰ غَيرِ تَأويلِه، وقد قدَّمْنا أنَّ ذَلِك حرامٌ ومُتَوَعَّد عَلَيهِ بالوَعيدِ الشَّديدِ.

ويُقَال أيضًا: إنَّ السُّورَة وارِدَةٌ فِي قِيامِ السَّاعَة وما يَكُون بَعدَ ذَلِك فِي يَومِ القِيامَةِ، وسِياقُها يدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ، ولَيسَ فِيهَا ما يَدُلُّ عَلَىٰ خُروجِ البِتْرُول بوَجهٍ من الوُجوهِ.

قَال البَغَويُّ فِي «تَفسِيرِه»(١): «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: حُرِّكَت الأَرضُ حَرَكةً شَدِيدَةً لقِيامِ السَّاعَةِ، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: مَوتَاهَا وكُنوزَها فتُلْقِيها عَلَىٰ ظَهرِها، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣] قِيلَ: فِي الآيَةِ

---

(١) (٨/ ٤٩٨).

تَقدِيمٌ وتأخِير تَقدِيرُه: يومَئِذٍ تُحَدِّث أَخبارَها فيقُول الإِنسانُ: مَا لَها؟ أي: تُخبِرُ الأَرضُ بما عُمِل عَلَيها».

وقال ابنُ كَثيرٍ فِي «تَفسِيرِه»(١): «قَال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]؛ أي: تَحَرَّكت مِن أَسفَلِها، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:٢]؛ يَعنِي: أَلْقَت ما فِيهَا من المَوتَىٰ. قَالَه غَيرُ واحِدٍ مِن السَّلف. وهَذِه كقَولِه تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] وكَقَولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣، ٤]».

ورَوَىٰ عَبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جَريرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ وابنُ المُنذِر وابنُ مَردُوَيهِ عن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] تَحَرَّكَت من أَسفَلِها، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] قَال: المَوتَىٰ، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣] قَال: يَقُولُ الكَافِرُ: مَا لَها؟ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قَال لَها رَبُّكَ: قُولِي؛ فَقَالَت»(٢).

ورَوَىٰ الفِريَابِيُّ وعَبدُ بنُ حُمَيدٍ وابنُ جَريرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ وابنُ المُنذِر عن مُجاهِدٍ فِي قَولِه: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قَال: «مَن فِي القُبورِ»(٣).

---

(١) (٨/ ٤٦٠).

(٢) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢)، وأخرجه الضياء في «المختارة» (١٢/ ١١٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢). وانظر: «تفسير مجاهد» (ص٧٤٢)، وقد أخرجه -أيضًا- ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٩) عن مجاهد به.

ورَوَىٰ ابنُ أَبِي حاتِمٍ عن عَطِيَّة: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ قَال: «ما فِيهَا من الكُنوزِ والمَوتَىٰ»(١).

فهَذِه أَقوالُ المُفسِّرين فِي تَفسِير السُّورَة، وفِيهَا رَدٌّ لقَرمَطَة المُصَنِّف وإِلحَادِه.

فَصلٌ

وقال المُصنِّف فِي صَفحَة (٢٨) ما نَصُّه:

«**ومِن ذَلِك**: زَوالُ الجِبالِ عن أَماكِنِها للدَّواعِي الدَّاعِيَة إِلَىٰ ذَلِكَ، مِن تَعبِيد الطُّرُق للبَوابِير الحَدِيدِيَّة والسَّيَّارات وتَوسِيعِ الطُّرُق وضَواحِي المُدُن وغَيرِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ واقِعٌ الآنَ فِي كَثيرٍ من أَقطارِ الأَرضِ كَما هُوَ مُشاهَد ومَعلُوم، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [التكوير: ٣]، وقد قَدَّمْنا أَنَّ هَذَا فِي الدُّنيا قَبل قِيامِ السَّاعة، وتَسيِيرُها: زَوالُها مِن أَماكِنِها».

ثُمَّ ذَكَر ما رَواهُ البَزَّار والطَّبَرانِيُّ من حَدِيثِ سَمُرة بنِ جُندُب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَرَوْا أُمُورًا عِظَامًا لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهَا، وَحَتَّىٰ تَزُولَ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا**»(٢).

قَال: «ورَوَىٰ أَحمَدُ من حَدِيث عَبدِ الله بن مَسعُود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن عِيسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لَيلَةَ الإِسرَاءِ فِي ذِكْر أَمارَاتِ السَّاعة، وفِي آخر

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٠٧) (٦٨٥٧) وغيره من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٦١).

الحَدِيث قَولُه: «**ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ**» ثُم قَال: «**فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ: أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِي لا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَىٰ تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادِهَا لَيْلًا أو نَهَارًا**»(١).

فهَذَا النَّسفُ غَيرُ المَذكُور فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا**﴾ [طه: ١٠٥] الآيَةَ؛ فإنَّ ذَلِك بَعدَ قِيامِ السَّاعة يَومَ تَصِير الجِبالُ كالعِهْنِ المَنفُوش، وهَذَا قبلَ قِيَامِ السَّاعَة، بل هُوَ من أَشرَاطِها وعَلامَاتِها الدَّالَّة عَلَىٰ قُربِ قِيَامِها.

ويُؤَيِّد هَذَا: وُقُوعُ هَذَا النَّسفِ كُلَّ يَومٍ فِي سائِرِ الدُّنيا بالأَلغامِ والحَفْرِ بالآلَاتِ ومَدِّ الأَرضِ ذَاتِ الجِبالِ مَدَّ الأَديمِ حتَّىٰ يَنزِلَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيَجِدَهم عَلَىٰ ذَلِكَ».

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحدُها: أن يُقالَ: إنَّ فَتْحَ الطُّرقِ فِي الجِبَالِ لا يَكُون إِزالَةً للجِبَالِ ونَسفًا وتَسيِيرًا لَها، ومَدًّا للأَرضِ مدَّ الأَديمِ، وهَذَا لا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَن له أَدنَىٰ عَقلٍ ومَعرِفَة.

واستِدلَالُ المُصنِّف عَلَىٰ ما ذَهَب إِلَيهِ بقَولِ الله تَعالَىٰ: ﴿**وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ [التكوير: ٣]، وبِمَا فِي حَدِيثِ سَمُرة وحَدِيثِ ابنِ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا وَجْهَ له، وهُوَ استِدلَالٌ فِي غايَةِ البُعدِ والتَّكلُّف.

الوَجهُ الثَّانِي: أن يُقالَ: إنَّ جبالَ الأَرضِ باقِيَةٌ عَلَىٰ حَالِها مع فَتحِ الطُّرقِ فِيهَا، ولو أَنَّها قد نُسِفَت وسُيِّرت ومُدَّت الأَرضُ مَدَّ الأَديمِ -كَما زَعَمه المُصنِّف- لَمَا بَقِي

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٥) (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٤٠٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٣٤) (٨٥٠٢)، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٣١٨).

فِي الأَرضِ جَبَل بالكُلِّيَّة، بل إِنَّا نَقُول: لَعَلَّه لم يُنسَف مِنهَا ولا جَبلٌ واحِدٌ، اللَّهُم إلَّا أن تكُون آكامًا صِغارًا تُؤخَذ أَحجارُها للحاجَةِ أو تُزالُ عن الطُّرُق فهذا قد يَكُون مَوجُودًا الآنَ، ولكِنْ لا يُعَدُّ هَذَا نَسفًا للجِبَالِ وتَسيِيرًا لها ومَدًّا للأَرضِ.

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ نَسْفَ الجِبَالِ وتَسيِيرَها ومَدَّ الأَرضِ مَدَّ الأَديم إنَّما يَكُون يومَ القِيامَة، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ١٧-٢٠].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ٩-١٣].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ١-٥].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٧، ٨٨] الآيَةَ.

وقِيلَ: إنَّ تَسيِيرَ الجِبَالِ يَكُون عِندَ قِيامِ السَّاعة، وهُوَ ظاهر ما رَواهُ ابن مَسعُود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ...**» فذَكَر الحَدِيثَ فِي خُروجِ الدَّجَّال وقَتْلِه وخُروجِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ ومَوتِهِم؛ قَال: «**ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ...**» الحَدِيثَ. رَواهُ الإِمَامُ أَحمَد وابنُ ماجَهْ وابنُ جَرِيرٍ والحاكِمُ وصَحَّحه، ووافقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(١).

وفي حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ: «**يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، فَيَأْمُرُهُ فَيُدِيمُهَا وَيُطِيلُهَا وَلَا يَفْتُرُ، فَيُسَيِّرُ اللهُ الْجِبَالَ فَتَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَتَكُونَ تُرَابًا**». رَواهُ ابنُ جَرِيرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ والطَّبرانِيُّ من حَدِيثِ أبي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفُوعًا(٢).

الوَجهُ الرَّابِعُ: أنَّ المُصنِّف قرَّر نَسْفَ الجِبَالِ فِي الدُّنيا بفِعلِ بَنِي آدَمَ، واستَدَلَّ عَلَىٰ ذَلِك بقَولِ الله تَعالَىٰ: ﴿**وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ [التكوير: ٣]، وبِمَا فِي حَدِيث سَمُرة وحَدِيث ابن مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثم قرَّر نَسفًا آخرَ يَكُون بَعدَ قِيَامِ السَّاعَة وهُوَ المَذكُور فِي قَولِ الله تَعالَىٰ: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا**﴾ [طه: ١٠٥].

والحَقُّ: أنَّ النَّسْفَ إِنَّما يَكُون مَرَّةً واحِدَةً، وأنَّ ما ذُكِرَ فِي قَولِه تعالَىٰ: ﴿**وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾ [التكوير: ٣]، وفِي قَولِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن عِيسَىٰ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ**» هُوَ بعَينِه ما ذُكِر فِي قَولِ الله تَعالَىٰ:

---

(١) تقدم.

(٢) رواه الطبري (١٩/ ٤٥١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٣٠) (١٦٦٢٨)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (ص٢٦٦) (٣٦)، وقد تقدم أنه ضعيف.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] وغيرِها من الآياتِ الَّتِي تقدَّم ذِكْرُها، ولا دَلِيلَ عَلَىٰ تَعَدُّد النَّسفِ، والله أَعلَمُ.

الوَجهُ الخَامِس: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] **وَ**﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] **وَ**﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ والتِّرمِذِيُّ والحاكِمُ من حَدِيث ابنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقَالَ الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإسنادِ ولم يُخرِجَاه»، ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(١).

وهَذَا الحَدِيث الصَّحِيحُ يدُلُّ عَلَىٰ أنَّ نَسْفَ الجِبَالِ إنَّما يَكُون يومَ القِيَامَة، وفِيهِ رَدٌّ لقَولِ المُصنِّف أنَّ ذَلِك كائِنٌ الآنَ بفِعلِ بَنِي آدَمَ.

وفِيهِ -أيضًا- قَطْعُ ما تَعلَّق به المُصنِّف من قَولِ الله تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، وبَيانُ أنَّه لا وَجْهَ لاستِدلَالِه بِهَذِه الآيَةِ عَلَىٰ وُقوعِ النَّسفِ فِي الدُّنيَا.

فَصْلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (٢٨ - ٢٩) ما نَصُّه:

«ومِن ذَلِك الكَهرُباءُ والاستِنَارَة بِها فِي الدُّورِ والطُّرُق وفِي الأَسفارِ عَلَىٰ البَوابِير والسَّيَّاراتِ، فهِيَ -والله أَعلَمُ- المُرَاد بقَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]؛ فقَد قَدَّمْنا عن الصَّحابَة وغَيرِهم من التَّابِعِين أنَّها من العَلاماتِ الواقِعَةِ فِي الدُّنيا قَبلَ قِيامِ السَّاعَة.

---

(١) سبق تخريجه.

وانكِدارُ النُّجومِ: ضَعفُ نُورِها أو ذَهابُه بالكُلِّية عِندَ وُجودِ النُّورِ الكَهرُبائِيِّ والاستِغنَاءِ به فِي الطُّرقِ والأَسفارِ عن نُورِها والاهتِداءِ بِه فِي ظُلُماتِ اللَّيلِ دُونَها؛ فإِنَّ النَّاس قَبلَ ظُهورِ النُّورِ الكَهرُبائِيِّ ما كانوا يَهتَدُون فِي ظُلُمات اللَّيلِ فِي الأَسفارِ إِلَّا بالنُّجومِ؛ فلمَّا ظَهَرت الكَهرُباءُ انكَدَرَتْ أَنوارُها واستَغنَىٰ النَّاسُ عنها؛ كما عُطِّلَت الإِبِل واستَغنَىٰ النَّاسُ عنها -أيضًا- بالسَّيَّارات وبَوابِير السِّكَّة الحَديدِيَّة، وذَكَر الله تَعالَىٰ ذَلِك -أيضًا- بقَولِه: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ [التكوير: ٤] كما سَبَق بَيانُه.

ويُؤَيِّد هَذَا ويَزِيدُه وُضوحًا: أَنَّ الله تَعالَىٰ عَبَّر عن الشَّمسِ بالتكوِير دُونَ الانكِدَارِ وذَهابِ النُّورِ؛ لأَنَّ أَنوارَ الكَهرُباء مَهمَا عَظُمت قُوَّتُها لا تُؤَثِّر عَلَىٰ نُورِ الشَّمسِ، بل بالعَكسِ فإِنَّ الشَّمسَ هي الَّتِي تُؤَثِّر فِي أَنوارِ الكَهرُباء؛ فلا يَظهَرُ لَها أَثَرٌ مع سُلطانِ الشَّمسِ بخِلَافِ النُّجومِ».

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أَنَّ المُرَادَ بانكِدَارِ النُّجومِ طَمسُها وانتِشَارُها عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ كَمَا سَيأتِي بيانُه، ولَيسَ المُرَاد به ما ذَهَب إِلَيهِ المُصنِّف من اختِفَائِها عن الأَبصارِ بسَبَب الأَنوارِ الكَهرُبائِيَّة؛ فإِنَّ ذَلِك لا يَكُون طَمسًا لها فَضلًا عن الانكِدَارِ، واستِدلَالُ المُصنِّف بالآيَةِ عَلَىٰ ما ذَهَب إِلَيهِ لا وَجْه له؛ وهُوَ مِن تَأَوُّل القُرآنِ عَلَىٰ غيرِ تأوِيلِه.

الوَجهُ الثَّانِي: أَنَّ طَمْسَ النُّجومِ وانكِدَارَها إِنَّما يَكُون يومَ القِيامَة، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [المرسلات: ٨-١٤].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ١، ٢].

قَال البَغَوِيُّ فِي «تفسِيره»(١): «﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾؛ أي: تناثَرَت من السَّماءِ وتَساقَطَت عَلَىٰ الأَرضِ، يُقالُ: انكَدَر الطَّائِرُ إذا سَقَط عن عُشِّه.

قَال الكَلبِيُّ وعَطاءٌ: تُمطِر السَّماءُ يومَئِذ نُجومًا فَلا يَبقَىٰ نَجمٌ إلَّا وَقَع».

وقال ابنُ كَثيرٍ فِي «تفسِيره»(٢): «﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾؛ أي: انتَثَرت كما قَال تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢]. وأَصلُ الانكِدَارِ: الانصِبَابُ».

وقَالَ الرَّبيع بنُ أَنَس عن أَبِي العالِيَة عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَال**: «سِتُّ آياتٍ قَبلَ يومِ القِيامَة، بينَما النَّاسُ فِي أَسواقِهِم إِذ ذَهَب ضَوءُ الشَّمسِ، فبينَما هُم كَذَلِكَ إِذ تَناثَرَت النُّجومِ...» الحَديثَ. رَواهُ ابنُ أَبِي الدُّنيا وابنُ جَريرٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ وقد تَقَدَّم ذِكْرُه صَفحَة (٥٤)(٣).

قَال ابنُ كَثيرٍ(٤): «وهَكَذا قَال مُجاهِدٌ والرَّبيعُ بنُ خُثَيم والحَسَن البَصرِيُّ وأَبُو صَالِحٍ وحَمَّادُ بنُ أَبِي سُلَيمَان والضَّحَّاك فِي قَولِه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾؛ أي: تَناثَرَت».

قُلتُ: وقَالَ قَتادَةُ: «انكَدَرَت: تَساقَطَت وتَهافَتَت».

وقد قَال أهلُ اللُّغَة فِي الانكِدَارِ بمِثلِ ما قَالَه المُفسِّرون فِي ذلك.

قَال الجَوهَرِيُّ: «انكَدَر؛ أي: أَسرَع وانقَضَّ، وانكَدَرت النُّجوم».

---

(١) (٨/ ٣٤٦).

(٢) (٨/ ٣٢٩).

(٣) وفي هذه الطبعة (ص٧٣).

(٤) المصدر السابق (٨/ ٣٣٠).

وقَالَ الرَّاغِبُ الأَصفَهانِيُّ: «الانكِدَارُ يُعَبِّر عن انتِشَارِ الشَّيءِ، قال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾، وانكَدَر القَومُ عَلَىٰ كذا إذا قَصَدُوا مُتَناثِرِين عَلَيهِ».

وقَالَ ابنُ مَنظُور فِي «لِسَانِ العَرَب»: «انكَدَرت النُّجومُ: تَناثَرَت».

وكَذَا قَال صاحِبُ «القامُوسِ» وغَيرُه أنَّ مَعنَىٰ انكَدَرَت النُّجومُ: تَناثَرَت(١).

وقد تقدَّم حَدِيثُ ابنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١] وَ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] وَ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١] ». وهَذَا الحَدِيث فِيهِ ردٌّ لِمَا تعلَّقَ به المُصنِّف من الآيَةِ الكَرِيمَة.

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ ما ذَكَره عن بَعضِ الصَّحابَة والتَّابِعِين أنَّ الآياتِ السِّتَّ فِي أَوَّل سُورَة التَّكوِير تكُون فِي الدُّنيا قَبلَ قِيَامِ السَّاعَة، فلَيسَ مُرادُهم ما ذَهَب إِلَيهِ من وُقوعِ ذَلِك قَبلَ قِيَامِ السَّاعَة بزَمَن طَوِيلٍ، وإِنَّما مُرادُهم أنَّ ذَلِك يَكُون عِندَ قِيامِ السَّاعَة، وأنَّ ذَلِكَ من جُملةَ الأَهوالِ الَّتِي تَكُون عِندَ قِيامِها والنَّاسُ يُشاهِدُون ذَلِكَ.

وأَوَّلُ ذَلِك ذَهابُ ضَوءِ الشَّمسِ، كَما فِي حَدِيث أُبَيِّ بن كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإِذَا كَان ذَهابُ ضَوءِ الشَّمسِ هُوَ أَوَّل ما يَقَع من الآياتِ؛ فأيُّ مُتَعَلَّق للمُصنِّف فِي شَيءٍ مِمَّا ذَكَره الله تَعالَىٰ فِي أَوَّل سُورَة التَّكوِير؟

الوَجهُ الرَّابِعُ: أنَّ النَّاسَ لم يَستَغنُوا عن الاهتِدَاءِ بالنُّجومِ فِي أَسفارِهِم، ولاسِيَّما إِذَا سَافَرُوا فِي الطُّرُق الَّتِي لم تُعبَّد فإِنَّهُم كَثِيرًا ما تَشتَبِه عَلَيهِم الجِهَةُ الَّتِي

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (ص٧٠٤)، و«لسان العرب» (٥/ ١٣٥)، و«القاموس المحيط» (ص٦٠٣).

يَقصِدُونَها فيَرجِعُون إِلَىٰ الاهتِدَاءِ بالنُّجومِ. وكَذَلِكَ جِهَةُ القِبلَة إنَّما يَهتَدُون إِلَيها فِي النَّهار بالشَّمسِ وفِي اللَّيلِ بالنُّجومِ.

الوَجهُ الخَامِس: أنَّ الظَّاهِرَ من كَلامِ المُصنِّف وتَقرِيرِه أنَّ تكوِيرَ الشَّمسِ هُوَ شِدَّةُ ضَوئِها وغَلَبَتُه عَلَىٰ الأنوارِ الكَهرُبائيَّة.

وهَذَا خطأٌ مُخالِفٌ لِمَا قَالَه المُفسِّرون فِي مَعنَىٰ تكوِير الشَّمسِ.

قَال ابنُ كَثيرٍ فِي «تفسِيره»(١): «قَال عَلِيُّ بنُ أَبِي طَلحَةَ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾؛ يَعنِي: أَظلَمَت. وقَالَ العَوفِيُّ عنه: ذَهَبت. وقَالَ مُجاهِد: اضمَحَلَّت وذَهَبت. وكَذَا قَال الضَّحَّاك. وقَالَ قَتادَة: ذَهَب ضَوؤُها. وقَالَ سَعِيدُ بن جُبيرٍ: كُوِّرَت: غُوِّرَت. وقَالَ الرَّبِيع بن خُثَيمٍ: كُوِّرَت: رُمِيَ بِهَا. وقَالَ أَبُو صَالِحٍ: كُوِّرَت: أُلقِيَت. وعنه أيضًا: نُكِسَت. وقَالَ زَيدُ بنُ أَسلَم: تَقَعُ فِي الأَرضِ».

قَال ابنُ جَرِيرٍ(٢): «والصَّوابُ مِن القَول عِندَنا فِي ذَلِكَ: أَنَّ التَّكوِيرَ جَمْعُ الشَّيءِ بَعضِه إِلَىٰ بَعضٍ، ومِنهُ تَكوِيرُ العِمامَةِ وجَمعُ الثِّيابِ بَعضِها إِلَىٰ بَعضٍ؛ فمَعنَىٰ قَولِه تَعالَىٰ: ﴿كُوِّرَتۡ﴾ جُمِعَ بَعضُها إِلَىٰ بَعضٍ ثُمَّ لُفَّت فرُمِيَ بِهَا، وإذا فُعِل بِهَا ذَلِك ذَهَب ضَوؤُها».

ثم ذَكَر ما رَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ عن شَيخٍ من بَجِيلَة عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ قَال: «يُكَوِّر اللهُ الشَّمسَ والقَمَر والنُّجومَ يومَ القِيامَةِ فِي البَحرِ، ويَبعَثُ الله رِيحًا دَبورًا فيُضرِمُها نارًا». قَال ابن كثير: «وكَذَا قَال عامِرٌ الشَّعبِيُّ».

---

(١) (٨/ ٣٢٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣١).

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (٢٩ – ٣٢):

قرَّر المُصنِّف أنَّ المَطَر الَّذِي يَكُون مع الدَّجَّال هُوَ المَطَر الصِّناعِيُّ، وأنَّ ما يَكُون مَعَه من جَبَلِ الخُبزِ ونَهرِ الماءِ هُوَ ما يَحمِلُه فِي العَرَباتِ الحامِلَة للماءِ والعَرَبات الحامِلَة للخُبْزِ ومَاكِينَات العَجينِ والخَبْزِ والطَّبخِ وما إِلَيهَا مِمَّا هُوَ مَوجُودٌ الآنَ لَدَىٰ سائِرِ الدُّولِ لاستِعمَالِها فِي الحُروبِ، وأنَّ ذَلِك كُلَّه بالأَسبابِ العادِيَّة الَّتِي أَجرَاهَا الله تَعالَىٰ عَلَىٰ يَدِ غَيرِه واختَرَعها الإِفرِنجُ قَبلَ ظُهورِه فاستَعمَلَها هُوَ لِدَعوَتِه.

والجَوابُ: أن يُقالَ:

أنَّ الأُمورَ الَّتِي تَكُون مع الدَّجَّال من الأُمورِ الغَيبِيَّة فلا يُقالُ فِيهَا بمُجَرَّد الرَّأيِ، وإِنَّما يُنتَهىٰ فِيهَا إِلَىٰ ما جاءَ عن المَعصُوم صَلَواتُ الله وسَلامُه عَلَيهِ.

والَّذِي يَظهَر من الأَحادِيثِ أنَّ ما يُجرِيه الله تَعالَىٰ عَلَىٰ يَدَي الدَّجَّال يَكُون من خَوارِق العادَاتِ لا مِن الأَسبابِ العادِيَّة الَّتِي تَعرِفُها النَّاسُ ويَستَعمِلُونَها، وذَلِكَ أَعظَمُ الفِتنَةِ؛ فأَمَّا الأُمورُ الَّتِي قد سَبَقه بِهَا غَيرُه وعَرَفها النَّاس فلَيسَ فِي إِتيانِه بِها أَمرٌ خارِقٌ يَفتَتِن به النَّاس.

وقد جاءَ فِي الحَدِيث الصحيحِ: «**أَنَّهُ يَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ أَنْ تُنبِتَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ سَارِحَةُ الْقَوْمِ عَلَيْهِمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًىٰ وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ**». رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ ومُسلِمٌ وأَهلُ السُّنَن إِلَّا النَّسائِيَّ، من حَدِيثِ النَّواسِ بنِ

سَمعَانَ الكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١). وهَذَا شَيءٌ خارِقٌ للعادَةِ لا من الأَسبابِ العادِيَّة الَّتِي يَعرِفُها النَّاسُ ويَستَعمِلُونَها.

وقد دلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَىٰ أنَّ السَّماءَ تُمطِر بمُجَرَّد أَمرِه لها أن تُمطِرَ، لا بآلاتٍ يَستَعمِلُها لِذَلِكَ.

ودلَّ الحَدِيثُ -أيضًا- عَلَىٰ أنَّ الأَرضَ تُنبِتُ النَّباتَ فِي الحالِ من غَيرِ آلةٍ يَستَعمِلُها لِذَلِكَ، وأنَّ السَّارِحَة تَرُوحُ مِن يَومِها وهي طَوِيلَةُ الذُّرَىٰ سَابِغَةُ الضُّروعِ مُمْتَدَّةُ الخَواصِرِ.

وفِي الحَدِيث -أيضًا- أنَّه «**يَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ**». وهَذَا شَيءٌ خارِقٌ للعادَةِ.

وفِي الحَدِيثِ أيضًا: أنَّه يَمُرُّ بالخَرِبَة فيَقُول لَهَا: أَخرِجِي كُنوزَكِ، فتَتبَعُه كُنوزُها كيَعاسِيب النَّحلِ، وأنَّه يَدعُو رَجُلًا مُمتَلِئًا شَبابًا فيَضرِبُه بالسَّيفِ فيَقْطَعُه جَزْلَتَينِ رَميَةَ الغَرَضِ، ثم يَدعُوه فيُقبِلُ ويَتَهَلَّل وَجهُه يَضحَكُ.

وفِي الحَدِيث الآخَرِ: أنَّ له حِمارًا يَركَبُه عَرضُ ما بَينَ أُذُنَيهِ أَربَعُون ذِراعًا. وهُوَ حَدِيث صَحِيحٌ وقد تَقَدَّم ذِكْرُه.

وهَذَا كُلُّه من خَوارِق العَادَاتِ، لا من الأَسبابِ الَّتِي يَعرِفُها النَّاس ويَستَعمِلُونَها.

ولِهَذا كانَت فِتنَة الدَّجَّال أَعظَمُ فِتنَةٍ تَكُون فِي الدُّنيا، كَمَا فِي «سُنَن ابنِ

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٨١) (١٧٦٦٦)، ومسلم (٢٩٣٧) وغيرهما، من حديث النواس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ماجَهْ» عن أَبِي أُمامَةَ الباهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ**»(١).

وفي «المُسنَد» و«صَحيحِ مُسلِمٍ» عن هِشَامِ بنِ عامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**». وفِي رِوَايَةٍ: «**أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**»(٢).

ولمَّا كانَت فِتنَتُه أَعظَمَ الفِتَن أَمَر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستِعَاذَة مِنهَا فِي كُلِّ صَلاةٍ، وحَذَّر مِنهُ وأَنذَر فِي عِدَّة أَحادِيثَ.

وفِي «المُسنَد» و«سُنَن أَبِي دَاوُد» عن عِمرَانَ بن حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**» وفِي رواية لأَحمَد: يقولُها ثلاثًا «**فَوَاللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»(٣).

ولَو كَان ما مَعَ الدَّجَّال مِن الأَسبابِ العادِيَّة الَّتِي يَعرِفُها النَّاس ويَستَعمِلُونَها لَكان شَأنُه كشَأنِ سائِرِ الدُّولِ الَّتِي تَصنَعُ المُختَرَعات العَجِيبَة وتَستَعمِلُها ولم يَكُن للتَّحذيرِ مِنهُ بخُصوصِه كَبيرُ فائِدَةٍ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) وغيره من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعف إسناده الألباني في «قصة المسيح الدجال» (ص٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩) (١٦٢٩٨)، ومسلم (٢٩٤٦) من حديث هشام بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١) (١٩٨٨٨)، وأبو داود (٤٣١٩) وغيرهما من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠١).

فَصْلٌ

وفِي صَفحَة (٣٣ – ٣٤):

تأوَّل المُصنِّف ما جاء فِي حَدِيثَي ابنِ مَسعُود وأَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْتِفَاخُ الْأَهِلَّةِ**»[١] عَلَىٰ آلاتِ الرَّصدِ الَّتِي يُرَىٰ بِهَا الهِلالُ عِندَ أَوَّل ظُهورِه.

ولا يَخفَىٰ أنَّ الحَدِيثَ ضَعِيفٌ، ولو صَحَّ لَكانَ مَحمُولًا عَلَىٰ ظاهِرِه، لا عَلَىٰ وُجودِ آلاتِ الرَّصدِ؛ إِذ لا غَرابَة فِي ذَلِكَ، واللهُ أَعلَمُ.

فَصْلٌ

وقَالَ فِي صَفحَة (٣٨) ما نَصُّه:

«**ومِن ذَلِكَ**: زِينَةُ الأَرضِ وحَضَارَتُها بتَعبِيد الطُّرُق وإِحدَاثِ الشَّوارِع وإِضاءَتِها بالأَنوارِ ووُجودِ الأَبنِيَةِ الطَّوِيلَة ذاتِ الطَّبقاتِ المُتعَدِّدَة وغَيرِ ذَلِك من أَنواعِ الزِّينَةِ والحَضارَةِ، وقد ذَكَر الله تَعالَىٰ ذَلِك من أَشراطِ السَّاعَة الدَّالَّة عَلَىٰ قُربِها جدًّا، فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس: ٢٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٩٨) (١٠٤٥١) وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٦٥) (٦٨٦٤) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٩٢).

والجَوابُ: أَن يُقالَ:

إنَّ هَذِه الآيَةَ لَيسَت وارِدَةً فِي أَشراطِ السَّاعَة كما زَعَمَه المُصنِّف، وإنَّما هي مَثَل ضَرَبَه الله تَعالَىٰ لزَهرَة الحَياةِ الدُّنيَا وزَينَتِها وسُرعَةِ انقِضَائِهَا وزَوالِهَا: بالنَّباتِ الَّذي يُخرِجُه الله تَعالَىٰ من الأَرضِ بالمَاءِ الَّذي يُنزِلُه من السَّماءِ، ولِهَذِه الآيَةِ نَظائِرُ فِي سُورَة الكَهفِ وسُورَة الزُّمَر وسُورَةِ الحَديدِ، وقد ذَكَرْتُها فِيمَا تقدَّم.

فصل

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (٥٠) ما نَصُّه:

«إِخبارُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإِهمَالِ الوَاقِع من النَّجدِيِّين للمَدينَة المُنَوَّرَة الَّذي سَيئُول بِها إِلَىٰ الخَرابِ.

رَوَىٰ أَحمَدُ وأبو دَاوُدَ من حَديثِ مُعاذِ بن جَبَل قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**»[(١)].

فعُمرانُ بَيتِ المَقدِس قد ابتدَأَ وظَهَر إن لم يَكُن تمَّ بإِنشَاءِ دَولَة اليَهُود فِيهِ، فإِنَّهُم عَمَرُوه ولا زَالُوا جَادِّين فِي عِمَارَتِه.

والمَدِينَة المُنَوَّرة فِي طَرِيقِ الخَرابِ، لمُحارَبَة القَرنِيِّين[(٢)] لها وَسَعيِهِم فِي

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢) (٢٢٠٧٦)، وأبو داود (٤٢٩٤) وغيرهما من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٩٦).

(٢) يقصد النجديِّين (أهل نجد)؛ لأنه يزعم أن ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هو طلوع قرن الشيطان، وسيأتي رد الشيخ التويجري عليه بعد قليل.

القَضاءِ عَلَيها بعَدَم التِفاتِهم إِلَيها وإلىٰ إِصلَاحِها، مع إِهمالِهم لأَهلِها ومُعاكَسَتِهم لِمَن يُرِيدُ الإِقامَةَ بِها وصَرفِهم النَّظَر عن سُكَّانِها وعَدَم مُساعَدَتِهم ومَدِّ يَدِ المَعُونَة إِلَيهِم، لِتَخْرَب ولا يَبقَىٰ بِهَا ساكِنٌ ولا مُجاوِرٌ لسَيِّد الخَلقِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، بُغضًا مِنهُم فِي جانِبِه الشَّريفِ واعتقادًا مِنهُم -قَبَّحَهُم الله- أَنَّ زِيارَتَه وتَعظِيمَه بِدعَةٌ وضَلالٌ، فَهُم يَسعَون لِذَلِكَ فِي خَرابِها حتَّىٰ يَنصَرِف النَّاسُ عن المُجاوَرَة والزِّيارَةِ، وخَرابُها كما تَرَىٰ من أَشراطِ السَّاعَة».

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ ما ذَكَره عن النَّجدِيِّين من الإِهمالِ للمَدِينَة وأَهلِها... إِلَىٰ آخِرِ كَلامه الَّذِي أَقذَع فِيهِ فكُلُّه كَذِب وبُهتَان.

وكُلُّ مَنْ رَأَىٰ حالَ المَدِينَة وأَهلِها فِي هَذَا الزَّمانِ يَعلَم حَقًّا جَراءَة هَذَا الصُّوفِيِّ عَلَىٰ الكَذِب والبُهتانِ وإِسرافَه فِي ذَلِكَ، وقَد قِيلَ:

لِـــي حِيلَـــةٌ فِـــيمَنْ يَـــنِمْ ... مُ وَلَـــيْسَ فِـــي الكَـــذَّابِ حِيلَـــهْ
مَـــن كَـــانَ يَخْلُـــقُ مَـــا يَقُـــو ... لُ فَحِيلَتِـــي فِيـــهِ قَلِيلَـــهْ(١)

وقَالَ بَعضُ السَّلَف: «يُفسِدُ الكَذَّابُ والنَّمامُ فِي ساعَةٍ مَا لا يُفسِد السَّاحِرُ فِي سَنَة»(٢).

---

(١) البيتان لبشار بن برد في «ديوانه».

(٢) نسبه ابن عبد البر ليحيىٰ بن أبي كثير في «بهجة المجالس» (ص٨٧) بهذا اللفظ، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/ ٤٤٧) (١٠٦٠١) عن ابن أبي كثير بلفظ: «يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر».

والكَذِب من كَبائِر الإثمِ، وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

قَال أَبُو قِلابَةَ(١): «هِي واللهِ لِكُلِّ مُفترٍ إِلَىٰ يوم القِيامَةِ»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَد والشَّيخانِ وأَبُو دَاوُد والتِّرمِذِيُّ عن عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ كَذَّابًا**»(٣).

---

(١) هو عبد الله بن زيد الجرمي أبو قلابة البصري روىٰ عن أنس بن مالك، وغيره. روىٰ عنه حميد الطويل، وجماعة. ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: «فيه نصب يسير» من الثالثة، مات سنة (١٠٤) وقيل: بعدها. انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٥٤٢)، و«التقريب» (٣٣٣٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٥/ ١٥٧١) وغيرهما عن أبي قلابة به.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤) (٣٦٣٨)، والبخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، وأبو داود (٤٩٨٩)، والترمذي (١٩٧١) وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورَوَىٰ ابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه» عن أَبِي بَكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ**»(١).

ورَوَىٰ الطَّبرانِيُّ فِي «الكَبيرِ» بإسنادٍ حَسَن عن مُعاوِيَة بنِ أبي سُفيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ**»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَدُ عن عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا جاءَ إِلَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: يا رَسُولَ الله، ما عَمَلُ الجَنَّةِ؟ قال: «**الصِّدْقُ، إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرَّ، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» قَال: يا رَسُولَ الله، وما عَمَلُ النَّار؟ قال: «**الْكَذِبُ، وَإِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ، وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ**» يَعنِي النَّارَ(٣).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ -أَيضًا- والبُخارِيُّ فِي «صَحِيحِه» عن سَمُرة بنِ جُندُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَال: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي**» فذكر الحَدِيث وفيه: «**فَانطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ**

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٣) (٥٧٣٤)، وغيره من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٧٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٨٠) (٨٩٤) وغيره من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده ثابت بن سعد الطائي، أبو عمرو الشامي الحمصي، مقبول، كذا في «التقريب».

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦) (٦٦٤١)، وغيره من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤١٥٣).

عَلَيهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّىٰ يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ...» الحَدِيثَ وفِي آخِرِه: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وعيناه إِلَىٰ قفاه وَمَنْخِرَاهُ إِلَىٰ قَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ»(١).

ورَوَىٰ التِّرمِذِيُّ فِي «جامِعِه» عن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «إِذَا كَذَبَ العَبْدُ تَباعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيلًا مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن جَيِّد غَرِيب»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ عن أبي أُمامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَىٰ الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»(٣). ورَوَىٰ البَزَّار وأَبُو يَعلَىٰ نَحوَه من حَدِيث سَعدِ بنِ أَبِي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨) (٢٠١٠٦)، والبخاري (٧٠٤٧) وغيرهما من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٢)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٨٢٨): «منكر».

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢) (٢٢٢٢٤) وغيره من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «الضعيفة» (٧/ ١٩٦).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» (٣/ ٣٤٠) (١١٣٩)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٢/ ٦٧) (٧١١) وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «الضعيفة» (٧/ ١٩٦).

وروى الإمام أحمد -أيضًا- عن أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «يا أيُّها النَّاسُ، إيَّاكُم والكَذِبَ؛ فإنَّ الكَذِبَ مُجانِبٌ للإيمَانِ». ورواهُ البيهقيُّ مرفوعًا وقال: «الصَّحيحُ أنَّه موقوفٌ»(١).

ورَوَىٰ مالكٌ عن صَفوانَ بنِ سُلَيم(٢) مرسلًا؛ قال: قِيلَ: يا رَسُول الله، أيَكُون المُؤمِن جبانًا؟ قَال: «**نعَمْ**»، قِيلَ: أيَكُون المُؤمِن بَخِيلًا؟ قَال: «**نعَمْ**» قِيلَ لَهُ: أيَكُون المُؤمِن كَذَّابًا؟ قَال: «**لا**»(٣).

وفِي «الصَّحيحَينِ» عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**». وفِي رِوَايَة لمُسلِمٍ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

ورواهُ الإمَامُ أحمَدُ ولفظُه: قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**». إسنادُه صَحِيح عَلَىٰ شَرطِ مُسلِمٍ(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٣٣٢) (٢٠٨٢٦) وغيره من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٣٩٣).

(٢) هو صفوان بن سليم المدني، أبو عبد الله، وقيل: أبو الحارث القرشي الزهري مولاهم، الفقيه، روىٰ عن عبد الله بن سلمان الأغر، وجماعة. روىٰ عنه سفيان بن عيينة وغيره، ثقة مفت عابد، رمي بالقدر، من الرابعه، مات سنة اثنتين وثلاثين -يعني: بعد المائة- وله اثنتان وسبعون سنة. انظر: «تهذيب الكمال» (١٣/ ١٨٤)، و«التقريب» (٢٩٣٣).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٠) (١٩) عن صفوان بن سليم مرسلًا.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٥٣٦) (١٠٩٣٨)، والبخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وفي «الصَّحيحَينِ» و«المُسنَد» والسُّنَن عن عَبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(١).

ورَوَىٰ أَبُو يَعلَىٰ وأبو الشَّيخِ الأَصبَهانِيُّ عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢).

وقال الحَسَنُ البَصرِيُّ رحمه الله تَعالَىٰ: «كان يَقالُ: أُسُّ النِّفاقِ الَّذي بُنِيَ عَلَيهِ: الكَذِبُ»(٣).

والأَحادِيثُ فِي ذَمِّ الكَذِب والتَّحذيرِ مِنهُ كَثيرَة، وفِيمَا ذَكَرْتُه كِفايَةٌ.

ومِمَّا يُؤسَف له صُدورُ الكَذِبِ والبُهتانُ من المُصنِّف مع دَعواهُ لنَفسِه مَرتَبَةَ الكَمالِ فِي آخِرِ كِتَابِه، وأنَّه من القائِمين بكِتَابِ الله الدَّاعِين إِلَيهِ سِرًّا وعَلانِيَة! فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العَلِيِّ العَظيمِ!

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ المَدِينَة كانت فِي زَمانِ وِلَايَةِ التُّركِ عَلَيها كسَائِرِ القُرَىٰ المُتَأَخِّرَة فِي أَنواعِ العِمارَة والتَّنظيمِ؛ وكان السُّكانُ فِيهَا قَلِيلًا والخَرابُ فِي بُيُوتِها

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٩) (٦٧٦٨)، والبخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٥٠٢٠) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٧/ ١٣٦) (٤٠٩٨) وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق» (٤٨)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١٠٨)، وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (١٢٩) من طرق عن الحسن به.

كَثيرًا لِقِلَّة مَن يَمُرُّ بِها فِي غَيرِ وَقتِ الحجِّ.

ولَمَّا وَلِيَ عَلَيها أَهلُ نَجدٍ جَعَلُوها هي وَمَكَّةَ نُصبَ أَعيُنِهم ومَوضُوعَ عِنَايَتِهم؛ فكَانُوا يَهتَمُّون بِهِما وبأَهلِهِما أَعظَمَ مِنِ اهتِمَامِهِم بعاصِمَة مُلكِهِم الَّتِي كَانُوا يَسكُنون فِيهَا وبأَهلِها حتَّىٰ صارَتِ المَدِينَةُ الآنَ من المُدُن الكِبارِ فِي السُّعودِيَّةِ، مُتبَاعِدَةَ الأَطرافِ كَثِيرَةَ السُّكانِ مَعمُورًا أَكثَرُها بأَحسَنِ العِمارَةِ الحَدِيثَةِ ومُنَظَّمَة بأَحسَنِ التَّنظيمِ.

وقَد زَادَ النَّجدِيُّون فِي المَسجِدِ النَّبَوِيِّ مُنذُ سَنَواتٍ أَكثَرَ مِن مِثله فِي وِلايَةِ التُّركِ عَلَىٰ المَدِينَة، ولا يَزالُ مع ذَلِك يَضِيقُ بالمُصَلِّين فِيه، والخَيراتُ فِي المَدِينَة كَثِيرَةٌ جِدًّا وأَهلُها فِي نِعمَة عَظِيمَة ورَخاءٍ من العَيشِ وافِرٍ وأَمنٍ وطُمَأْنِينَةٍ.

وقد كَثُرَ الوافِدُون إِلَيها فِي كُلِّ وَقتٍ، وخُصوصًا لَمَّا عُبِّدَت الطُّرُق إِلَيها؛ فلا تَزالُ فِي كَثيرٍ من الأَوقاتِ مُزدَحِمَةً بالسُّكَّان والوافِدِين.

فإنْ كَان المُصنِّف لَم يَرَها فِي الوَقتِ الحاضِرِ فَلْيَقْدَم إِلَيها وَلْيَنْظُر إِلَيها حتَّىٰ يَعلَم بُطلانَ ما قَالَه فِيهَا وفِي أَهلِها وفِيمَن لَهُم الأَمرُ فِيهَا.

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ عُمرانَ بيتِ المَقدسِ الَّذِي جاء ذِكْرُه فِي حَدِيثِ مُعاذِ بن جَبَل رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، لَيس هُوَ بتَضخِيمِ البِنَاءِ وزَخرَفَتِه وتَنظِيمِه عَلَىٰ الأَشكالِ الحَدِيثَة كما تَوَهَّمه المُصنِّف، وإنَّما عُمرَانُه بظُهورِ الإِيمانِ وطاعَةِ الله تَعالَىٰ فِيه؛ وإِزالَةِ الشِّركِ والبِدَعِ وسائِرِ المُنكَراتِ مِنهُ، وهَذَا لم يَكُن إِلَىٰ الآنَ، وسَيكُون ذَلِك فِيمَا بَعدُ إذا كانَتِ الخِلافَة فِي الأَرضِ المُقَدَّسَة قَبلَ خُروجِ الدَّجَّال ونُزولِ عِيسَىٰ عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

كَما فِي حَدِيث أَبِي أُمامَةَ الباهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ فِي ذِكْر

الدَّجَّال، وفِيهِ: فقَالَت أُمُّ شَريكٍ بِنتُ أَبِي العَكَر: يا رَسُول الله، فأَينَ العَرَبُ يومَئِذٍ؟ قال: «**هُمْ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ يَوْمَئِذٍ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَىٰ لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ...**» الحَدِيثَ. رَواهُ ابنُ ماجَهْ(١).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والبُخارِيُّ فِي «تَاريخِه» والحاكِمُ فِي «مُستدرَكِه» عن عَبدِ الله بنِ حَوالَةَ الأَزدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَضَع رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَه عَلَىٰ رَأسِي -أو: عَلَىٰ هَامَتِي- ثمَّ قَال: «**يَا بْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَىٰ النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**». قَال الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسنادِ ولَم يُخرِجَاه» ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(٢).

وقد قَال الله تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٨) (٢٢٥٤٠)، وأبو داود (٢٥٣٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧١) (٨٣٠٩) وغيرهم من حديث عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٥٤٤٩).

وفِي هاتَينِ الآيَتَينِ دَليلٌ عَلَىٰ أنَّ العِمارَة فِي الحَقِيقَة إنَّما هي بالإِيمانِ وإِعلَاءِ كَلِمَةِ الله، وأنَّ الخرابَ كُلَّ الخَرابِ بِضِدِّ ذَلِكَ.

ويدُلُّ عَلَىٰ ذَلِك أيضًا: حَدِيثُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَىٰ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَبْقَىٰ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَىٰ، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِنْدِهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ**». رَواهُ البَيهَقِي فِي «شعب الإِيمان»، وذَكَره الإِمَامُ أَحمَدُ فِي كتابِ الصَّلَاة مُختَصَرًا[١].

وذَكَر الإِمَامُ أَحمَدُ -أيضًا- عن عُمَر بنِ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّه قَال:** «تُوشِكُ القُرَىٰ أن تَخرَب وهي عامِرَة. قِيلَ: وَكَيفَ تَخربُ وهي عامِرَة؟ قال: إذا عَلَا فُجَّارُها أَبرارَهَا، وسادَ القَبِيلَةَ مُنافِقُها». ورَواهُ أَبُو مُوسَىٰ المَدينِيُّ فِي كِتابِ «دَولَة الأَشرارِ»[٢].

وإذا عُلِمَ هَذَا؛ فاليَهُود لَم يعْمُروا بَيتَ المَقدِس كَمَا زَعَمه المُصنِّف، وإنَّما هُم مُخَرِّبون له، ولا زَالُوا جَادِّين فِي تَخرِيبِه حتَّىٰ تَنزِلَ الخِلافَة فِيهِ وتُطَهِّرَه مِنهُم ومِن إِخوَانِهِم من المُشرِكِين والمُنافِقِين.

الوَجهُ الرَّابع: أنَّ بُغضَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نَواقِضِ الإِسلامِ؛ فمَن أَبغَضَه، أو أَبغَضَ شيئًا مِمَّا جاء بِهِ فهُوَ كافِرٌ، وقَد حَكَىٰ شَيخُ الإِسلامِ أَبُو العَبَّاس بنُ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣١٧) (١٧٦٣)، وغيره من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) لم أقف علىٰ هذا الكتاب، والأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٤٤) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله، وإسناده منقطع.

تَيمِيَّة -رَحِمه الله تَعالَىٰ- الاتِّفاقَ عَلَىٰ هَذَا[(١)].

ومَعَ هَذَا فَقَد زَعَم هَذَا الصُّوفِيُّ المُلحِد فِي آياتِ الله تَعالَىٰ أَنَّ النَّجدِيِّين يُبغِضون الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويَعتَقِدُون أَنَّ زِيارَته ومُجاوَرَته وتَعظِيمَه بِدعَةٌ وضَلالٌ.

والجَوابُ عن هَذِه الفَريَةِ أن نَقُول: سُبحانَكَ هَذَا بُهتانٌ عَظِيمٌ! وقَد قَال بِهَذِه الفِريَة قَبلَه غَيرُ واحِدٍ مِن سَلَفِه وأَشباهِهِ من أَهلِ الزَّيغِ والإِلحَادِ، ورَدَّ عَلَيهِم المُحَقِّقون مِن أَهلِ نَجدٍ وغَيرِهم بِمَا يَشفِي ويَكفِي.

وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وعَن أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: **«مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِشَيْءٍ لَيسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَأْتِي بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ»**. رَواهُ الطَّبَرانِيُّ، قَال المُنذِرِيُّ: «وإِسنادُهُ جَيِّد».

وفِي رِوَايَة له: **«أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ، يُشِينُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُذِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ»**[(٢)].

وعن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: **«مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ[(٣)] حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»**. رَواهُ الإِمَام

---

(١) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٢٧/ ١٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٣٨٠) (٨٩٣٦) وغيره من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٥٨٤).

(٣) ردغة الخبال جاء تفسيرها في الحديث: أنها عصارة أهل النار، والردغة -بسكون الدال =

أَحمَدُ وأَبُو دَاوُد والطَّبَرانِي وزَادَ: «**وَلَيْسَ بِخَارِجٍ**»(١).

وكَلامُ المُصنِّف فِي زِيارَةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَعظِيمِه؛ فِيهِ إِجمالٌ:

فإِنْ كانَتِ الزِّيارَةِ بغَيرِ سَفَرٍ فلا خِلافَ فِي جَوازِها، ولَيسَ أَحَدٌ من عُلَماءِ النَّجدِيِّين يَمنَعُ مِنهَا، فَضلًا عن أن يَعتَقِدُوها بِدعَةً وضَلالًا كَمَا زَعَمه المُصنِّف كَذِبًا وافتِرَاءً علَيهِم.

وإِنْ كانَتِ الزِّيارَة تَحتاجُ إِلَىٰ سَفَر فَهِيَ داخِلَة فِيمَا نَهَىٰ عنه الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن شَدِّ الرِّحالِ إِلَىٰ غَيرِ المَساجِد الثَّلاثَة كَمَا فِي «الصَّحيحَين» و«المُسنَد» والسُّنَن إلَّا التِّرمِذِيَّ، عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ**». هَذَا لَفظُ البُخارِيِّ.

وفِي رِوَايَةِ لمُسلِم: «إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلْيَاءَ»(٢).

=

وفتحها-: طين ووحل كثير، وتجمع علىٰ ردغ ورداغ. انظر: «النهاية» (٢/ ٢١٥)، و«لسان العرب» (٨/ ٤٢٧).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨٢) (٥٥٤٤)، وأبو داود (٣٥٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٣٨٨) (١٣٤٣٥) وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٢٣٤) (٧١٩١)، والبخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأبو داود (٢٠٣٣)، والنسائي (٧٠٠)، وابن ماجه (١٤٠٩) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي «فتح الباري»[١]: «قَولُه: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ**» بضَمِّ أَوَّلِه بلَفظِ النَّفيِ، والمُرَادُ النَّهيُ عن السَّفَر إِلَىٰ غيرِهَا. قَال الطِّيبِيُّ: هُوَ أَبلَغُ مِن صَرِيحِ النَّهيِ، كَأَنَّه قَال: لَا يَستَقِيم أنْ يُقصَدَ بالزِّيارَة إِلَّا هَذِه البِقاعُ لاختِصَاصِها بِمَا اخْتُصَّت به، وكَنَىٰ بشَدِّ الرِّحالِ عن السَّفَر لأنَّه لَازِمُه، وخَرَج ذِكْرُها مَخْرَج الغالِبِ فِي رُكوبِ المُسافِر، وإِلَّا فلا فَرْقَ بين رُكوبِ الرَّواحِلِ والخَيلِ والبِغالِ والحَميرِ والمَشيِ فِي المَعنَىٰ المَذكُور، ويدُلُّ عَلَيهِ قولُه فِي بَعضِ طُرُقِه: «**إِنَّمَا يُسَافَرُ**»..». انتَهَىٰ.

وفي «الصَّحيحَينِ» وغَيرِهِما عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، وَمَسْجِدِي**». هَذَا لَفظُ البُخارِيِّ.

ولَفظُ مُسلِمٍ: «**لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ**»[٢].

ورَواهُ ابنُ ماجَهْ فِي «سُنَنِه» من حَدِيث أَبِي سَعِيدٍ وعَبدِ الله بن عَمرٍو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، وَإِلَىٰ مَسْجِدِي هَذَا**»[٣].

ورَوَىٰ الطَّبَرانِيُّ فِي «الصَّغيرِ» عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) (٣/ ٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٨، ١٩٩٥)، ومسلم (٩٧٥) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٤١٠) من حديث أبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَال: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**»(١).

وفِي «المُوَطَّأ» و«المُسنَد» و«سُنَن النَّسائِيِّ» عن بَصْرَة بن أَبِي بَصْرَةَ(٢) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّه قَال لأبي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقَد أَقبَلَ من الطُّورِ: لو أَدرَكْتُكَ قَبلَ أن تَخرُجَ إِلَيهِ لَمَا خَرَجْتَ، سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ومَسْجِدِي هذَا، وَالمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**». وقد رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ -أيضًا- وأَبُو دَاوُد الطَّيالِسِيُّ والبُخارِيُّ فِي «التَّاريخِ الكَبيرِ» من حَدِيث أَبِي بَصْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنَحوِه(٣).

وقَد تَحَصَّل من أَلفاظِ هَذِه الأحادِيثِ ثَلاثُ صِيَغٍ: النَّفيُ، والنَّهيُ، والحَصرُ، وكُلُّ واحِدَةٍ من هَذِه الصِّيَغِ تُفِيد أَنَّه لا يَجُوز السَّفَر إِلَىٰ زِيَارَة شَيءٍ من القُبورِ ولا المَساجِد والأَماكِنِ المُعَظَّمَة سِوَىٰ المَساجِد الثَّلاثَة، وباجتِمَاعِ هَذِه الصِّيَغِ الثَّلاثِ يَزدَادُ المَنعُ شِدَّةً، والله أَعلَمُ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٩٢) (٤٨٢) من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإسناده ضعيف جدًّا.

(٢) هو بَصْرةُ بنُ أبي بَصْرةَ حُمَيْلُ بن بَصْرةَ الغِفاري الشامي، قال المزي: «له ولأبيه صحبة، له عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حديث واحد: «**لا تعمل المطي إلا إلىٰ ثلاثة مساجد**»..»، وقال الحافظ ابن حجر: «صحابي ابن صحابي، والمحفوظ أن الحديث لوالده أبي بصرة». اهـ. انظر: «تهذيب الكمال» (٤/ ١٩٠)، و«التقريب» (٧٣٢).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٠٨) (١٦)، وأحمد (٦/ ٧) (٢٣٨٩٩)، والنسائي (١٤٣٠)، والطيالسي في «المسند» (٢/ ٦٨٥) (١٤٤٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٢٤) وغيرهم من حديث أبي بصرة الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧١).

وإِذَا كان شَدُّ الرِّحالِ إِلَىٰ زِيارَة القُبورِ مَعصِيةً للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما ذَنبُ النَّجدِيِّين إِذَا نَهَوا عن ذَلِك واعتَقَدُوه بِدعَةً وضَلالًا عن الصِّراطِ المُستقِيم؟! فلَيس النِّجدِيُّون بمُخطِئِين فِي نَهيِهِم عَن الزِّيارَة البِدعِيَّة، وإِنَّما المُخطِئُ الأَثيمُ مَن أَجازَها وارتكَب ما نَهَىٰ عنه الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شَدِّ الرِّحالِ إِلَىٰ غَيرِ المَساجِد الثَّلاثَةِ، فخَالَف بذَلِك قَولَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وأَمَّا تَعظِيمُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإِنْ كان ذَلِك بِمَا أَمَر الله بِه؛ مِن طاعَتِه ومَحَبَّتِه واحتِرَامِه وتَوقِيرِه واتِّباعِ أَوامِرِه واجتِنَابِ نَواهِيهِ، فذَلِكَ واجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِم، وجَميعُ المُؤمِنين من النَّجدِيِّين وغَيرِهم عَلَىٰ هَذَا المَذهَب، ولَيسَ أَحَدٌ من مُؤمِني أَهلِ نَجدٍ يُخالِفُ فِي هَذا؛ فَضلًا عن أن يَعتَقِدُوه بِدعَةً وضَلالًا كما زَعَم ذَلِك المُصنِّفُ كَذِبًا وافتِرَاءً عَلَيهِم.

وإِن كان تَعظِيمُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا نَهَىٰ عَنهُ من الغُلُوِّ فِيهِ وإِطرَائِه كَمَا أَطْرَت النَّصارَىٰ عِيسَىٰ بنَ مَريَم، واتِّخاذِ قَبرِه عِيدًا والالتِجَاءِ إِلَيهِ فِي قَضاءِ الحَاجاتِ وتَفريجِ الكُرُباتِ وإِغاثَةِ اللَّهفاتِ كَمَا يَفعَلُه كَثيرٌ من المَفتُونينَ بالقُبورِ، فذَلِكَ ضَلالٌ عن الصِّراطِ المُستقِيمِ، ومَن اعتَقَد ذَلِكَ بِدعَةً وضَلالًا فَهُوَ المُصِيبُ، ومَن أَنكَرَ عَلَيهِ فَهُوَ التَّائِهُ الضَّالُّ، والله أَعلَمُ.

وأَمَّا تَسمِيَة المُصنِّف للنَّجدِيِّين بالقَرنِيِّين: فمُرَادُه أَنَّهم هُم قَرنُ الشَّيطانِ الَّذِي أَخبَر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطُلوعِه، وسَيأتِي الجَوابُ عن هَذَا إِن شاءَ الله تَعالَىٰ عِندَ

قَولِه فِي صَفحَة (٧٦)[١]: «ولَمَّا طَلَع قَرنُ الشَّيطانِ بنَجدٍ». والله المُستعانُ؛ وهُوَ حَسبُنا ونِعمَ الوَكيلُ.

فصلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (٥١) ما نِصُّه:

«رَوَىٰ الطَّبَرانِيُّ فِي «الكَبيرِ» والحاكِمُ فِي «المُستَدرَك» من حَدِيث عَبدِ الله بنِ الحارِث بنِ جَزْءٍ الزَّبيدِيِّ قَال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سَيَكُونُ بَعْدِي سَلَاطِينُ الْفِتَنِ عَلَىٰ أَبْوَابِهِمْ كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ، لَا يُعْطُونَ أَحَدًا شَيْئًا إِلَّا أَخَذُوا مِنْ دِينِهِ مِثْلَهُ»**[٢].

فسَلاطِينُ الفِتَن هُم المَوجُودُون فِي هَذَا العَصرِ لا مَن كان قَبلَهُم، بدَليلِ قَولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَىٰ أَبْوَابِهِمْ كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ**»؛ لأنَّ هَذَا وَصفُ السَّيَّاراتِ ومَواقِفِها، ولم يُوجَد ذَلِك إلَّا فِي عَصرِنا هَذَا عَلَىٰ أَبوابِ مُلوكِ الوَقتِ الَّذِين هُم مَنشَأُ الفِتَن القائِمَة الآنَ فِي سائِرِ الأَقطارِ الإسلامِيَّة كما هُوَ مَعلُوم.

ويُؤَيِّدُ ذَلِك أيضًا: ذِكْرُه لبَعضِهِم ووَصْفُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصحَابَه بالوَصفِ الَّذِي لم يَكُن مَوجُودًا قبل وَقتِنا هَذَا؛ فرَوَىٰ الطَّبَرانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» من مُرسَل عَبدِ الله بنِ رَباحٍ[٣]

---

(١) انظر: (ص١٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «جامع المسانيد» لابن كثير (٥/ ١٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٣٤) (٦٦٦٥)، وغيرهما من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٧٢٠).

(٣) الصواب أن الحديث من رواية عبد الله بن ورَّاح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وسيأتي تنبيه المصنف رَحِمَهُ اللهُ.

قال: قَال رَسُول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يُؤَمَّرَ عَلَيْهِمُ الرُّوَيْجِلُ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قَوْمٌ، مُحَلَّقَةٌ أَقْفِيَتُهُمْ، بِيضٌ قُمُصُهُمْ؛ فَإِذَا أَمَرَهُمْ بِشَيْءٍ حَضَرُوا**»[١].

فالقَومُ المُحَلَّقة أَقفِيَتُهم هم العَصرِيُّون المُتَفرْنِجُون الَّذين يَلبَسُون القُمُصَ تَحتَ المَلابسِ الإِفرَنجِيَّة أيضًا، ويَحلِقُون أَقفِيَتَهُم تَشبُّهًا بالكُفَّار، وهم المُلتَفُّون حَولَ سَلاطِين الوَقتِ أَهلِ الفِتَن؛ أمَّا مَن كان قبلَ هَذَا العَصرِ فلم يَكُن فِيهِم قَومٌ مُحَلَّقَة أَقفِيَتُهم ولَا عَلَىٰ أَبوابِهِم كمَبارِك الإِبِل».

والجَوابُ عن هَذَا من وَجهَينِ:

أَحَدُهُما: أنَّ حَدِيث عَبدِ الله بنِ الحارِثِ بن جَزْءٍ ضعيفٌ جِدًّا؛ لأنَّ فِي إِسنادِه «حَسَّانَ بنَ غالِبٍ» قَال الدَّارَقُطنِيُّ: «ضَعِيفٌ مَتْرُوك»، وكَذا قَال الذَّهبِيُّ والهَيثَمِيُّ: إنَّه مَتْرُوك، وذَكَره ابنُ حِبَّان فقَال: «شَيخٌ مِن أَهلِ مِصرَ يَقلِبُ الأَخبارَ، ويَروِي عَنِ الأَثباتِ المُلزَقاتِ لا تَحِلُّ الرِّوايَة عَنهُ إلَّا عَلَىٰ سَبيلِ الاعتِبَارِ».

وفِيه -أيضًا- «ابنُ لَهِيعَة»، وهُوَ ضعيفٌ؛ وعَلَىٰ هَذَا فَلَيس هَذَا الحَدِيثُ بشَيءٍ ولا يُعتَدُّ بِه.

الوَجهُ الثَّانِي: لو قَدَّرْنا صِحَّةَ هَذَا الحَدِيث فهو عامٌّ لسَلاطِين الفِتَن فِي هَذَا الوَقتِ ولِمَن كانَ قَبلَهم من زَمانِ بَنِي أُمَيَّة إِلَىٰ يَوم القِيامَة، ولَيس فِيهِ ما يَدُلُّ عَلَىٰ تَخصِيصِ أَهلِ هَذَا العَصرِ بذَلِك.

---

(١) أخرجه الطبراني كما في «جامع المسانيد» لابن كثير (٥/ ٤٣٩)، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٢١٢) للهيثمي، كما أخرجه عن الطبراني أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤/ ١٧٩٦) (٤٥٤٨) من حديث عبد الله بن وراح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢٤).

وأمَّا استِدلالُ المُصنِّف عَلَىٰ ما ذَهَب إِلَيهِ بقَولِه: «**عَلَىٰ أَبْوابِهِمْ كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ**»، وأنَّ هَذَا وصفُ السَّيَّارات ومَواقِفِها عَلَىٰ أبوابِ مُلوكِ الوَقتِ؛ فَهُوَ استِدلالٌ فِي غايَةِ البُعدِ والتَّكَلُّف؛ إِذ ليس بينَ الإِبِل وبين السَّيَّارات شَيءٌ من المُشابَهَة.

وأيضًا: فإنَّه قَال فِي الحَدِيث: «**الْفِتَنِ عَلَىٰ أَبْوَابِهِمْ كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ**» والمَبارِك: آثارُ الإِبِل فِي الأَرضِ لا أَجسامُ الإِبِل، والمَعنَىٰ: أنَّ الفِتنَ عَلَىٰ أَبوابِهِم كَثِيرَة تُشبِه فِي كَثرَتِها آثارَ الإِبل الَّتِي تُناخُ عِندَ أَبوابِهِم، ولو كَان الأَمرُ عَلَىٰ ما ذَهَب إِلَيهِ المُصنِّف لقالَ: عَلَىٰ أَبوابِهِم كالإِبِل البُروكِ أو الإِبِل المُناخَة.

وأمَّا الحَدِيث الآخر الَّذِي ذَكَره المُصنِّف عن عَبدِ الله بن رَباحٍ؛ فصَوابُه: «عَبدُ الله بنُ وَرَّاح» براء ثقيلة ثم حاء مهملة، هَكَذا ضَبَطه الحافِظُ ابن حَجَر فِي «الإِصابَة»(١). وهُوَ مَعدودٌ فِي الصَّحابَة فحَدِيثُه مُتَّصِلٌ وليس بمُرسَل.

وقد ظَهَر مِصدَاق حَدِيثِه فِي زَمَنِه، بل فِيهِ نَفسِه، وفِي جَزءِ بنِ سُهَيلٍ السُّلَمِّي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ:

قَال جُبَير بنُ نُفَير: كَان عَبدُ الله بنُ وَرَّاح قديمًا له صُحبَة، وحدَّثَنا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**يُوشِكُ أَنْ يُؤَمَّرَ عَلَيْكُمُ الرُّوَيْجِلُ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قَوْمٌ، مُحَلَّقَةٌ أَقْفِيَتُهُمْ، بِيضٌ قُمُصُهُمْ، فَإِذَا أَمَرَهُمْ بِشَيْءٍ حَضَرُوا**»، ثمَّ إنَّ عَبدَ الله بنَ وَرَّاحٍ وَلِي عَلَىٰ بَعضِ المُدُن، فاجتَمَع إِلَيهِ قَومٌ من الدَّهاقين مُحَلَّقَة أَقفِيَتُهم بِيضٌ قُمُصُهم، فكان إذا أَمَرَهُم بشَيءٍ حَضَروا فيَقُول: صَدَق اللهُ ورَسُولُه. رَواهُ الطَّبرانِي، قَال الهَيثَمِيُّ: «ورِجالُه ثِقاتٌ».

---

(١) (٤/ ٢٢٢).

وعن جُبير بن نُفير -أيضًا- قال: قَال ابنُ حَوالَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كُنَّا عِندَ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فشَكَوْا إِلَيهِ الفقْرَ والعُرْيَ وقِلَّةَ الشَّيءِ، فقَالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَبْشِرُوا، فَوَاللهِ لَأَنَا لِكَثْرَةِ الشَّيْءِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ قِلَّتِهِ، وَاللهِ لا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِيكُمْ حَتَّىٰ يُفْتَحَ لَكُمْ جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ حَتَّىٰ يُعْطَىٰ الرَّجُلُ الْمِائَةَ فَيَسْخَطُهَا**» قَال عَبدُ الله بنُ حَوالَةَ: ومَتَىٰ نَستَطِيع الشَّامَ مع الرُّومِ ذَاتِ القُرونِ؟ فقَالَ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَيَفْتَحُهَا لَكُمْ، وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا حَتَّىٰ تَظَلَّ الْعِصَابَةُ مِنْهُمُ الْبِيضُ قُمُصُهُمْ، الْمُحَلَّقَةُ أَقْفَاؤُهُمْ، قِيَامًا عَلَىٰ الرُّوَيْجِلِ الْأُسَيْوِدِ مِنْكُمْ، مَا أَمَرَهُمْ بِشَيْءٍ فَعَلُوهُ، وَإِنَّ بِهَا الْيَوْمَ رِجَالًا لَأَنْتُمْ أَحْقَرُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الْقِرْدَانِ فِي أَعْجَازِ الْإِبِلِ**». رَواهُ الطَّبَرانِيُّ بإسنادَينِ، قَال الهَيثَمِي: رِجالُ أَحدِهِما رِجالُ الصَّحيحِ غيرَ نَصرِ بنِ عَلقَمَة وهُوَ ثِقَة.

وقد رَواهُ البَيهَقِيُّ بنَحوِه وزَادَ: قَال أبو عَلقَمَة نَصرُ بنُ عَلقَمَة: سَمِعتُ عَبدَ الرَّحمَن بنَ جُبَير بنِ نُفَير يَقُول: فعَرَف أَصحَاب رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَعْتَ هَذَا الحَديثِ فِي جَزْءِ بن سُهَيلٍ السُّلَمي، وكان عَلَىٰ الأعاجِمِ فِي ذَلِك الزَّمانِ، فكَانُوا إذا رَجَعوا من المَسجِد نَظَروا إِلَيهِ وإِلَيهم قيامًا حَولَه، فيَعجَبُون لنَعتِ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِيهِ وفِيهِم. ورَواهُ ابنُ عساكِرٍ فِي «تَارِيخِه»، وثابتُ بن قاسِمٍ فِي «الدَّلائِل» بنَحوِه وزَادَا بَعدَ قَولِه: «وكانَ عَلَىٰ الأَعاجِم: «وكانَ أَسوَدَ قَصِيرًا، فكَانُوا يَرَون تِلكَ الأَعاجِم وهُم حَولَه قِيامٌ، لا يَأْمُرُهم بشَيءٍ إِلَّا فَعَلُوه؛ فيتَعَجَّبون من هَذَا الحَديثِ»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢١١-٢١٢) للهيثمي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٧٤-٧٥) من حديث عبد الله بن حوالة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ،وغيرهما. وانظر: «الصحيحة» (١٢٥٩/٧).

وفي هَذَا الحَدِيث والذي قَبلَه ردٌّ لِمَا ذَهَب إِلَيهِ المُصنِّف فِي مَعنَىٰ حَدِيث عبد الله بن وَرَّاحٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأنَّ المُرَاد به العَصْرِيُّون المُتَفَرْنِجُون الَّذين يَلبَسُون القُمُص تَحتَ المَلابِس الإِفرَنْجِيَّة ويَحْلِقُون أَقفِيَتَهُم تَشَبُّهًا بالكُفَّار.

وفِيهِما -أيضًا- ردٌّ لقَولِه: إنَّ الوَصفَ المَذكُور فِي حَدِيث عبد الله بن وَرَّاح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يَكُن مَوجُودًا قَبلَ وَقتِنا هَذَا، وأنَّ مَن كان قَبلَ هَذَا العَصرِ لم يَكُن فِيهِم قَومٌ مُحَلَّقة أَقفِيَتُهم.

فصلٌ

وفِي صَفحَة (٥٢):

ذَكَر المُصنِّف إِنشاءَ دَولَة اليَهُود، وأنَّ دَولَتَهُم إِنَّما كَوَّنَها لَهُم الإِنجلِيزُ والأَمرِيكَانُ، وأنَّ الله تَعالَىٰ أَخبرَ بذَلِك فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿**ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٢] قال: فالحَبلُ هُوَ العهد والسَّبَب، والنَّاس هُمُ الإِنجلِيزُ والأَمرِيكَانُ.

ثمَّ ذَكَر أن النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أشار إِلَىٰ ذَلِك فِي حَدِيثِ مُعاذٍ السَّابِق قريبًا؛ حَيثُ قالَ: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ...**» الحَدِيثَ.

قَال: «وبَيتُ المَقدِس ما عُمِّر تَمام العِمَارَة إلَّا بَعدَ إِنشَاءِ دَولَةِ اليَهُودِ».

والجَوابُ عن حَدِيث مُعاذٍ وكَلامِ المُصنِّف عَلَيهِ قد تقدَّمَ قريبًا في صَفحَة (٨٠)(١) فليُراجَعْ.

(١) انظر في هذه الطبعة: (ص١٠١ وما بعدها).

وأمَّا قولُه: إنَّ النَّاس الَّذِين قَال الله تَعالَىٰ فِيهِم: ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ هُمُ الإِنجلِيزُ والأَمرِيكَانُ؛ فَهُوَ مِن القَولِ فِي القُرآنِ بمُجَرَّدِ الرَّأيِ، وذَلِكَ حَرامٌ.

وجَوابُه: أنْ يُقالَ: إنَّ الآيَةَ عامَّةٌ لِكُلِّ مَن كان اليَهُود تَحتَ وِلايَتِهِم فِي قَدِيمِ الدَّهرِ وحَدِيثِهِ، من مُلوكِ اليُونَانِ والرُّومِ والفُرسِ فِيما قَبلَ الإِسلامِ، ثُمَّ مُلوكُ المُسلِمين بَعدَ ذَلِكَ، وغَيرُهم مِن مُلوكِ النَّصارَىٰ الَّذينَ كانَت طَوائِفُ اليَهُودِ عِندَهُم؛ فإِنَّهُم بَعدَ ضَرْبِ الذِّلَّة عَلَيهِم لَم يَكُونوا يَأمَنُون إلَّا بحَبلٍ من الله؛ وهُوَ عَقدُ الذِّمَّة لَهُم وضَربُ الجِزيَةِ عَلَيهِم، وحَبلٍ من النَّاسِ؛ أي: أَمانٍ مِنهُم لَهُم.

ولَيسَت الآيَةُ نازِلَةً فِي الإِنجلِيزِ والأَمرِيكَانِ، ولا خاصَّةً فِيهِم، كَمَا تَوَهَّمَه المُصنِّف.

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (٥٤ – ٥٥):

تَخبِيطٌ كَثِيرٌ فِي شَأنِ المِصرِيِّين زَعَم فِيهِ المُصنِّف أَنَّهم هُمُ الَّذِين قَال فِيهِم النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ عَلَىٰ الحَقّ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ، كَالإِنَاءِ بَيْنَ الأَكَلَةِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١).

وأَنَّهُم الَّذِين قَال فِيهِم النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**لَتُقَاتِلُنَّ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ بَقِيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ عَلَىٰ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ أَنْتُمْ شَرْقِيَّهُ وَهُمْ غَرْبِيَّهُ**»(٢) قال: «وهَذَا قد تَحقَّق الآن

---

(١) أخرجه الطبراني «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣١٧) (٧٥٤) وغيره من حديث مرة البهزي. قال الألباني: «منكر بهذا السياق». انظر: «الضعيفة» (٦٣٩٠).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٨- ٣٤٩) وغيره من حديث عن نهيك بن

فِي المِصرِيِّين مع الإِنجلِيز والفَرَنسِيِّين واليَهُودِ والأَمرِيكانِ».

ثمَّ ذَكَر تَخبِيطًا كثيرًا حاصِلُه: تَأييدُ ما ذَهَب إِلَيهِ مِن أنَّ المِصرِيِّين هُمُ الطَّائِفَة المَنصُورة، وأَنَّهُم هُمُ الَّذِين يُقاتِلُون الدَّجَّال وجُندَهُ اليَهودَ. قال: «وفِي هَذَا بِشارَةٌ لَهُم بالإِيمانِ والعِصمَةِ من فِتنَة الدَّجَّال، وأنَّ الله تَعالَىٰ سيُظهِر لَهُم كَرامَةً، وهي كَلامُ الشَّجَر والحَجَر مَعَهُم فيَقُول الشَّجَر والحَجَر للمُؤمِن: يا عَبدَ الله، هَذَا كَافِرٌ وَرائِي فتَعالَ فاقْتُلْه. قال: والمُؤمِن من جَيشِ مِصرَ والاتِّحادِ العَربِيِّ؛ فدلَّ عَلَىٰ بَقاءِ إِيمانِهِم فِي ذَلِك الوَقتِ، وأنَّ فِتنَتَه غَيرُ ضَارَّةٍ بِهِم إلَّا مَن شَاءَ الله خِذلانَهُ».

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أن يُقالَ: لَيسَ الإِيمانُ بالتَّحَلِّي ولا بالتَّمَنِّي، ولَكِنْ ما وَقَر فِي القُلوبِ وصَدَّقَتْه الأَعمالُ، وإذا عَرَضْنا أَعمالَ الكَثِيرين مِن المِصرِيِّين الآنَ عَلَىٰ ما يَأمُر به الإِيمان ويَقتَضِيه وَجَدْنا بَينَهُم وبَينَ الإِيمانِ كَمَا بَينَ المَشرِق والمَغرِب، بَل أَبعَدَ مِن ذَلِك بكَثِيرٍ.

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة هي الفِرقَةُ النَّاجِيَة من الثَّلاثِ والسَّبعِين فِرقَةً، وقَد سُئِل النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عن الفِرقَة النَّاجِيَة: مَن هُم؟ فقال: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[1]، وهَذَا يدُلُّ عَلَىٰ بُعدِ المِصرِيِّين عن وَصفِ الطَّائِفَة المَنصُورة غايَةَ البُعدِ، وذَلِكَ لمُخالَفَتِهم لمِنهَاجِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ

=

صريم، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٦٥٦).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والمروزي في «السنة» (٥٩) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وفي الباب عن أنس بن مالك وغيره. وانظر: «الصحيحة» (٣/ ٣٣٤).

وبُعدِهم عمَّا كَان عَلَيهِ هُوَ وأَصحَابُه غايَةَ البُعدِ.

وبَيانُ ذَلِك من وُجوهٍ:

١- **أَحَدُها**: أنَّ الله تَعالَىٰ بَعَث رَسُولَه صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالتَّوحيدِ، وأَمَرَه بمَحقِ الأَوثانِ وجَميعِ المُعتَقَدات الَّتي يَتعَلَّق بِها المُشرِكُون من دُونِ الله تَعالَىٰ؛ وقد خَالَف المِصرِيُّون هَذَا؛ فغَلَوْا فِي القُبورِ غُلُوًّا عَظِيمًا، واتَّخَذوا كَثِيرًا مِنهَا أَوثانًا تُعبَدُ مِن دُونِ الله، ولاسِيَّما مَشهَدُ البَدَوِيِّ ومَشهدُ الحُسينِ والرِّفاعِيِّ والدُّسوقِيِّ والحَنَفِيِّ ونَفيسَةَ وزَينَبَ وأَمثالِهِم مِن المُعتَقَدِين المَعبُودِين من دُونِ الله.

وقَد رَأَيتُ فِي بَعضِ الصُّحُفِ المِصرِيَّة مُنذُ سَنَواتٍ أَنَّ الزُّوَّار للبَدَوِيِّ فِي يَومِ مَولِدِه بَلَغُوا خَمسَمِائَةِ أَلفٍ تقريبًا، وأَنَّه تَزَوَّج فِي ذَلِك المَجمَعِ عَشَرَةُ آلافٍ تقريبًا، وخُتِن فِيهِ من الأَطفَالِ أَكثَرُ مِن ذَلِكَ، يَرجُون بذَلِك البَرَكَة من البَدَوِيِّ، وهَذَا هُوَ نَفسُ ما بُعِثَ النَّبيُّ صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بمَحقِه ومُجاهَدةِ أَهلِهِ.

ولَولَا خَشيَةُ الإِطالَةِ لَذَكَرْتُ كَثِيرًا ممَّا يَفعَلُه المِصرِيُّون عِندَ القُبورِ وغَيرِهَا من المَواضِعِ الَّتِي يَعتَقِدُون فِيهَا النَّفعَ والضُّرَّ، وما يَصرِفُونه لبَعضِ الأَمواتِ من خَصائِص الرُّبُوبِيَّة والأُلوهِيَّة.

٢- **ثَانِيها**: أنَّ المِصرِيِّين قد نَبَذُوا حُكْمَ الشَّرِيعَة وَراءَ ظُهورِهِم، واعتَاضُوا عَنهُ بالقَوانِينِ الوَضعِيَّة الَّتِي هي مِن حُكمِ الطَّاغُوتِ والجاهِلِيَّة، وزَعَمُوا أَنَّ الحُكمَ بالشَّرِيعَة يُؤَخِّرُهم عنِ اللَّحاقِ بدُوَلِ الكُفرِ مِن الإِفرِنجِ وأَضرابِهِم، وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

[المائدة: ٤٥].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

[المائدة: ٤٧].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[المائدة: ٥٠].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٣- ثَالِثُها: افتِتَانُهُم بالاشتِرَاكِيَّة الخَبِيثَة الَّتِي شَرَعها لَهُم الشُّيُوعِيُّون، وزَعمُهُم كَذِبًا وزورًا أنَّها من دِينِ الإسلَامِ، وهي مِن أَعظَمِ الظُّلمِ الَّذي حَرَّمَه الله تَعالَىٰ فِي كِتَابِه وعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- رَابِعُها: قِتالُهم لأَهلِ اليَمَن بغَيرِ سَببٍ شَرعِيٍّ، وضَربُهُم بالقَنابِل، وإِلقَائِها -أيضًا- عَلَىٰ المُستَضعَفِين فِي القُرَىٰ من شُيُوخِهم ونِسَائِهِم وأَطفَالِهِم، وهَذَا من أَعظَمِ البَغيِ والعُدوَانِ.

٥- خَامِسُها: تَركُهُمُ للأَمرِ بالمَعرُوفِ والنَّهيِ عَن المُنكَر بالكُلِّيَّة.

٦- سَادِسُها: تَقلِيدُهم لدُوَل الإفرِنجِ، واتِّباعُ سُنَنِهِم حَذْوَ النَّعلِ بالنَّعلِ فِي كُلِّ شيءٍ حتَّىٰ فِي قَبائِحِهم ورَذائِلِهم.

٧- سَابِعُها: انتِهَاكُهُم لكَثيرٍ ممَّا حَرَّمَه الله ورَسُوله، وقد تَواتَرَت الأَخبَارُ بما

فَشَا وظَهَر عِندَهُم من كَبائِرِ الإِثمِ، ولا حاجَةَ إِلَىٰ تفصيلِ أَنواعِ ذَلِكَ؛ إِذ لا فائِدَة فِي ذِكْرِها وهي مَعلُومَة عِندَ كُلِّ عاقِلٍ نَبيهٍ.

وإِذَا كَان الأَمرُ كَما ذَكَرْنا عَنهُم -مَع أَنَّه أَعظَمُ مِمَّا ذَكَرْنا بكَثيرٍ-وعُلِم أَنَّهُم بَعيدُون غايَةَ البُعدِ عمَّا كان عَلَيهِ الرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَصحَابُه، فَهَل يَقُول عاقِلٌ بَعدَ هَذَا: إِنَّهُم هُم الطَّائِفَة المَنصُورَة؟!

كلَّا، لا يَقُول هَذَا عاقِلٌ، وإِنَّما يَقُولُه مَن أَعمَىٰ اللهُ بَصِيرَتَه.

الوَجهُ الثَّالِث: أَنَّ المُصنِّف نَقَض ما ادَّعاهُ فِي المِصرِيِّين؛ فقَالَ فِي صَفحَة (٨٢) من كتابِه ما نَصُّه: «وبسَبَب هَؤُلاءِ المَلاحِدَة المارِقِين انتَشَر الكُفرُ والإِلحَادُ حتَّىٰ بين طَلَبة عِلمِ الدِّينِ فصَارُوا أَكفَرَ من طَلَبة المَدارِس، وأَلحَدَ مِن رُءُوس هَؤُلاءِ الزَّنادِقَة، تَقلِيدًا لَهُم وعَمَلًا بدِعَايَتِهم، وصارَ مَعهَدُ القَروِيِّين مَعهدًا للإِلحَادِ والكُفرِ باللهِ ومُحارَبَة القُرآنِ والسُّخرِيَة من العَقائِد الإِسلَامِيَّة، والاستِهَانَة بالدِّينِ وبأَشرَفِ الخَلقِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ تَعظِيم شَأنِ المَلاحِدَة ومَشاهِير الكُفَّار، حتَّىٰ صَارُوا يَمنَعُون المُدَرِّس أن يَستَدِلَّ بالقُرآنِ أو يَذكُرَ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمِ الرِّسالَةِ، ويَأمُرونَه إذا ذَكَره أن يَقُول: «قال مُحمَّد!» فَقَط؛ بل صَارَ المُدَرِّس مِنهُم يُنادِي بأَنَّ تَفكِيرَه هَداهُ إِلَىٰ أَنَّ دِينَ الإِسلَامِ غَيرُ صَحيحٍ، وأَنَّه حُرٌّ فِي عَقِيدَتِه، فِي أَمثالِ هَذَا مِمَّا هُوَ مَعروفٌ.

أَمَّا الصَّلَاة؛ فَهُم أَبعَدُ النَّاس مِنهَا، وهي أَبغَضُ شَيءٍ إِلَيهِم، وهَكَذا كَان حالُ طَلَبةِ الأَزهَرِ بالنِّسبَة إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فكُنتَ تَرَىٰ النَّاسَ يُصَلُّون وهُم يَأكُلُون ويَمزَحُون ويَمرَحُون ويَضحَكُون». انتَهَىٰ كَلامُه.

فانْظُرْ إِلَىٰ ما ذَكَره عن طَلَبةِ الأَزهَرِ من تَضيِيع الصَّلَاة والاستِخفَافِ بشَأنِهَا،

وإذا كان هَذَا حالُ الطَّلَبة فما الظَّنُّ بغَيرِهم؟!

وقد ثَبَت عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**». رَواهُ الإمَام أَحمَدُ ومُسلِمٌ وأَهلُ السُّننِ وغَيرُهم من حَدِيث جَابِرِ بن عَبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيحٌ».

ولَفظُ مُسلِمٍ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[(١)].

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحمَدُ وابنُهُ عَبدُ الله والتِّرمِذِيُّ والنَّسائِيُّ وابنُ مَاجَهْ والدَّارَقُطنِيُّ والآجُرِّيُّ عن بُرَيدَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيح غَرِيب»، وصَحَّحَه -أيضًا- ابنُ حِبَّان والحاكِمُ ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»[(٢)]. والأَحادِيثُ فِي تكفِير تَارِكِ الصَّلَاةِ كَثِيرة جِدًّا، ولَيس هَذَا مَوضِعَ ذِكْرِها.

وقَال عُمَر بنُ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا إِسلَامَ لِمَن تَرَكَ الصَّلَاةَ» وفِي رِوَايَة: «لَا حَظَّ فِي الإِسلَامِ لِمَن تَرَكَ الصَّلَاةِ». رَواهُ مَالِكٌ وغَيرُه[(٣)].

والآثَارُ عن الصَّحابَة فِي تكفِير تارِكِ الصَّلَاة كَثِيرَةٌ جِدًّا، ولَيسَ هَذَا مَوضِعَ ذِكْرِها.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٠) (١٥٠٢١)، ومسلم (٨٢)، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦٢٠)، والنسائي (٤٦٤)، وابن ماجه (١٠٧٨) وغيرهم من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) (٢٢٩٨٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والدارقطني في «سننه» (٢/ ٣٩٥) (١٧٥١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٣٠٥) (١٤٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨) (١١) وغيرهم من حديث بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني «المشكاة» (٥٧٤).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٣٩) (٥١) وغيره عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٩).

وإذَا كَان طَلَبة الأَزهَرِ قَد أَضاعُوا عَمُودَ الإِسلَامِ وأَعظَمَ أَركانِه بعد الشَّهادَتَين؛ فَهُم لِمَا سِوَىٰ ذَلِك مِن شَعائِرِ الإِسلَامِ أَشَدُّ تَضيِيعًا!

وقد رَوَىٰ مالِكٌ فِي «المُوَطَّأ»: «أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَب إِلَىٰ عُمَّالِه: إنَّ أَهَمَّ أُمورِكُم عِندِي الصَّلاة؛ مَن حَفِظَها وحافَظَ عَلَيها حَفِظَ دِينَه، ومَن ضَيَّعَها فَهُو لِمَا سِواهَا أَضيَعُ»[١].

ورَوَىٰ أَبُو نُعَيمٍ فِي «الحِلْيَة» من طَرِيقِ الأَوزاعِيِّ قَال: «كَتَب عُمَر بنُ عَبدِ العَزيزِ -رحمه الله تَعالَىٰ- إِلَىٰ عُمَّالِه: اجتَنِبوا الاشتِغَالَ عِند حَضرَةِ الصَّلَاةِ، فَمَن أَضاعَها فَهُو لِمَا سِواهَا مِن شَعائِرِ الإِسلَامِ أَشَدُّ تَضيِيعًا»[٢].

وإذَا عُلِم هَذَا؛ فمِن أَبطَلِ البَاطِلِ أنْ يُقَالَ فِيمَن أَضاعَ الصَّلَاة واستَخَفَّ بِها: إنَّهم هُم الطَّائِفَة المَنصُورة!

وقَال المُصنِّف -أيضًا- فِي صَفحَة (٨٤) ما نَصُّه: «حَدَّثَنِي شَيخُنا شَيخُ الدِّيارِ المِصرِيَّة وعالِمُها الشَّيخُ مُحمَّد بَخِيت[٣] قَال: لَمَّا قامَت الحَرَكَة الوَطَنِيَّة عَقِب

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٦) (٦) وغيره عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٥٨٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣١٦) وغيره عن عمر بن عبد العزيز.

(٣) محمد بَخِيت بن حسين المُطيعي الحنفي: مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها. ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط، وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلىٰ القضاء الشرعي سنة (١٢٩٧)، واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده، وعين مفتيًا للديار المصرية سنة (١٣٣٣ - ١٣٣٩هـ) (١٩١٤ - ١٩٢١م)، ولزم بيته يفتي ويفيد إلىٰ أن توفي بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٠).

الحَربِ العُظمَىٰ السَّابِقَة، واتَّحَد هَؤُلاءِ المارِقُون مع الأَقباطِ لِيُطالِبُوا بالاستِقلَالِ كَان مَقَرُّ اجتِمَاعِهِم وقُطبُهُم الجامِعَ الأَزهَرَ ومِنهُ كانَت تُنَظَّم المُظاهَرَات فكَان يَعمُر بالأَقباطِ، والقُسُس مِنهُم يَصعَدُون إِلَىٰ المِنبَرِ خُطَباءَ مُناوَبَة مع المِصرِيِّين.

قَال: وذَاتَ يَومٍ كان المُسَمَّىٰ مُصطَفَىٰ القَايَاتِي(١) -وهُوَ مِن المُدَرِّسين فِي الأزهر- هُوَ القائِلُ: إنَّ سَعدًا أَفضَلَ من النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وإنَّه جاءَ بِمَا لَم يَأتِ به النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وإنَّه رَسُولُ الوَطَنِيَّة! كانَ هَذَا اللَّعِينُ حاضِرًا مَعَهُم؛ فأَخَذ الصَّليبَ ووَضَعه فِي مِحرابِ الأَزهرِ، وقامَ -لَعنَه الله!- خَطِيبًا، فدَعَا إِلَىٰ اتِّحادِ الإِسلامِ والنَّصرَانِيَّة القِبطِيَّة؛ ودَعَا الحاضِرِين إِلَىٰ صَلَاة رَكعَتَين جَميعًا -مع وَضْعِ الصَّلِيب فِي المِحرَابِ- وكَبَّر وصَلَّىٰ رَكعَتَينِ والصَّلِيبُ أَمَامه يُصَلِّي لَهُ ولِلَّه مَعًا فِي زَعمِه؛ لَعَنَه الله تَعالَىٰ!».

قَال المُصنِّف: «وقد شَاهَدْتُ كَثيرًا منِ اجتِمَاعَاتِهم فِي الأَزهَرِ وخُطَبِهم؛ فكَان الأَزهَر يَكُون كأَعظَمِ سُوقٍ مُختَلِطًا باليَهُودِ والنَّصارَىٰ والمَلاحِدَة والفَسَقَة، والخُطَباء مِنهُم يَعلُون المَنابِرَ واحِدًا تِلْوَ الآخَرِ». انتَهَىٰ كَلامُه.

وإِذَا كَان الجامِعُ الأَزهَرُ -الَّذِي هُوَ قُطبُ العِلمِ والدِّينِ عِندَ المِصرِيِّين، والَّذِي

---

(١) مصطفىٰ بن أحمد بن عبد الجواد بن عبد اللطيف القاياتي: من رجال الحركة الوطنية بمصر. ولد في القايات (من قرىٰ مغاغة، بمصر) وتعلم بالأزهر، ودرَّس الأدب فيه ثم في الجامعة المصرية القديمة. وقيل في وصف (أماليه) في كلا المعهدين: إنها كانت مرجعًا ثقة، فلعلها لا تزال مخطوطة. وشارك في الحركة الوطنية، فاعتقل وسجن عدة مرات أولها سنة (١٩١٩) وانتخب (نائبًا) ثلاث مرات متعاقبات. وكان خطيبًا لَسِنًا جريئًا. توفي في القاهرة سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) ودفن في القايات. انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٢٩).

هُوَ المَوضِعُ المَرمُوق المُحترَم عِندَ المِصرِيِّين وعِندَ غَيرِهم من الدُّوَل الإِسلَامِيَّة- قَد انتكَس إِلَىٰ هَذِه الحالَةِ السَّيِّئَة الَّتِي ذَكَرها المُصنِّف عن مُشاهَدَتِه ومُشاهَدَة شَيخِه مُحَمَّد بَخِيت؛ فكَيفَ يَصِحُّ مع هَذَا أن يُقالَ: إِنَّهم عَلَىٰ الإِيمانِ، وإِنَّهُم الطَّائِفَة المَنصُورَة؟! هَذَا لا يَقُولُه مَن يَعلَمُ ما يَقُول.

وقَال المُصنِّف -أيضًا- فِي صَفحَة (١٠٨ - ١٠٩) ما نَصُّه: «وقَد نَبَذت الدَّولَة التُّركِيَّة أَواخِرَ أَيَّامِ إِسلامِها الحُكمَ بالفِقهِ الإِسلَامِي المَأخُوذِ مِن الشَّرِيعَة أو مِن القَواعِد المَنسُوبة إِلَيها عَلَىٰ الأقلِّ، وصارَت تَحكُمُ بالقَانُون المَأخُوذ عن الأَنجاسِ الأَرجاسِ الَّذِين قَال الله فِيهِم: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، واتَّخَذت ذَلِك فِي بِلَادِها والبِلادِ الَّتِي كانَت تَحتَ حُكمِها -ومِنهَا: الدِّيارُ المِصرِيَّة-؛ فإِنَّها أَوَّل مَن أَسَّست المَحاكِم الأَهلِيَّة، فكَفَرَت بذَلِك كُفرًا صُراحًا، فِي حالِ ادِّعائِها الإِسلامِ وحِمايَةِ حِمَاهُ، ووُجودِ الخِلافَة الإِسلامِيَّة فِيهَا، قَبلَ أن تُعلِن الكُفرَ والانسِلَاخَ مِن الإِسلامِ». انتهَىٰ كَلامُه.

فانْظُرْ إِلَىٰ تكفِيره الدَّولَة التُّركِيَّة لمَّا حَكَمت بالقَوانِين ونَبَذت الحُكمَ بالشَّرِيعَة المُحَمَّدِيَّة وَراءَ ظُهورِها، وانْظُرْ إِلَىٰ حُكمِه للمِصرِيِّين بالإِيمانِ، وأَنَّهم هُم الطَّائِفَة المَنصُورة! مع أَنَّهم قد حَكَموا بالقَوانِين ونَبَذوا حُكمَ الشَّرِيعَة وَراءَ ظُهورِهم، وهَذَا تَناقُضٌ قَبيحٌ واتِّباعٌ للهَوىٰ، ونَظَرٌ إِلَىٰ الأَتراكِ بعَينِ البَصِيرَة وإِلىٰ المِصرِيِّين بعَينِ العَمَىٰ.

ويَلزَمُه أن يَحكُم فِي حقِّ المِصرِيِّين بما حَكَم به فِي حَقِّ الأَتراكِ، لاتِّحادِ سَبب الحُكمِ فِي كُلٍّ من الدَّولَتَينِ، وإِن لم يَفعَلْ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُكمِ هَذِه الآيَةِ:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

الوَجهُ الرَّابع: أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورة هُم أَهلُ السُّنَّة والجَماعَةِ.

وجَزَم البُخارِيُّ فِي «صَحيحِه»(١) أنَّهُم أَهلُ العِلمِ.

وقَالَ أيضًا: «بابٌ: قَولُ الله تَعالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وما أَمَر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بلُزومِ الجَماعَة. وهم أَهلُ العِلمِ».

وقَال التِّرمِذيُّ فِي «جَامِعِه»(٢): «قَال مُحَمَّد بنُ إِسمَاعِيلَ: قَال عَلِيُّ بنُ المَدينِيِّ: هُم أَصحَابُ الحَدِيثِ».

وكَذَا قَال ابنُ المُبارَك وأَحمَدُ بن سِنانٍ وابنُ حِبَّان وغَيرُهم.

وبَوَّب عَلَيهِ ابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه»(٣) فقَالَ: «ذِكرُ إِثبَاتِ النُّصرَة لأَصحَاب الحَدِيث إِلَىٰ قِيامِ السَّاعَة...» ثُمَّ ساقَ ما يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وقَالَ يَزِيدُ بنُ هارُونَ(٤) وأَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: «إن لَم يَكُونوا أَهلَ الحَدِيثِ فَلا أَدرِي مَن هُم». رَواهُ عَنهُما الحاكِمُ فِي «عُلُومِ الحَدِيث»(٥).

---

(١) (٩/ ١٠٧).

(٢) (٤/ ٤٨٥).

(٣) (١/ ٢٦١).

(٤) هو يزيد بن هارون السلمي، أبو خالد الواسطي، روىٰ عن شعبة بن الحجاج، وعبد الله بن عون، وغيرهما. روىٰ عنه عمرو الناقد، وخلق. ثقة متقن عابد من التاسعة، مات سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين. انظر: «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٢٦١)، و«التقريب» (٧٧٨٩).

(٥) انظر: «المحدث الفاصل» (٢٧)، و«شرف أصحاب الحديث» (ص٢٦،٢٤)، و«معرفة علوم

وقَالَ القاضِي عِياضٌ: «إنَّما أَرادَ أَحمَدُ أهلَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ومَن يَعتَقِد مَذهَبَ أَهلِ الحَدِيثِ»[١].

وعن عليِّ بنِ المَدينِيِّ رِوايَةٌ: أَنَّهم العَرَب[٢]، واستَدَلَّ بحَدِيث: «**لا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٣].

قَال: «والمُرَاد بالغَرْبِ الدَّلْوُ؛ أي: العَرَب لأَنَّهم أَصحَابُها لا يَستَقِي بِها أَحَد غَيرُهم». ذَكَره يَعقُوب بنُ شَيبَة، ونَقَله عَنهُ صاحِبُ «المَشارِق»[٤] وغَيرُه.

قُلتُ: ويُؤَيِّد ذَلِك ما رَواهُ ابن مَاجَهْ من حَدِيثِ أبي أُمامَةَ الباهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وسَيأتِي ذِكْرُه قريبًا إن شاءَ الله تَعالَىٰ.

وقال النَّووِيَ[٥]: «يُحتَمَل أَنَّ هَذِه الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بين أَنواعِ المُؤمِنينَ، مِنهُم شُجعانٌ مُقاتِلُون، ومِنهُم فُقَهاءُ، ومِنهُم مُحَدِّثون، ومِنهُم زُهَّادٌ، وآمِرُون بالمَعرُوفِ ونَاهُون عن المُنكَر، ومِنهُم أَهلُ أَنواعٍ أُخرَىٰ من الخَيرِ، ولا يَلزَم أن يَكُونوا

=

الحديث» (ص٢)، و«الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٦٣)، و«إثارة الفوائد المجموعة» (١/ ٨١-٨٢)، وانظر أيضًا: «السلسلة الصحيحة» (١/ ٥٤٠).

(١) انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٣/ ٦٧).

(٢) انظر: «المسالك في شرح موطأ مالك» (٥/ ٢٤)، و«إكمال المعلم» (٦/ ٣٤٨)، و«مطالع الأنوار علىٰ صحاح الآثار» (٥/ ١٣٤)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣/ ٣٤٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٢٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٢٥) وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(٤) «مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار» للقاضي عياض (٢/ ١٣٠).

(٥) انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٣/ ٦٧).

مُجتَمِعين، بل قَد يَكُونون مُتَفَرِّقين فِي أَقطارِ الأَرضِ». انتَهَىٰ.

وقد اختُلِفَ فِي مَحَلِّ هَذِه الطَّائِفَة:

فقَالَ ابنُ بَطَّالٍ: «إنَّها تَكُون فِي بَيتِ المَقدِسِ» كَما رَواهُ الطَّبَرانِيُّ مِن حَدِيث أبي أُمامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ: يا رَسُول الله، أَين هُم؟ قال: «**بِبَيْتِ المَقْدِسِ**»(١).

وقَال مُعاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هُم بالشَّامِ»(٢).

وفِي كَلامِ الطَّبَرِيِّ ما يدُلُّ عَلَىٰ أَنَّه لا يَجِب أن تَكُون فِي الشَّام أو فِي بَيتِ المَقدِس دائِمًا، بل قَد تكُون فِي مَوضِعٍ آخَرَ فِي بَعضِ الأَزمِنَة(٣).

قَال الشَّيخُ عَبدُ الرَّحمَن بنُ حَسَن ابنِ الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب رَحِمه الله تَعالَىٰ: قُلتُ: يَشهَد له الواقِعُ وحالُ أَهلِ الشَّامِ وأَهلِ بَيتِ المَقدِس مِن أَزمِنَة طَوِيلَة لَا يُعرَف فِيهِم مَن قامَ بِهَذا الأَمرِ بَعد شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّة وأَصحَابِه -فِي القَرنِ السَّابِع وأَوَّلِ الثَّامِن-؛ فإِنَّهم فِي زَمانِهِم عَلَىٰ الحَقِّ يَدعُون إِلَيهِ، ويُناظِرُون عَلَيهِ، ويُجاهِدُون فِيهِ، وقَد يَجِيءُ مِن أَمثالِهم بَعدُ بالشَّامِ مَن يَقُوم مَقامَهُم بِالدَّعوَة إِلَىٰ الحَقِّ والتَّمَسُّك بالسُّنَّة؛ والله عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

ومِمَّا يُؤَيِّد هَذَا: أَنَّ أَهلَ الحَقِّ والسُّنَّة فِي زَمَن الأَئِمَّة الأَربَعَة وتَوافُر العُلَماء فِي ذَلِك الزَّمانِ وقَبلَه وبَعدَه، لم يَكُونوا فِي مَحَلٍّ واحِدٍ، بل هُم فِي غالِبِ الأَمصارِ: فِي

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٤٥) (٧٦٤٣) وغيره من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «الصحيحة» (٤/ ٥٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١) وغيره من طريق مالك بن يخامر عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «فتح المجيد» (ص ٢٧٨).

الشَّام مِنهُم أَئِمَّة، وفِي الحِجَازِ، وفِي مِصرَ وفِي العِراقِ، واليَمَن، وكُلُّهم عَلَىٰ الحقِّ، يُناضِلُون ويُجاهِدُون أَهلَ البِدَعِ، ولَهُم المُصنَّفات الَّتِي صارَتْ أعلامًا لأَهلِ السُّنَّة والحُجَّة عَلَىٰ كُلِّ مُبتَدِع.

فعَلَىٰ هَذَا؛ فهَذِه الطَّائِفَة قد تَجتَمِع وقد تَفترِق، وقد تَكُون فِي الشَّام وقَد تَكُون فِي غَيرِه؛ فإِنَّ حَدِيثَ أَبِي أُمامَةَ وقَولَ مُعاذٍ لا يُفِيد حَصْرَها بالشّامِ، وإِنَّما يُفِيد أَنَّها تكُون فِي الشَّامِ فِي بَعضِ الأَزمانِ لا فِي كُلِّها(١).

قُلتُ: الظَّاهِرُ من حَدِيث أبي أُمامَةَ وقَولِ مُعاذٍ أنَّ ذَلِك إِشارَةٌ إِلَىٰ مَحَلِّ هَذِه الطَّائفَة فِي آخِرِ الزَّمانِ عِندَ خُروجِ الدَّجَّال ونُزولِ عِيسَىٰ بنِ مَريَم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والدَّليلُ عَلَىٰ ذلك: ما رَواهُ ابنُ ماجَهْ من حَدِيثِ أبي أُمامَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فِي ذِكْرِ الدَّجَّال، وفِيهِ: فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بنتِ أَبِي العَكَر: يا رَسُول الله، فأَينَ العَرَبُ يومَئِذٍ؟ قَال: «**هُمْ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ يَوْمَئِذٍ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَىٰ لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ...**» الحَدِيثَ(٢).

ويدُلُّ له أيضًا: ما رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ وأبو دَاوُد والبُخارِيُّ فِي «تَارِيخِه» والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» من حَدِيثِ عَبدِ الله بنِ حَوالَةَ الأَزْدِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: وَضَع رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَده عَلَىٰ رَأسِي -أو: عَلَىٰ هَامَتِي- ثمَّ قَال: «**يَا بْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْت**

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) تقدم.

الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَىٰ النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ». قَال الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسنادِ ولَم يُخرِجَاه» ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(١).

وفِي «المُسنَدِ» -أيضًا- و«جامِعِ التِّرمِذِيِّ» عَن عَبدِ الله بن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ** -أو: **مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ**- **قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ**». قَالُوا: يا رَسُول الله، فَمَا تَأْمُرُنا؟ فقَال: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيحٌ غَريب من حَدِيث ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا»(٢).

وفِي «المُسنَد» -أيضًا- و«سُنَن أَبِي دَاوُد» و«مُستَدرَك الحاكِم» عن أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَىٰ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ**». قَال الحاكِمُ: «صَحِيح الإِسنادِ ولَم يُخرِجَاه» ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه».

ولَفظُ أَبِي دَاوُد: «**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَىٰ جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**»(٣).

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٨) (٤٥٣٦)، والترمذي (٢٢١٧) وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٧) (٢١٧٧٣)، وأبو داود (٤٢٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩٦) وغيرهم من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» (ص٣٨).

قَال **المُنذِرِي فِي «تَهذِيبِ السُّنَن»**(١): «قَال يَحيَىٰ بنُ مَعينٍ -وقَد ذَكَروا عِندَه أَحادِيثَ مِن مَلاحِمِ الرُّومِ فقَالَ يَحيَىٰ-: لَيسَ مِن حَدِيثِ الشَّامِيِّين شَيءٌ أَصَحُّ مِن حَديثِ صَدَقَة بنِ خَالِدٍ عن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَال: «**مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ أَيَّامَ الْمَلَاحِمِ دِمَشْقُ**»..». انتَهَىٰ.

فِفِي هَذِه الأَحادِيثِ دَليلٌ عَلَىٰ أنَّ جُلَّ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ يَكُون بالشَّامِ فِي آخِرِ الزَّمانِ؛ حَيثُ تَكُون الخِلافَةُ هُناكَ، ولَا يَزالُون هُناك ظاهِرِين عَلَىٰ الحَقِّ حتَّىٰ يُرسِل الله الرِّيحَ الطَّيِّبة فتَقبِضَ كُلَّ مَن فِي قَلبِه إِيمانٌ، كَمَا جاءَ فِي الأَحادِيثِ الصَّحِيحَة أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَال: «**حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**» قَال مُعاذٌ: وَهُم بالشَّامِ. يعني: أَنَّهُم يَكُونون بالشَّامِ حِينَ يَأتِي أَمرُ الله، وهُوَ هُبُوب الرِّيحِ الطَّيِّبةِ.

فأَمَّا فِي زَمانِنَا ومَا قَبلَهُ فَهذِه الطَّائِفَة مُتَفرِّقَة فِي أَقطارِ الأَرضِ، كَما يَشهَدُ لَهُ الوَاقِعُ مِن حالِ هَذِه الأُمَّة مُنذُ فُتِحَت الأَمصارُ فِي عَهدِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين إِلَىٰ اليَومِ، ولَا يَختَصُّ بِهَا مِصرٌ مِن أَمصارِ المُسلِمين دُونَ المِصرِ الآخَرِ.

ولَكِنَّها تكثُر فِي بَعضِ الأَماكِنِ أَحيانًا ويَعظُمُ شَأنُها ويَظهَرُ أَمرُها ببَركَةِ الدَّعوَة إِلَىٰ الله تَعالَىٰ وتَجدِيدِ الدِّينِ، كَمَا وَقَع ذَلِك فِي الشَّامِ فِي زَمانِ شَيخ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّة وأَصحَابِه رَحمَةُ الله عَلَيهِم، وكَمَا وَقَع ذَلِك فِي الجَزِيرَة العَرَبِيَّة فِي زَمانِ شَيخِ الإِسلَامِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب وأَولَادِه وأَحفادِه رَحمَةُ الله عَلَيهِم أَجمَعِين، ولَم يَزَل أَهلُ الجَزِيرَة العَرَبِيَّة فِي بَرَكة من تَجدِيدِهم إِلَىٰ اليَومِ.

---

(١) انظر: «عون المعبود وحاشية ابن القيم تهذيب السنن» (١١/ ٢٧٤). وانظر أيضًا: «سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيىٰ بن معين» (ص٤٠٨).

الوَجهُ الخَامِس: أنَّ الَّذين يُقاتِلُون فِي المَلاحِم الَّتِي سَتكُون فِي آخِرِ الزَّمانِ ويُقاتِلُون الدَّجَّال -أيضًا- هُم العَرَب: مِن سُكَّان الجَزِيرَة العَربِيَّة. ولَيسُوا بالَّذِين يَنتَسِبُون إِلَىٰ العَربِيَّة، وهُم بَعِيدُون من أَرضِها، ولَم يَتَحقَّق نَسَبُهم إِلَيها.

والدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: مَا رَواهُ الحاكِمُ فِي «مُستدرَكِه» عن حسَّانَ بن عَطِيَّة عن ذِي مِخْمَرٍ -رَجُل مِن أَصحَابِ النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ وهُوَ ابنُ أَخي النَّجاشِيِّ[1]- أنَّه سَمِع رَسُول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا حَتَّىٰ تَغزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَنْصَرِفُونَ، حَتَّىٰ تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ اللهُ غَلَبَ، فَيَتَدَاوَلانِهَا بَيْنَهُمْ، فَيَثُورُ الْمُسْلِمُ إِلَىٰ صَلِيبِهِمْ وَهُمْ مِنْهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَدُقُّهُ، فَيَثُورُ الرُّومُ إِلَىٰ كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ أَسْلِحَتِهِمْ فَيُقْتَلُونَ فَيُكْرِمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، فَيَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَيْنَاكَ جَدَّ الْعَرَبِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**». قَال الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسنادِ ولم يُخرِجَاه» ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»[2].

والمَقصُودُ مِن هَذَا الحَدِيثِ: قَولُ الرُّومِ لصَاحِبِهم: «**كَفَينَاك جَدَّ العَرَب**»،

---

(١) هو ذو مخمر، ويقال: ذو مخبر الحبشي، وهو من أهل اليمن، هاجر وخدم النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، وروىٰ عنه. روىٰ عنه: جبير بن نفير، وغيره. نزل الشام وتوفي بها. «الطبقات الكبرىٰ» (٧/ ٤٢٥)، و«معجم الصحابة» (٢/ ٣٠٤)، و«معرفة الصحابة» (٢/ ١٠٣٦)، و«تهذيب الكمال» (٨/ ٥٣١)، و«تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٦٧) (٨٢٩٨)، وغيره من حديث ذي مخمر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، انظر: «صحيح أبي داود» (٢٤٧٢).

وأَنَّهُم يَغدَرِون ويَجتَمِعون للمَلحَمَة، وهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أنَّ المَلحَمَة الكُبْرَىٰ تَكُون بَينَ العَرَب وبَينَ الرُّومِ، واسمُ العَرَب إِذَا أُطلِق فإِنَّما يُرادُ به سُكَّان الجَزِيرَة العَرَبِيَّة لَا غَيرُهم.

وفِي «صَحيحِ مُسلِمٍ» عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أو بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا وَاللهِ لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ**»(١).

ورَوَىٰ ابنُ ماجَهْ والطَّبَرانِيُّ والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» عن عَمرِو بنِ عَوفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال سَمِعتُ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَكُونَ رابِطَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِبَوْلَانَ، يا عَلِيُّ**» -قَال المُزَنِيُّ: يَعنِي عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: لَبَّيكَ يا رَسُول الله، قَال: «**اعْلَمْ أَنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ وَيُقَاتِلُهُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يَخْرُجُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٧) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْمُسْلِمِينَ أَهْلُ الْحِجَازِ الَّذِينَ لا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ورُومِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ...» الحَدِيثَ(١).

قَالَ ابنُ الأَثِيرِ وابنُ مُنظُورٍ: «..«**فيَخرُج إِلَيهِم رُوقَة المُؤمِنين**»؛ أي: خِيارُهُم وسُرَاتُهم، وهِيَ جَمعُ رَائِق، مِن رَاقَ الشَّيءُ: إِذَا صَفَا وخَلُصَ»(٢).

وفِي هَذَا الحَدِيثِ والحَدِيثِ قَبلَه دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ أَهلَ الجَزِيرَة العَرَبِيَّة هُم الَّذِين يُقاتِلون فِي المَلاحِم ويُقاتِلُون الدَّجَّال.

وفِي «الصَّحيحَينِ» و«مُسنَدِ الإِمَامِ أَحمَدَ» عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال فِي بَنِي تَمِيمٍ: «**هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَىٰ الدَّجَّالِ**»(٣). وبَنُو تَمِيمٍ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِن قَبائِلِ العَرَب فِي الجَزِيرَة العَرَبِيَّة.

وفِي «المُسنَدِ» -أيضًا- عن عِكرِمَةَ بنِ خَالِدٍ قَال: حدَّثَني فُلَانٌ مِن أَصحَابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: نَالَ رَجُلٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ عِندَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال: «**لا تَقُلْ لِبَنِي تَمِيمٍ إِلَّا خَيْرًا؛ فَإِنَّهُمْ أَطْوَلُ النَّاسِ رِمَاحًا عَلَىٰ الدَّجَّالِ**». إِسنادُه صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرطِ مُسلِمٍ(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٥) (٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٣٠) (٨٤٨٨) وغيرهم من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٧٩٠): «موضوع».

(٢) انظر: «النهاية» (٢/ ٢٧٩)، و«لسان العرب» (١٠/ ١٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٠) (٩٠٥٦)، والبخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٨) (١٧٥٦٨) وغيره من طريق عكرمة بن خالد قال: حدثني فلان من

وروَى البَزَّارُ فِي «مُسنَدِه» عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -وذكر بني تميم فقَالَ-: «**هُمْ ضِخَامُ الْهَامِ، ثُبُتُ الْأَقْدَامِ، نُصَّارُ الْحَقِّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَشَدُّ قَوْمًا عَلَىٰ الدَّجَّالِ**»(١).

وفي «سُنَن ابنِ ماجَهْ» عَن أَبِي أُمامَةَ الباهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: خَطَبَنا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فكَانَ أَكثَرُ خُطبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاه عنِ الدَّجَّالِ... -فذَكَر الحَدِيثَ بطُولِه وفِيهِ-: فقَالَت أُمُّ شَرِيكٍ بِنتُ أَبِي العَكَر: يا رَسُول الله، فأَينَ العَرَبُ يومَئِذٍ؟ قال: «**هُمْ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ يَوْمَئِذٍ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَىٰ لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّىٰ وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَىٰ بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ**

=

أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٧٩٨).

(١) أخرجه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» (٣/ ٣١١) (٢٨٢٢)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»(١).

قَال الجَوهَرِيُّ: «السَّاجُ: الطَّيلَسَانُ الأَخضَرُ، والجَمعُ سِيجَانٌ».

وقَال ابنُ مَنظُورٍ فِي «لِسَانِ العَرَب»: «السَّاجُ: الطَّيلَسَان الضَّخمُ الغَلِيظُ، وقِيلَ: هُوَ الطَّيلَسَان المُقَوَّر يُنسَجُ كَذَلِكَ، وقِيلَ: هُوَ طَيلَسَان أَخضَرُ، وقَالَ ابنُ الأَعرابِيِّ: السِّيجَانُ: الطَّيالِسَة السُّودُ، واحِدُها ساجٌ»(٢).

والغَرقَدُ: هُوَ العَوسَجُ.

قَال النَّووِيُّ: «الغَرقَدُ: نَوعٌ مِن شَجَرِ الشَّوكِ مَعرُوفٌ ببِلَادِ بَيتِ المَقدِسِ، وهُناكَ يَكُونُ قَتْلُ الدَّجَّالِ واليَهُودِ.

وقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَورِيِّ(٣): إِذَا عَظُمَت العَوسَجَة صَارَت غَرقَدَةً»(٤).

وفِي هَذِه الأَحادِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أنَّ العَرَب هُم الَّذِين يُقاتِلُون الدَّجَّال وجُندَهُ اليَهُودَ، وفِيهَا رَدٌّ لِمَا زَعَمه المُصنِّف فِي غَيرِهم مِن بَنِي الأَقباطِ وأَصنافِ الأَعاجِمِ، والله أَعلَمُ.

الوَجهُ السَّادِسُ: أنَّ المِصرِيِّين لَم يَنتَصِروا عَلَىٰ الإِنجلِيزِ ومَن أَعانَهُم فِي

---

(١) تقدم.

(٢) انظر: «الصحاح» (١/ ٣٢٣)، و«لسان العرب» (٢/ ٣٠٢).

(٣) هو أحمد بن داود، أبو حنيفة الدينوري النحوي صاحب ابن السكيت. ثقة، بارع الأدب، كثير الفنون، كبير الدائرة، طويل النفس. له مصنفات عديدة في العربية واللغة والهندسة والهيئة والوقت، وغير ذلك. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر: «معجم الأدباء» (١/ ٢٥٨)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٦٧٢)، و«الأعلام» (١/ ١٢٣).

(٤) انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٨/ ٤٥).

حَربِهِم مَعَ المِصرِيِّين، كَمَا زَعَم ذَلِك المُصنِّفُ، وإِنَّما قَامَتِ الرُّوسُ بحِمَايَتِهم ومَنعِ الإِنجلِيزِ ومَن مَعَهم مِن مُحارَبَتِهم بَعدَ أَنْ أَخَذُوا مِنهُم بَعضَ النَّواحِي وكَادُوا يَستَسلِمُون للإِنجلِيزِ بدُونِ قَيدٍ ولا شَرطٍ.

وقَد كَافَأَ المِصرِيُّون صَنِيعَ الرُّوسِ مَعَهم بقَبُولِ مَذهَبِهِم الخَبِيثِ فِي الاشتِرَاكِيَّة ودُعاءِ المُسلِمين إِلَىٰ قَبُولِ هَذَا المَذهَبِ الخَبِيثِ.

فَصلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (٦٣ - ٦٤) ما مُلَخَّصُه:

إِخبارُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بتَعلُّم اللُّغاتِ الإِفرَنجِيَّة واختِلَافِ أَلسُنِ العَرَب بحَسَبِ الدُّوَل المُستَعمِرَة لبِلَادِهم؛ فطَائِفَة تَتكَلَّم بالفِرَنسِيَّة، وأُخرَىٰ بالإِسبَانِيَّة وأُخرَىٰ بالإِنجلِيزِيَّة، وأُخرَىٰ بالرُّوسِيَّة، وغَيرِها مِن أَلسُنِ الدُّولِ المُستَعمِرَة.

رَوَىٰ الطَّبرانِي فِي «الأَوسَطِ» و«الكَبِيرِ» مِن حَدِيث سَلمَانَ الفارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ، وَخَزَنَ الْعَمَلُ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَلْسُنُ، وَتَبَاغَضَتِ الْقُلُوبُ، وَقَطَعَ كُلُّ ذِي رَحِمٍ رَحِمَهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللهُ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**».

وقد ذَكَر المُصنِّف هَذَا الحَدِيث أَيضًا بِهَذا اللَّفظِ فِي صَفحَة (١٠٥) ونَسَبه «للأَوسَطِ» فَقَط، ثُم قَال: «فاختِلَافُ الأَلسُن المَذكُورَةِ فِي الحَدِيثِ إِنَّما المُرَاد بِه اختِلَافُ أَلسُنِ العَرَب باللُّغاتِ الإِفرَنْجِيَّة، وإِلَّا فاختِلَافُ أَلسُن الخَلقِ مَوجُودٌ مِن يَومِ نَشَر الله نَسْلَ آدمَ عَلَيهِ السَّلَامُ فِي الأَرضِ...» ثُمَّ قَال عن اللُّغَة العَرَبِيَّة: إِنَّها هِيَ أَساسُ الإِسلَامِ.

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ الحَدِيثَ الَّذِي أَورَدَه قَد وَقَع فِيهِ تَحرِيفٌ فِي الكَلِمَة الَّتِي استَدَلَّ بِهَا عَلَىٰ تَعلُّمِ اللُّغاتِ واختِلَافِ الأَلسُنِ، والظَّاهِرُ أَنَّه نَقَله مِن «مَجمَعِ الزَّوائِد» المَطبُوعِ فِي القاهِرَة فِي سَنَة (١٣٥٣) مِن الهِجرَةِ النَّبوِيَّة؛ فإِنَّه فِيهِ كَذَلِكَ، وهُوَ تَحرِيفٌ بلَا شَكٍّ إِمَّا مِن الَّذِين طَبَعُوا الكِتابَ وإِمَّا مِن بَعضِ النُّسَّاخِ قَبلَهُم.

والحَدِيثُ قد رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ فِي «الزُّهدِ» وعَبدُ بنُ حُمَيدٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ عن سَلمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوقُوفًا، ورَواهُ الحَسَن بنُ سُفيَانَ وأَبُو نُعَيمٍ وابنُ عَساكِرٍ عن سَلمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ، وَخزَنَ الْعَمَلُ، وَائْتَلَفَتِ الأَلْسُنُ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ، وَقَطَعَ كُلُّ ذِي رَحِمٍ رَحِمَهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**».

وقَال الطَّبرانِي: حَدَّثَنا عَلِيُّ بنُ عَبدِ العَزِيزِ، حَدَّثَنا مُحَمَّد بنُ عَمَّار المَوصِلِيُّ، حَدَّثَنا عِيسَىٰ بنُ يُونُسَ عن الحَجَّاجِ بنِ الفُرَافِصَةِ عن أَبِي عُمَرَ البَصرِيِّ عن سَلمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ، وَخزَنَ الْعَمَلُ، وَائْتَلَفَتِ الأَلْسِنَةُ، وَتَبَاغَضَتِ الْقُلُوبُ، وَقَطَعَ كُلُّ ذِي رَحِمٍ رَحِمَهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**». هَذَا لفظُ الحَدِيثِ عِندَ الطَّبرانِيِّ، والعِبْرَة بِهَذا اللَّفظِ لَا بِمَا حُرِّفَ فِي «مَجمَع الزَّوائِدِ»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٦٣) (٦١٧٠)، و«الأوسط» (٢/ ١٦١) (١٥٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ١٠٠) وغيرهم من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٥٠١)، و«المجمع» (٧/ ٢٨٧)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٥٥٩).

وقَد رَوَىٰ ابنُ أَبِي الدُّنيَا نَحوَه عنِ الحَسَن مرسلًا، قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَظْهَرَ النَّاسُ الْعِلْمَ وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ، وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ وَتبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ، وَتَقَاطَعُوا فِي الْأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**»(١).

وقد تبيَّن مِمَّا ذَكَرْنا أنَّه لا إِشارَةَ فِي الحَدِيثِ لِمَا ذَكَرَه المُصنِّف مِن تَعلُّم اللُّغاتِ الإِفرَنجِيَّة واختِلَافِ أَلسُنِ العَرَب بذَلِك، وأنَّه إِنَّما بَنَىٰ كَلامَه فِي هَذَا الفَصلِ عَلَىٰ كَلِمَة مُحرَّفة.

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ اختِلَافَ أَلسُنِ بَنِي آدَمَ إِنَّما كَان بَعدَ الطُّوفانِ.

قَال عِلبَاءُ بنُ أَحمَر عَن عِكرِمَة عن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَال**: «كَان مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَة ثَمانُون رَجُلًا مَعَهُم أَهلُوهُم، وإِنَّهُم كَانُوا فِيهَا مِائَةً وخَمسِينَ يَومًا، وأنَّ اللهَ وَجَّهَ السَّفِينَةَ إِلَىٰ الجُودِيِّ فاستَقَرَّت عَلَيهِ، فهَبَطَ نُوحٌ إِلَىٰ أَسفَلِ الجُودِيِّ فابتَنَىٰ قَريَةً وسَمَّاها ثَمانِينَ، فأَصبَحُوا ذاتَ يَومٍ وقَد تَبَلْبَلَت أَلسِنَتُهم عَلَىٰ ثَمانِينَ لُغَةً إِحدَاهَا اللِّسانُ العَرَبِيُّ، فكَان بَعضُهم لا يَفقَهُ كَلامَ بَعضٍ؛ فكَان نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَبِّر عَنهُم»(٢).

فأَمَّا قَولُ المُصنِّف: إِنَّ اختِلَافَ الأَلسُنِ مَوجُود من يَومِ نَشَر الله نَسْلَ آدَمَ فِي الأَرضِ؛ فَهُوَ قَولٌ لا دَلِيلَ عَلَيهِ، ويَلزَمُ عَلَيهِ أن يَكُون بَنُو آدَمَ لصُلبِه مُختَلِفِين فِي اللِّسَانِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُم لُغَةٌ غَيرُ لُغَةِ أَخِيه، وهَذَا قَولٌ بَعِيدٌ جِدًّا بل ظَاهِرُ البُطلَانِ، والله أَعلَمُ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (ص٢٤) (١٠) عن الحسن البصري به مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في (٦/ ٢٠٣٢) (١٠٨٨٢) وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا به. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٢٤).

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ أَساسَ الإِسلَامِ شَهادَةُ أنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؛ فمَنَ أَتَىٰ بِهَا مِن عَرَبِيٍّ أَو عَجَمِيٍّ حُكِم بإِسلَامِه ولَو كَان العَجَمِيُّ لا يَعرِفُ اللُّغَة العَرَبِيَّة، ولو كَان الأَمرُ عَلَىٰ ما زَعَمه المُصنِّف من أنَّ أَساسَ الإِسلَام اللُّغَةُ العَرَبِيَّة لَمَا صَحَّ لأَحَدٍ من الأَعاجِمِ إِسلَامٌ حتَّىٰ يَتعَلَّم اللُّغَة العَرَبِيَّة، وهَذَا قَولٌ مَعلُومُ البُطلَانِ بالضَّرُورَةِ.

فَصلٌ

وقَالَ المُصنِّف فِي صَفحَة (٦٦ وما بَعدَها) ما مُلَخَّصُه:

إِخبارُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بالعَصرِيِّين المَلاحِدَةِ الزَّنادِقَة، وذِكْرُه أَوصافَهُم الَّتِي هم عَلَيها الآنَ... ثُمَّ ذَكَر حَدِيثَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَال: قَال رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»(١). وذَكَر -أَيضًا- حَدِيثَ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بنَحوِ حَديثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ(٢).

ثمَّ قَال: «فهَؤُلاءِ الأَحداثُ المَذكُورونَ هُمُ هَذَا الشَّبابُ الفاسِدُ الكافِرُ المُلحِدُ المَارِقُ من الدِّينِ...» إِلَىٰ آخِرِ كَلامِه فِيهِم.

ثُمَّ قَال: «وقَد ذَكَرَهم الله تَعالَىٰ فِي كِتَابِه العَزِيزِ وأَخبَرَ أَنَّهُم كَافِرُون غَيرُ

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) وغيرهما من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٨)، وابن ماجه (١٦٨) وغيرهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٥٢).

مُؤمِنين؛ فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]...» وذَكَر جَمِيعَ الآيَاتِ الوارِدَةِ فِي المُنافِقِين فِي أَوَّل سُورَة البَقَرة إِلَىٰ قَولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

ثُمَّ قَال: «فَهَذِه الآياتُ يَزعُم كَثِيرٌ مِن المُفسِّرين أنَّها نازِلَة فِي المُنافِقِين، ولَيس كَمَا زَعَمُوا، بَل هِيَ نازِلَة فِي هَؤُلاءِ المَلاحِدَة المُفسِدِين، كمَا بَيَّنْتُه فِي كتابي: «**بَيانُ غُربَةِ الدِّينِ بِواسِطَةِ العَصرِيِّين المُفسِدِين**» مِن وُجوهٍ تَزِيدُ عَلَىٰ العِشرِين، كُلُّها قَاطِعَةٌ فِي تَحقيقِ نُزولِها فِيهِم، وأنَّ المُنافِقِين إنَّما أَدخَلَهُم المُتَقَدِّمون فِيهَا لأنَّه لَم يَكُن أَمَامَهُم غيرُهم، فكَانَت الضَّرُورَة داعِيَةً لَهُم إِلَىٰ تَنزِيلِها عَلَيهِم، كَمَا فَعَلُوا فِي آياتٍ أُخرَىٰ وارِدَةٍ فِي هَذَا الزَّمانِ فحمَلُوها عَلَىٰ مَا كان مَوجُودًا فِي زَمانِهِم، كَمَا قَدَّمْنَاه فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤٢]. وكَمَا فَعَلُوا فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] الآيَةَ وغَيرَها».

قَال: «**والمَقصُودُ**: أنَّ هَذِه الآيَةَ لم تَنزِل فِي المُنافِقِين الَّذين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإِنَّما هي نازِلَة فِي هَؤُلاءِ المُنافِقِين المَارِقِين المَلاحِدَة المُتفَرنِجِين والَّذِين وَلَّدَهم الاستِعمَارُ الكافِرُ وأَنتَجَتْهم مَدارِسُه الإِفرَنجِيَّة للقَضاءِ عَلَىٰ الإِسلامِ، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أُمورٌ...».

ثُم ذَكَر مَا رُوِي عَن سَلمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] قَال سَلمانُ: لَم يَجِئ أَهلُ هَذِه الآيَةِ بَعدُ(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٤٥) (١٢٣) وغيره عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر:

قَال: «وقَد قَال ابنُ جَريرٍ[1]: يُحتَمَل أنَّ سَلمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَرادَ بِهذا: أنَّ الَّذِين يَأتُون بِهَذِه الصِّفَةِ أَعظَمُ فَسادًا من الَّذِين كَانُوا فِي زَمَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا أنَّه عَنَىٰ أنَّه لم يَمضِ مِمَّن تِلكَ صِفَتُه أَحَدٌ».

قَال المُصنِّفُ: «ولَيسَ كَذَلِكَ، بل مُرَادُ سَلمَانَ أنَّ أَهلَ هَذِه الآيَةِ سَيكُونون فِي آخِرِ الزَّمانِ، ولَيسَ المُرَاد بِهَا أَحَدًا مِمَّن كَان فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنَّهَا لا يُمكِن أَن تَنطَبِق عَلَيهِم إلَّا بتَأوِيلٍ وتَكَلُّف بخِلَافِ أَهلِها النَّازِلَةِ فِيهِم مِن مَلاحِدَةِ هَذَا العَصرِ وشَبابِهِ الفاسِدِ؛ فإِنَّها مُنطَبِقَة عَلَيهِم حَرفًا حَرفًا».

قال: «ولَم يَبْقَ أَدنَىٰ شَكٍّ فِي أَنَّهُم المُرَاد من الآياتِ المَذكُورة».

قال: «والثَّانِي -وهُوَ من الأدلة القاطعة-: أنَّ كَلِمَة مُصلِح لَم تُتَدَاوَل ولَم يُعرَف الإِكثارُ مِن ذِكْرِها -بَل ولا ذِكْرُها مُطلَقًا- إلَّا عِندَ ظُهورِ هَذَا النَّشْءِ الفاسِدِ المارِقِ، فلَا تَسمَعُ كَلِمَة مُصلِحٍ من مُؤمِنٍ بالله ورَسُولِه، وإِنَّما تَسمَعُها مِنهُم؛ حتَّىٰ صارَت شِعارًا لَهُم؛ فتَعَيَّن أَنَّ الآيَةَ نازِلَةٌ فِيهِم لا فِي مُنافِقِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فإنَّه لم يُنقَل عَنهُم أَنَّهُم كَانُوا يَقُولُون: إنَّهم مُصلِحون، ولا نُقِلَ عَن واحِدٍ مِنهُم كَلِمَةُ مُصلِحٍ».

قَال: «**والثَّالِثُ**: أنَّه لم يُنقَل عن المُنافِقِين أَنَّهُم كانُوا يُفسِدُون فِي الأَرضِ، ولَا كَان لَهُم كَثرَةٌ وانتِشَارٌ حتَّىٰ يُقالَ: إنَّهُم أَفسَدُوا فِي الأَرضِ، وإِنَّما الَّذِين مَلَئُوا الأَرضَ فَسادًا هُم المَارِقُون المَلاحِدَة».

=

«تفسير ابن كثير» (١/ ١٨١).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٩٨).

قَال: «وأمَّا مُنافِقُو زَمانِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلَم يَحصُل مِنهُم فَسادٌ فِي البُقعَة الصَّغِيرَة الَّتِي كَانُوا بِهَا مُطلَقًا، فَضلًا عَن أَن يَحصُل مِنهُم فِي الأَرضِ، بل ما صَدَر مِنهُم مِمَّا يُسَمَّىٰ فَسادًا فِي الأَرضِ مِقدَارُ شَعَرَةٍ بالنِّسبَة لثَورٍ ممَّا صَدَر من هَؤُلاءِ، بل لَم يَصدُر من أُولَئِكَ فَسادٌ أَصلًا إلَّا ما كان فِي نُفوسِهِم من الكُفرِ القاصِرِ عَلَيهِم، وهُوَ النِّفاقُ، فكَيفَ يُمكِنُ حَملُ الآيَةِ عَلَيهِم وهُم أَبرِياءُ مِنهَا».

ثُمَّ قَال: «فأُقْسِم بالله تَعالَىٰ أنَّ الله تَعالَىٰ ما أَرادَ بالآياتِ إلَّا هَؤُلاءِ المَارِقِين، وأنَّه لو رَآهُم المُفسِّرُون من السَّلَف لَقطَعُوا بذَلِك ورَجَعوا عن تَنزِيلِهِم الآيَةَ عَلَىٰ مُنافِقِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

ثُمَّ أَطالَ الكَلامَ فِي الذَّبِّ عَن المُنافِقِين الَّذين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذَكَر أنَّه لَم يَحصُل مِنهُم خِداعٌ لمُؤمِنٍ واحِدٍ، وأنَّ المَثَلَينِ المَذكُورَين فِي أَوَّلِ سُورَة البَقَرة لا يَنطَبِقَان عَلَيهِم، وإنَّما يَنطَبِقان عَلَىٰ مَلاحِدَة العَصرِيِّين وزَنادِقَتِهم.

ثُمَّ قَال: «إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُم مَارِقِين مِنَ الدِّينِ؛ أي: خَارِجِين مِنهُ بَعدَ أن كَانُوا دَاخِلِين فيه، والمُنافِقُون لم يَدخَلُوا فِيهِ يَومًا ما؛ فتَعَيَّن أنَّ هَؤُلاءِ هُم المُرَادُ فِي الآياتِ الكَرِيمَةِ».

والجَوابُ عن هَذا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ الأَحادِيثَ الَّتِي ذَكَرها عن عَلِيٍّ وابنِ مَسعُودٍ وأَنس وأَبِي ذَرٍّ ورَافِعِ بنِ عَمرٍو وأَبِي سَعِيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كُلُّها وارِدَةٌ فِي الخَوارِجِ الَّذين قَتَلَهُم عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم النَّهرَوانِ، ولَيسَت وارِدَةً فِي مَلاحِدَة العَصرِيِّين وزَنادِقَتِهم كَمَا تَوَهَّمه المُصنِّف، وكُلُّ مَن

جَاءَ بَعدَ أَهلِ النَّهرَوانِ وهُوَ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِم فعُمُوم الأَحادِيثِ الوارِدَة فِيهِم يَشمَلُه مَعَهُم.

وقَد جَاءَ فِي بَعضِ الرِّوايَاتِ الَّتِي ذَكَر المُصنِّف أَطرافًا مِنهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال فِي الخَوارِجِ: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ**»(١)، ولَيسَت حالُ مَلاحِدَة العَصرِيِّين كَذَلِكَ؛ فإِنَّ الغَالِبَ عَلَيهِم الجَفاءُ والتَّفرِيطُ فِي أُمورِ الدِّينِ كالصَّلاةِ والصِّيامِ وغَيرِ ذَلِك من أَنواعِ العِبادَة، وأَمَّا الخَوارِجُ فالغَالِبُ عَلَيهِم الغُلُوُّ والإِفرَاطُ والتَّعمُّق فِي الدِّينِ.

وأيضًا: فَقَد جاءَ فِي بَعضِ الرِّوَاياتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَىٰ عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ**»(٢)، وقَد وُجِد هَذَا الرَّجُل مَعَ الخَوارِجِ يَومَ النَّهرَوانِ.

وعَلَىٰ هَذَا؛ فلا يَنبَغِي حَملُ الأَحادِيث الوارِدَةِ فِي الخَوارِج عَلَىٰ مَلاحِدَة العَصرِيِّين وزَنادِقَتِهم، وإِن كَانُوا مِثلَ الخَوارِجِ أو شَرًّا مِنهُم، لأَنَّ فِي حَملِها عَلَىٰ المَلاحِدَة وصَرفِها عن الخَوارجِ صَرفًا لَها عن المُرَادِ منها، وذَلِكَ نَوعٌ من الكَذِب عَلَىٰ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوَجهُ الثَّانِي: مِن عُجَرِ المُصنِّفِ وبُجَرِه تَبرِئَتُه للمُنافِقِين الَّذين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا نَزَل فِيهِم من الآياتِ مِنَ الإِفسادِ فِي الأَرضِ وأَنَّه لم يَصدُر مِنهُم فَسادٌ أَصلًا ولا حَصَل مِنهُم خِداعٌ لمُؤمِنٍ واحِدٍ.

وهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ وغَلَط فاحِشٌ يُستَغرَب صُدُوره مِن رَجُلٍ مُسلِم فَضلًا عَمَّن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر التخريج السابق.

يَدَّعِي العِلمَ والكَمالَ، كَما سَيأتِي فِي آخِرِ كِتَابِه.

الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا جادَل عن بَعضِ المُنافِقِين ظانًّا بَراءَته مِمَّا رُمِيَ بِهِ مِن السَّرِقَة نَهاه الله تَعالَىٰ عن ذَلِك وأَمَره بالاستِغفَارِ مِمَّا فَعَل؛ فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٩][(١)].

ولا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَن له أَدنَىٰ عِلمٍ ومَعرِفَة أنَّ المُصنِّف قد جادَلَ عن المُنافِقِين الَّذين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ الجِدالِ؛ حَيثُ بَرَّأَهم مِمَّا نَزل فِيهِم من القُرآنِ وبَرَّأَهُم منَ الإِفسَادِ فِي الأَرضِ ومِن الخِدَاعِ بالكُلِّيَّة، فالواجِبُ عَلَيهِ الرُّجوعُ عمَّا قَال والاستِغفارُ مِمَّا فَعَل.

الوَجهُ الرَّابِعُ: أنَّ المُفسِّرين من الصَّحابَة والتَّابِعِين ومَن بَعدَهُم مِن عُلَماء التَّفسِير أَجمَعُوا عَلَىٰ نُزولِ الآياتِ من أَوَّلِ سُورَة البَقَرة فِي المُنافِقِين الَّذِين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وقَد خَالَفَهم المُصنِّفُ فَبرَّأ المُنافِقِين مِنهَا بغَيرِ مُستَنَد صَحيحٍ؛ فكَان الأَمرُ فِيهِ كَما قَال الشَّاعِر:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣٦) وغيره من حديث قتادة بن النعمان، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

خِلافًا لِقَوْلِي مِنْ فَيَالَةِ رَأْيِهِ كَمَا قِيلَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَالِفْ لِتُذْكَرَا

قَال أَبُو جَعفَرِ بنُ جَرِيرٍ -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- فِي الكَلام عَلَىٰ قَول الله تَعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]: «أَجمَع جَمِيعُ أَهلِ التَّأوِيلِ عَلَىٰ أنَّ هَذِه الآيَةَ نَزَلت فِي قَومٍ مِن أَهلِ النِّفاقِ، وأنَّ هَذِه الصِّفَةَ صِفَتُهم».

ثُمَّ رَوَىٰ بِإِسنَادِه عَنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]: «يَعنِي: المُنافِقِين مِنَ الأَوسِ والخَزرَجِ ومَن كان عَلَىٰ أمرِهِم»(١).

قَال ابنُ كَثِيرٍ: «وكَذَا فَسَّرَها بالمُنافِقِين منَ الأَوسِ والخَزرَجِ أَبُو العالِيَةِ والحَسَنُ وقَتادَةُ والسُّدِّيُّ»(٢).

قَال ابنُ جَرِيرٍ: «وقد سُمِّي فِي حَدِيثِ ابن عَبَّاسٍ هَذَا أَسماؤُهُم عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، غَيرَ أَنِّي تَرَكْتُ تَسمِيَتَهُم كَراهَةَ إِطالَةِ الكِتَابِ بذِكْرِهم»(٣).

قُلتُ: قَد ذَكَر أَسماءَهُم مُحَمَّدُ بن إِسحَاقَ فِي «السِّيرَة»، وكَذَلِكَ ابنُ هِشَامٍ وغَيرُه مِمَّن صَنَّف فِي السِّيرَة(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧٥- ٢٧٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٧).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧٥).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٩ وما بعدها).

وقَال البَغَوِيُّ فِي «تَفسِيرِه»(١): «نَزَلت فِي المُنافِقِين: عَبدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ ابنِ سَلُول، ومُعَتِّب بنِ قُشَيرٍ، وَجَدِّ بنِ قَيسٍ وأَصحَابِهِم؛ حَيثُ أَظهَرُوا كَلِمَةَ الإِسلَامِ لِيَسلَمُوا منَ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأَصحَابِه، واعتَقَدُوا خِلافَها».

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ عن ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أَنَّ صَدْرَ سُورَةِ البَقَرة إِلَىٰ المِائَةِ مِنهَا نَزَل فِي رَجالٍ أَسمَاهُم بأَعيانِهِم وأَنسابِهِم، مِن أَحبارِ يَهُودَ ومِن المنَافِقِين من الأَوسِ والخَزرَجِ. قَال ابنُ جَريرٍ: كَرِهْنا تَطوِيلَ الكِتَابِ بذِكْرِ أَسمائِهِم»(٢).

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ -أيضًا- عن قَتادَة فِي قَولِه: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٨] حتَّىٰ بلغ: ﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٦] قَال: «هَذِه فِي المُنافِقِين»(٣).

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ -أيضًا- عن مُجاهِدٍ قَال: «هَذِه الآيَةُ إِلَىٰ ثَلاثَ عَشْرَةَ فِي نَعتِ المُنافِقِين»(٤).

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ -أيضًا- من طَرِيقِ إِسمَاعِيلَ السُّدِّيِّ عن أَبِي مَالِكٍ وعن أَبِي صَالِحٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وعن مُرَّةَ عن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعن ناسٍ من أَصحَابِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم**

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (١/ ٦٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢٥٩) (١٧) وغيرهما عن قتادة به.

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧٦) عن مجاهد به.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]: «هُم المُنافِقُون»(١).

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ -أيضًا- عن الرَّبيعِ بنِ أَنَسٍ فِي قَولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٨] إِلَىٰ: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠] قَال: «هَؤُلاءِ أَهلُ النِّفاقِ»(٢).

وإذا كان ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغَيرُه مِن أَكابِر السَّلَف قد صَرَّحوا بأنَّ الآياتِ مِن أَوَّل سُورَة البَقَرة نَزَلَت فِي المُنافِقِين مِن الأَوسِ والخَزرَجِ ومَن كَان عَلَىٰ أَمرِهِم؛ فلا يَنبَغِي العُدولُ عَن قَولِهم إِلَىٰ ما خَالَفه من أَقوالِ المُتَخَرِّصين المُتكَلِّفين.

الوَجهُ الخَامِسُ: أنَّ المُصنِّف لم يَكتَفِ بمُخالَفَة المُفسِّرين الَّذِين ذَكَرْنا أَقوالَهُم حتَّىٰ زَعَم أَنَّهم حَمَلوا الآياتِ مِن أَوَّل سُورَة البَقَرة عَلَىٰ غَيرِ مَن نَزَلت فِيهِم، وأَنَّهم فَعَلوا مِثلَ ذَلِك فِي قَولِه تعالَىٰ: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤٢] وفِي قوله تَعالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] الآيَةَ وغَيرِها ممَّا تَقَدَّم ذِكْرُه.

وهَذَا -أيضًا- خطأٌ كَبيرٌ من المُصنِّف؛ حيثُ قَضَىٰ بصَوابِ نَفسِه فِيمَا فَسَّرَه منَ الآياتِ بمُجَرَّد رَأيِه، وقَضَىٰ بخَطَأِ حَبْرِ الأُمَّة وتُرجُمان القُرآنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغَيرِه من أَئِمَّة السَّلَف لَمَّا خالَفَت أَقوالُهُم رَأيَه ومَذهَبَه.

وهَذَا مِن قَلْبِه للحَقِيقَةِ وعَكْسِهِ للقَضِيَّة؛ فإنَّ الصَّوابَ فِي الحَقِيقَة ما قَالَه ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومَن قَال بقَولِه فِي تَفسيرِ الآياتِ مِن أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرة، وأَنَّها نَزَلت

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧٣) عن ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧٦) عن الربيع بن أنس به.

فِي المُنافِقين الَّذِين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَذَلِكَ القَولُ فِي الآيَةِ مِن سُورَة يَس، والآيَةِ مِن سُورَةِ يُونُس، وغَيرِهِما ممَّا تَقَدَّم ذِكْرُه، فالصَّوابُ فِيهَا ما ذَكَرْنا هُناكَ عن أَئِمَّة السَّلَف، والخَطَأ ما قَاله المُصنِّف فِيهَا وفِي الآياتِ من سُورَة البَقَرة بمُجَرَّد رَأيِه.

الوَجهُ السَّادِسُ: أنَّ الله تَعالَىٰ ذَكَر عن المُنافِقين أَنَّهم قَالُوا إنَّما نَحنُ مُصلِحُون.

قَال ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أي: قالوا: إِنَّما نُريد الإِصلاحَ بَين الفَرِيقَين من المُؤمِنين وأَهلِ الكِتَابِ». رَواهُ ابنُ جَريرٍ[1].

وذَكر تَعالَىٰ -أيضًا- عن الإِسرَائِيلِيِّ أنَّه قَال لموسىٰ: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩]، وفِي هَاتَينِ الآيَتَينِ رَدٌّ لقَولِ المُصنِّف أنَّ كَلِمَة مُصلِحٍ لم تُتَداوَل ولَم يُعرَف ذِكْرُها مُطلقًا إلَّا عِندَ ظُهورِ النَّشْءِ الفاسِد المارِقِ.

وأما قَولُه: «إنَّه لم يُنقَل عَنهُم أَنَّهم كَانُوا يَقُولُون: إِنَّهُم مُصلِحون ولا نُقِل عن واحِدٍ مِنهُم كَلِمَةُ مُصلِح».

فجَوابُه: أن يُقالَ: قد ذَكَر الله ذَلِك عَنهُم فِي كِتابِه؛ ومَن أَصدَقُ مِنِ الله حَدِيثًا ومَن أَصدَقُ مِن الله قِيلًا؟!

وقَد قَال ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **وغَيرُه من المُفسِّرين**: إِنَّها نَزلت فِي المُنافِقِين مِنَ الأَوسِ والخَزرَجِ ومَن كان عَلَىٰ أمرِهِم؛ فلَو أنَّ المُصنِّفَ اكتَفَىٰ بِمَا أَخبرَ الله به فِي كِتابِه عن المُنافِقِين، وبِمَا قَالَه حَبرُ الأُمَّة وغَيرُه من أَكابِرِ التَّابِعِين فِي ذَلِك لَكان خيرًا

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (١/ ٤٥) (١٢٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

له مِن الاعتِمَادِ عَلَىٰ مُجَرَّدِ رَأيِهِ.

الوَجهُ السَّابعُ: أنَّ الله تَعالَىٰ ذَكَر الإفسادَ عن المُنافِقِين الَّذين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذَكَر أَنَّهم يُخادِعُون اللهَ والَّذِين آمَنُوا؛ وهَذَا يَرُدُّ ما نَفَاه المُصنِّف عَنهُم منَ الإِفسَادِ والخِدَاعِ.

قَال أَبُو جَعفَرِ بنُ جَرِيرٍ رَحِمه الله تَعالَىٰ(١): «وخِداعُ المُنافِق رَبَّه والمُؤمِنِين: إظهَارُه بلِسَانِه من القَولِ والتَّصديقِ خِلافَ الَّذِي فِي قَلبِه من الشَّكِّ والتَّكذيبِ؛ ليَدْرَأَ عن نَفسِه بِمَا أَظهَر بلِسَانِه حُكْمَ الله عَزَّوَجَلَّ اللَّازِمَ مَن كانَ بِمِثلِ حَالِه من التَّكذِيبِ، لَو لَم يُظهِر بلِسَانِه ما أَظهَر من التَّصدِيق والإِقرَارِ؛ منَ القَتلِ والسِّبَاءِ؛ فذَلِكَ خِداعُه رَبَّه وأَهلَ الإِيمانِ باللهِ.

فإنْ قَال قائِلٌ: وكَيفَ يَكُون المُنافِق لِلَّه وللمُؤمِنين مُخادِعًا وهُوَ لا يُظهِر بلِسَانِه خِلافَ ما هُوَ له مُعتَقَد إِلَّا تَقِيَّةً؟

قِيلَ: لا تَمتَنِع العَرَب مِن أَن تُسَمِّيَ مَن أَعطَىٰ بلِسَانِه غَيرَ الَّذِي هُوَ فِي ضَمِيرِه تَقِيَّةً لِيَنجُوَ مِمَّا هُوَ له خائِفٌ، فنَجَا بذَلِك ممَّا خافَهُ مُخادِعًا لِمَن تَخلَّصَ مِنهُ بالَّذِي أَظهَر له من التَّقِيَّة؛ فكَذَلِكَ المُنافِقُ سُمِّيَ مُخادِعًا لله وللمُؤمِنين بإِظهَارِه ما أَظهَرَ بلِسَانِه تَقِيَّةً ممَّا تَخَلَّص بِه مِن القَتلِ والسِّباءِ والعَذابِ العاجِلِ، وهُوَ لغَيرِ ما أَظهَر مُستَبطِنٌ، وذَلِكَ مِن فِعلِه -وإن كَان خداعًا للمُؤمِنين فِي عاجِلِ الدُّنيَا- فَهُو لنَفسِه بذَلِك مِن فِعلِه خادِعٌ؛ لأَنَّه يُظهِر لها بِفعلِه ذَلِك بِهَا أَنَّه يُعطِيهَا أُمنِيَّتَها، ويَسقِيها كَأسَ سُرورِها، وهُوَ مُورِدُها به حِياضَ عَطَبِها، ومُجَرِّعُها به كَأسَ عَذابِها ومُزِيرُها من

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧٩).

غَضَبِ الله وأَليمِ عِقَابِه ما لا قِبَل لها به، فذَلِكَ خَدِيعَتُه لنَفسِه ظنًّا مِنهُ -مع إساءَتِه إِلَيها فِي أَمرِ مَعادِها- أنَّه إِلَيها مُحسِنٌ، كَمَا قَال جلَّ ثَناؤُه: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] إعلامًا مِنهُ عِبادَه المُؤمِنين أنَّ المُنافِقين بإِساءَتِهم إِلَىٰ أَنفُسِهِم فِي إِسخَاطِهِم رَبَّهم بكُفرِهِم وشَكِّهم وتكذِيبِهم غيرُ شَاعِرِين ولا دَارِين، ولَكِنَّهم عَلَىٰ عَمْياء من أَمرِهم مُقِيمُون».

ثم قَال: «حدَّثَني يُونُس بنُ عَبدِ الأَعلَىٰ قَال: أَخبَرَنا ابنُ وَهبٍ قَال: سَأَلتُ عَبدَ الرَّحمَن بنَ زَيدٍ[١] عن قَولِ الله جلَّ ذِكْرُه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٩] إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ، قَال: هَؤُلاءِ المُنافِقُون يُخادِعُون اللهَ والَّذِين آمَنُوا أَنَّهم مُؤمِنون بِمَا أَظهَرُوا»[٢].

ورَوَىٰ ابنُ أَبِي حاتِمٍ عن ابنِ جُرَيجٍ فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩] **قَال:** «يظهرون لَا إِلَه إلَّا الله، يُرِيدُون أَن يُحرِزُوا بذَلِكَ دِماءَهُم وأَموالَهُم، وفِي أَنفُسِهِم غَيرُ ذَلِك»[٣].

وأَمَّا إِفسادُهُم فِي الأَرضِ: فقَالَ السُّدِّيُّ فِي «تَفسِيرِه» عن أبي مالك وعن أَبِي صَالِحٍ عن ابن عَبَّاس وعن مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ عنِ ابنِ مَسعُودٍ، وعن أُناسٍ من أَصحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي مولاهم، المدني، مولىٰ عمر بن الخطاب حدث عن: أبيه، وابن المنكدر. روىٰ عنه: أصبغ بن الفرج، وآخرون. ضعيف، من الثامنة، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: «تهذيب الكمال» (١٧/ ١١٤)، و«التقريب» (٣٨٦٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٨١) عن عبد الرحمن بن زيد به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٤٢) (١٠٧) عن ابن جريج به.

قال: هُم المُنافِقُون، أمَّا ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١١]؛ فإنَّ الفَسادَ هُوَ الكُفرُ والعَمَلُ بالمَعصِيَة». ورَواهُ ابنُ جُريرٍ مِن طَرِيقِ السُّدِّيِّ.

وقَال ابنُ جُرَيجٍ عن مُجاهِدٍ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١١] قال: «إِذَا رَكِبوا مَعصِيَةَ الله فقِيلَ لَهُم: لا تَفعَلُوا كَذَا وكَذَا! قَالُوا: إِنَّما نَحنُ عَلَىٰ الهُدَىٰ مُصلِحُون». رَواهُ ابن جَريرٍ(١).

وقَالَ أبو جَعفَرٍ الرَّازِيِّ عن الرَّبيعِ بنِ أَنسٍ عن أَبِي العالِيَةِ فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قَال: «يَعنِي: لا تَعصُوا فِي الأَرضِ، وكَان فَسادُهُم ذَلِكَ مَعصِيَةَ الله؛ لأنَّ مَن عَصَىٰ اللهَ فِي الأَرضِ أو أَمَر بمَعصِيَةٍ فَقَد أَفسَدَ فِي الأَرضِ؛ لأنَّ صَلاحَ الأَرضِ والسَّماءِ بالطَّاعَة»(٢).

قَال ابنُ كَثيرٍ: «وهَكَذا قَال الرَّبِيعُ بنُ أَنسٍ وقَتادَةُ»(٣).

ورَوَىٰ ابنُ جَريرٍ وغَيرُه عن سَلمانَ الفارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَال فِي هَذِه الآيَة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] قال: «ما جاءَ هَؤُلاءِ بَعدُ».

قَال ابنُ جَريرٍ: «وأَولَىٰ التَّأوِيلَين بالآيَةِ تَأوِيلُ مَن قَال: إِنَّها نَزَلت فِي المُنافِقِين الَّذِين كَانُوا عَلَىٰ عَهدِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان مَعنِيًّا بِهَا كُلُّ مَن كَانَ بمِثلِ صِفَتِهم مِن المُنافِقِين بَعدَهم إِلَىٰ يوم القِيامَة.

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٣٠٠) عن مجاهد به.
(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٩٧- ٢٩٨) عن الربيع بن أنس به.
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٠).

وقَد يَحتَمِل قَولُ سَلمَان عِندَ تِلَاوَة هَذِه الآيِةِ: «ما جَاء هَؤُلاءِ بعدُ» أن يَكُون قَالَه بَعدَ فَناءِ الَّذِين كَانُوا بِهَذِه الصِّفَةِ عَلَىٰ عَهدِ رَسُول الله ﷺ خَبَرًا مِنهُ عمَّن هُوَ جاء مِنهُم بَعدَهم ولَمَّا يَجِئْ بَعدُ، لا أنَّه عَنَىٰ أنَّه لم يَمضِ مِمَّن هَذِه صِفَتُه أَحَدٌ.

وإِنَّما قُلنَا: أَولَىٰ التَّأوِيلَين بالآيَةِ مَا ذَكَرْنا؛ لإجمَاعِ الحُجَّة مِن أَهلِ التَّأويلِ عَلَىٰ أنَّ ذَلِك صِفَةُ مَن كان بَينَ ظَهْرَانَي أَصحَاب رَسُول الله ﷺ عَلَىٰ عَهدِ رَسُول الله ﷺ مِن المُنافِقِين، وأنَّ هَذِه الآيات فِيهِم نَزَلت.

والتَّأوِيلُ المُجمَع عَلَيهِ أَولَىٰ بتَأويلِ القُرآنِ مِن قَولٍ لا دَلالَة عَلَىٰ صِحَّتِه مِن أَصلٍ ولا نَظيرٍ.

والإِفسادُ فِي الأَرضِ: العَمَلُ فِيهَا بما نَهَىٰ الله -جَلَّ ثَناؤُه- عَنهُ، وتَضيِيعُ ما أَمَر الله بحِفْظِه، فَذَلِكَ جُملَةُ الإِفسادِ».

إِلَىٰ أن قَال: «فكَذَلِكَ صِفَةُ أَهلِ النِّفاقِ، مُفسِدُون فِي الأَرض بمَعصِيَتِهم فِيهَا رَبَّهُم، ورُكوبِهِم فِيهَا ما نَهاهُم عن رُكوبِه، وتَضيِيعِهم فَرائِضَه، وشَكِّهم فِي دِينِ الله الَّذِي لا يَقبَل من أَحدٍ عَمَلًا إلَّا بالتَّصدِيق به والإِيقَانِ بحَقِيقَتِه، وكَذِبهم المُؤمِنين بدَعواهُم غَيرَ ما هم عَلَيهِ مُقِيمُون من الشَّكِّ والرَّيبِ، وبمُظاهَرَتِهم أَهلَ التَّكذِيب بالله وكُتُبِه ورُسُلِه عَلَىٰ أَولِياءِ الله إذا وَجَدُوا إِلَىٰ ذَلِك سَبيلًا؛ فذَلِكَ إِفسادُ المُنافِقِين فِي أَرضِ الله وهُم يَحسَبُون أَنَّهم بفِعْلِهِم ذَلِك مُصلِحُون فِيهَا»(١).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٩٨-٢٩٩).

قَالَ ابنُ كَثيرٍ: «وهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَن؛ فإنَّ مِن الفَسادِ فِي الأَرضِ: اتِّخاذُ المُؤمِنينَ الكافِرِين أَولِيَاءَ كَما قَال تعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]»(١).

قُلتُ: ومِن إِفسَادِ المُنافِقِين الَّذِين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بناؤُهم لمَسجِدِ الضِّرارِ الَّذِي قَال الله تعالَىٰ فِيهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

فالمُنافِقُون بَنَوا مَسجِدَهم ضِرارًا لمَسجِدِ قُباءَ، وكُفرًا بالله ورَسُولِه، وتَفرِيقًا بَينَ المُؤمِنين، وإِرصادًا لِمَن حَارَب الله ورَسُولَه مِن قَبلُ، وهُوَ أَبُو عامِرٍ الفاسِقُ الَّذِي كَان يُقالُ له: الرَّاهِبُ، وكَان قَد كَتَب إِلَىٰ المُنافِقِين يَعِدُهم ويُمَنِّيهم أَنَّه سَيقَدمُ مِن عِندِ مَلِك الرُّومِ بجَيشٍ يُقاتِل به رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويَغلِبُه ويَرُدُّه عمَّا هُوَ فيه، وأَمَرَهُم أن يَتَّخِذُوا له مَعقِلًا يَقدمُ عَلَيهِم فِيهِ مَن يَقدَمُ مِن عِندِه لأَداءِ كُتُبِه، ويَكُون مَرصَدًا لَه إذا قَدِم عَلَيهِم بَعدَ ذَلِكَ، وهَذَا مِن أَعظَمِ الإِفسَادِ فِي الأَرضِ، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾»(٢).

وقَولُهُم هَاهُنا: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ [التوبة: ١٠٧] هُوَ كقَولِهِم: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]. قال الله تَعالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨١).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١١).

ومن إفسادِ المُنافِقين أيضًا: هَمُّهُم بالفَتكِ برَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا قَفَل من غَزوَةِ تَبُوكَ.

قَال ابنُ لَهِيعَةَ عن أَبِي الأَسوَدِ عن عُروَةَ بنِ الزُّبيرِ قَال: لمَّا قَفَل رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تَبُوكَ إِلَىٰ المَدِينَة هَمَّ جَماعَةٌ مِن المُنافِقِين بالفَتكِ بِه، وأَن يَطرَحُوه مِن رَأسِ عَقَبَةٍ فِي الطَّرِيقِ؛ فأُخبِرَ بخَبَرِهم فأَمَر النَّاسَ بالمَسِيرِ مِن الوادِي وصَعِد هُوَ العَقَبَة وسَلَكَها مَعَه أُولَئِك النَّفَر وقد تَلَثَّمُوا، وأَمَر رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمَّارَ بنَ ياسِرٍ وحُذَيفَةَ بنَ اليَمانِ أن يَمشِيَا مَعَه، عمَّارٌ آخِذٌ بزِمَامِ النَّاقَةِ وحُذَيفَةُ يَسُوقُها، فبَينَما هُم يَسِيرُون سَمِعُوا بالقَومِ قَد غَشَوْهُم، فغَضِبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَبصَرَ حُذَيفَةُ غَضَبَه فرَجَع إِلَيهِم ومَعَه مِحْجَنٌ فاستَقبَلَ وُجوهَ رَواحِلِهم بمِحجَنِه؛ فلمَّا رَأَوا حُذَيفَةَ ظَنُّوا أن قَد أَظهَر ما أَضمَرُوه من الأَمرِ العَظِيمِ فَأَسرَعُوا حتَّىٰ خالَطُوا النَّاسَ، وأقبل حُذَيفَة حتَّىٰ أَدرَكَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَمَرَهُما فأَسرَعا حتَّىٰ قَطَعُوا العَقَبَة ووَقَفُوا يَنتَظِرُون النَّاسَ، ثُمَّ قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحُذَيفَة: «**هَلْ عَرَفْتَ هَؤُلاءِ القَوْمَ؟**» قَال: مَا عَرَفتُ إلَّا رَواحِلَهُم فِي ظُلمَةِ اللَّيلِ حِينَ غَشِيتُهم. ثم قَال: «**عَلِمْتُمَا مَا كَانَ مِن شَأنِ هَؤُلاءِ الرَّكْبِ؟**» قالَا: لا، فأَخبَرَهُما بما كَانُوا تَمالَئُوا عَلَيهِ، وسَمَّاهُم لَهُما واستَكْتَمَهُما ذَلِكَ، فقَالَا: يا رَسُول الله، أَفَلا تَأمُرُ بقَتْلِهِم؟ فقال: «**أَكْرَه أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

وهَكَذا ذَكَره ابنُ كَثيرٍ فِي «تَارِيخِه»(١)**، قَال:** «وقَد ذَكَر ابنُ إِسحاقَ هَذِه القِصَّةَ إِلَّا أنَّه ذَكَر أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما أَعلَم بأَسمَائِهم حُذَيفَةَ بنَ اليَمانِ وحدَهُ، وهَذا

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٣).

هُوَ الأَشبَهُ، ويَشهَدُ له قَولُ أَبِي الدَّرداءِ لعَلقَمَةَ: «أَلَيسَ فِيكُم صاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لا يَعلَمُه غَيرُه»؛ يَعنِي: حُذَيفَةَ»(١).

وذَكَر ابنُ إِسحاقَ: «أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بَعَث إِلَيهِم حُذَيفَةَ بنَ اليَمانِ فَجَمَعهم له فأَخبَرَهُم رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَان مِن أَمرِهِم ومَا تَمالَئُوا عَلَيهِ...» ثمَّ سَرَد ابنُ إِسحاقَ أَسماءَهُم، قَال: «وَفِيهِم أَنزَل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ**﴾ [التوبة: ٧٤]».

وقد رَوَىٰ البَيهَقِيُّ مِن حَدِيثِ أَبِي البَخْتَرِيِّ عن حُذَيفَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ نحوَ ما تَقدَّم، وزَاد فِي آخِرِه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَيهِم فَقالَ: «**اللَّهُمَّ ارْمِهِمْ بِالدُّبَيْلَةِ!**» قُلنَا: يا رَسُول الله، وما الدُّبَيْلَةُ؟ قال: «**هِيَ شِهَابٌ مِنْ نَارٍ يَقَعُ عَلَىٰ نِيَاطِ قَلْبِ أَحَدِهِمْ فَيَهْلِكُ**»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ فِي «مُسنَدِه» مِن حَدِيثِ أَبِي الطُّفَيلِ عامِرِ بنِ واثِلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ نَحوَ ما تَقدَّم، وإِسنادُه صَحِيحٌ عَلَىٰ شرط مُسلِمٍ(٣).

ومِن إِفسَادِ المُنافِقِين أيضًا: رُجُوعُ عَبدِ اللهِ بن أُبيٍّ بثُلُثِ الجَيشِ يَومَ أُحُد وتَخذِيلُهُ النَّاسَ عَن القِتالِ مَع رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأَصحابِه؛ قَال الله تَعالَىٰ: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ**

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٨) وغيره عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنهُ به.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٦٠) وغيره عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنهُ به.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٣) (٢٣٨٤٣) وغيره من حديث أبي الطفيل رَضِيَ اللهُ عَنهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده قوي على شرط مسلم».

يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٨].

قال مُحَمَّدُ بنُ إسحاقَ: حدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن مُسلِمِ بنِ شِهَابٍ الزُّهرِيِّ ومُحَمَّدُ بنُ يَحيَىٰ بنِ حِبَّان وعاصِمُ بنُ عُمَر بنِ قَتَادَةَ والحُصَينُ بنُ عَبدِ الرَّحمَن بِن عَمرِو بن سَعدِ بنِ مُعاذٍ وغَيرُهم مِن عُلَمائِنَا، كُلُّهم قَد حَدَّث قَالُوا: خَرَج رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعنِي: حِينَ خَرَج إِلَىٰ أُحُدٍ- فِي أَلفِ رَجُل من أَصحَابه، حتَّىٰ إذا كَان بالشَّوطِ بَين أُحُد والمَدِينَة انحازَ عَنهُ عَبدُ الله بنُ أُبيٍّ بنُ سَلُول بثُلُث النَّاس فقَال: أَطاعَهُم وعَصَانِي، ووَاللهِ مَا نَدرِي عَلامَ نَقتُلُ أَنفُسَنا هَاهُنا أَيُّها النَّاسُ! فَرَجَع بمَن اتَّبَعَه من النَّاسِ من قَومِه أَهلِ النِّفاقِ وأَهلِ الرَّيبِ، واتَّبَعَهم عَبدُ الله بنُ عَمرِو بنِ حَرامٍ أَخُو بَنِي سَلِمَة يَقُول: يا قَومِ، أُذَكِّرُكُم اللهَ أَن تَخْذُلوا نَبِيَّكُم وقَوْمَكُم عِندَما حَضر عَدُوُّكم، قَالُوا: لو نَعلَمُ أَنَّكم تُقاتِلُون مَا أَسلَمناكُم، ولَكنْ لا نَرىٰ أَن يَكُون قِتالٌ، فلمَّا استَعصَوْا عَلَيهِ وأَبَوْا إلَّا الانصِرَافَ عَنهُم قَال: أَبعَدَكُم الله أَعداءَ الله! فَسَيُغنِي اللهُ عَنكُم نَبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١)

ومِن إِفسَادِ المُنافِقِين أيضًا: ما ذَكَره الله عَنهُم فِي قَولِه تَعالَىٰ: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم

---

(١) انظر: «السيرة» لابن إسحاق (ص١١٣-١١٤).

مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٧-٤٩].

وقَال تَعالَىٰ: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا﴾ [الأحزاب: ١٢ - ١٤] إِلَىٰ قَولِه: ﴿۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾ [الأحزاب: ١٨] الآيَةَ.

ومِن إِفسَادِ المُنافِقِين أيضًا: أَذِيَّتُهم لرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بالقَولِ السَّيِّئِ، واستِهزَاؤُهُم به وأَصحَابِه، كما ذَكَر الله ذَلِك عَنهُم فِي سُورَةِ بَراءَةَ، وسُورَة المُنافِقِين.

وكقَولِ عَبدِ الله بنِ أُبَيٍّ: «والله ما مَثَلُنا ومَثَلُ مُحمَّد إلَّا كَما قَال القائِلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ»(١).

وكقَولِ بَعضِهِم: «مَا رَأَينا مِثلَ قُرائِنا هَؤُلاءِ أَرغَبَ بُطونًا ولا أَكذَبَ أَلسُنًا، ولا أَجبَنَ عِندَ اللِّقاءِ» يَعنُونَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأَصحَابَه(٢).

ومِن إِفسادِ المُنافِقِين أيضًا: أَمْرُهُم بالمُنكَر ونَهيُهُم عن المَعرُوف، كَمَا ذَكَره الله عَنهُم فِي سُورَةِ بَراءَةَ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣١٢) (٣٢٢٥) وغيره عن قتادة به مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣) وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩) (١٠٠٤٦) وغيره من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وفي الباب مراسيل عن محمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة. وانظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٢٠-١٢١).

وكُلُّ هَذَا من الفَسادِ المُتَعَدِّي شَرُّه وضَرَرُه إِلَىٰ الغَيرِ.

وإِذَا كَان الأَمرُ فِي المُنافِقِين كَمَا ذَكَرْنا، مع أنَّه أَعظَمُ مِمَّا ذَكَرنا؛ بكَثيرٍ، فكَيفَ يَستَجِيز المُصنِّفُ أن يَقُول: إنَّه لم يَصدُر مِنهُم فَسادٌ أَصلًا إلَّا ما كَان فِي نُفوسِهِم من الكُفرِ القاصِرِ عَلَيهِم!

ولو قَال قائِلٌ: إنَّ الإِفسادَ الَّذِي صَدَر من المُنافِقين فِي عَصرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَعظَمُ مِمَّا صَدَر مِن مَلاحِدَة العَصرِيِّين وزَنادِقَتِهم؛ لَكَان قَولُه أَقرَب إِلَىٰ الصَّوابِ مِن قَول المُصنِّف؛ لأنَّ مَن آذَىٰ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وهمَّ بالفَتكِ بِه، وسَعَىٰ فِيمَا يُوهِن أَمْرَه لَيسَ كَمَن آذَىٰ آحادَ المُسلِمين وسَعَىٰ فِيمَا يَضُرُّهم، والله أَعلَمُ.

الوَجهُ الثَّامِنُ: مَا رَواهُ السُّدِّيُّ فِي «تَفسِيرِه» عَن أَبِي مالِكٍ وعن أَبِي صَالِحٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانِيِّ عن ابنِ مَسعُودٍ، وعن ناسٍ من أَصحَاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ**﴾ [البقرة: ١٧]: «زَعَم أنَّ أُناسًا دَخلوا فِي الإِسلامِ مَقْدَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ، ثم إنَّهُم نَافقُوا، فكَان مَثَلُهم كَمَثَلِ رَجُل كَان فِي ظُلمَةٍ فَأَوقَدَ نارًا فأَضاءَت لَهُ ما حَولَه مِن قذًىٰ أو أذًىٰ؛ فأَبصَرَه حتَّىٰ عَرَف ما يَتَّقِي، فبَينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذ طُفِئَت نَارُه فأَقبَلَ لا يَدرِي ما يَتَّقِي مِن أذًىٰ؛ فكَذَلِكَ المُنافِقُ كَان فِي ظُلمَة الشِّركِ فأَسلَم فعَرَف الحَلالَ من الحَرامِ والخَيرَ من الشَّرِّ؛ فبَينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذ كَفَر فصَارَ لا يَعرِف الحَلالَ من الحَرامِ ولا الخَيرَ من

الشَّرِّ». ورَواهُ ابنُ جَريرٍ من طَريقِ السُّدِّيِّ(١).

ورَوَىٰ -أيضًا- من طَريقِ السُّدِّيِّ عن أَبِي مالِكٍ وعَن أَبِي صَالِحٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ، وعن مُرَّة عن ابنِ مَسعُودٍ، وعن ناسٍ من أَصحَاب النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ [البقرة: ١٩] إِلَىٰ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]: «كان رَجُلانِ مِن المُنافِقِين من أهل المَدِينَةِ هَرَبًا من رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ المُشرِكِين فأَصابَهُما هَذَا المَطَرُ الَّذِي ذَكَر الله، فِيهِ رَعدٌ شَدِيدٌ وصَواعِقُ وبَرقٌ، فجَعَلَا كُلَّما أَضاءَ لَهُما الصَّواعِقُ جَعَلَا أَصابِعَهُما فِي آذانِهِما من الفَرَقِ أن تَدخُلَ الصَّواعِقُ فِي مَسامِعِهِمَا فتَقْتُلَهما، وإِذَا لَمَع البَرقُ مَشَيا فِي ضَوئِه، وإِذَا لَم يَلْمَعْ لَم يُبْصِرَا وقَامَا مَكانَهُما لا يَمشِيَان، فجَعَلَا يَقُولانِ: لَيتَنَا قَد أَصبَحنَا فنَأتِي مُحَمَّدًا فنَضَعَ أَيدِينا فِي يَدِه فأَصبَحا فأَتَياهُ فأَسلَمَا ووَضَعَا أَيدِيَهُما فِي يَدِه، وحَسُن إِسلامُهُما، فضَرَب الله شَأنَ هَذينِ المُنافِقَيْن الخارِجَيْن مَثَلًا للمُنافِقِين الَّذِين بالمَدِينَة»(٢).

وفِي هَذَين الأَثَرينِ عن حَبْرَيِ الأُمَّةِ ردٌّ لقَولِ المُصنِّف: إِنَّ المَثَلينِ المَذكُورَينِ لا يَنطَبِقان عَلَىٰ المُنافِقِين الَّذِين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

الوَجهُ التَّاسِعُ: أَنَّ الله تَعالَىٰ أَثبَتَ الإِيمانَ ثمَّ الكُفرَ للمُنافِقِين الَّذِين كَانُوا فِي عَصرِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]، وقد نَزَلت سُورَةُ المُنافِقِين فِي شَأنِ عَبدِ الله بنِ أُبَيٍّ(٣) وأَصحَابِهِ من المُنافِقِين، وفِيهَا ردٌّ لقَولِ المُصنِّفِ: إِنَّ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٣٣٧). وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٣٦٨).

(٣) أخرج البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢) وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: =

المُنافِقِين لَم يَدخُلُوا فِي الدِّينِ يَومًا ما.

ومِمَّا يَرُدُّ عَلَيهِ أيضًا: قَولُ الله تَعالَىٰ: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٦٦].

وقولُه تَعالَىٰ: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ ﴾ [التوبة: ٧٤] الآيَةَ.

الوَجهُ العاشِرُ: أنَّ المُنافِقِين فِي زَمَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا هُم السَّلَف الطَّالِحُ لجَمِيعِ المُنافِقِين بَعدَهُم إِلَىٰ يَومِ القِيامَة، فَمَا أُنزِل فِي أُولَئِكَ -وهُوَ صَالِح لِلْعمومِ- فَهُوَ عامٌّ لِمَن بَعدَهُم مِن المُنافِقِين إِلَىٰ يَومِ القِيامَة؛ لأنَّ العِبْرَة بعُمومِ اللَّفظِ لا بِخُصوصِ السَّببِ.

فلو أنَّ المُصنِّف قَال: إنَّ الآياتِ مِن أَوَّل سُورَةِ البَقَرة تَشمَلُ المُنافِقِين الَّذِين كَانُوا فِي زَمَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَن كَان بَعدَهُم من المُنافِقِين ومِنهُم مَلاحِدَة العَصرِيِّين وزَنادِقَتُهم؛ لَكَان أَولَىٰ به مِن تَبْرِئَة المُنافِقِين الأَوَّلين ممَّا نَزَل فِيهِم.

=

كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا علىٰ مَن عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقه؛ فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردتَ إلىٰ أن كذبك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقتك؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأ فقال: «**إن الله قد صدقك يا زيد**».

فصلٌ

وفِي صَفحَة (٧٥):

ذَكَر المُصنِّف ما رَواهُ أَنَسٌ[(١)] وأبو ذَرٍّ[(٢)] ورَافِعُ بنُ عَمرٍو الغِفارِيُّ[(٣)] وأَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ[(٤)] رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي وَصفِ الخَوارِجِ، وفِي كُلٍّ منها أنَّه قال: «**سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ**».

ثمَّ قَال فِي صَفحَة (٧٦) ما نَصُّه: «واعْلَمْ أنَّ الأَحادِيثَ الوارِدَةَ فِي هَؤُلاءِ المارِقِين مُشابِهَة للأَحاديثِ الوارِدَة فِي الخَوارِجِ، وهُم وإِن كَانُوا كُلُّهم خَوارِجَ عن الدِّينِ، وكُلُّهم كِلابَ النَّارِ كَمَا قَال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛ إلَّا أَنَّهُم عَلَىٰ قِسمَينِ.

فالقِسمُ المَعروفُ بِهَذا الاسمِ الخاصِّ: وَرَد وَصفُهُم بالتَّنَطُّع فِي الدِّين والغُلُوِّ فِيهِ، وأَنَّ أَحَدَنا يَحقِرُ صَلاتَهُ مع صَلاتِهِم وصِيامَهُ مع صِيامِهِم.

والقِسمُ الثَّانِي الَّذِين هُم مَلاحِدَة هَذَا العَصرِ: وَرَد فِي وَصفِهِم أَنَّهم أَحداثُ الأَسنانِ سُفَهاءُ الأَحلامِ، وأنَّ عَلامَتَهُم التَّحلِيقُ.

ولَمَّا طَلَع قَرنُ الشَّيطانِ بنَجدٍ فِي أَواخِرِ القَرنِ الحادِي عَشَر، وانتَشَرت فِتنَتُه

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٥) وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٦) (٢١٥٧١)، ومسلم (١٠٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٩) (٤٤٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٠٢) (٥٨٧٣) وغيرهما من حديث أبي ذر وعمرو الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا.

(٣) انظر التخريج السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٤) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ.

كان العُلَماء يَحمِلُون جَمِيعَ هَذِه الأحاديث عَلَيهِ وعَلَىٰ أَصحَابه؛ لأنَّه لَم يَكُن ظَهَر هَذَا النَّوعُ مِن الخَوارِجِ المَلاحِدَة.

والجَوابُ عن هَذَا مِن وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ الرِّواياتِ الوارِدَةَ فِي طُلوعِ قَرنِ الشَّيطانِ من المَشرِقِ كُلُّها عن عَبدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقَد صَرَّح فِي بَعضِها أنَّ المُرَاد بالمَشرِقِ أَرضُ العِراقِ؛ فبَطَل بذَلِكَ كُلُّ ما يتَعَلَّق به المَلاحِدَةُ عَلَىٰ أَهلِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة.

وأَنَا أَذكُر هَاهُنا جَمِيعَ الرِّواياتِ عن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ليَعلَمَ بُطلانَ ما ذَهَب إِلَيهِ المُصنِّف ومَن شَاكَلَه من المَلاحِدَة الَّذِين يَرمُون النَّجدِيِّين بِمَا لَيسَ فِيهِم.

ففي «الصَّحيحَينِ» و«مُسنَدِ الإِمَام أَحمَد» من حَدِيثِ نافِعٍ عن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه سَمِع رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُوَ مُستَقبِلُ المَشرِق يَقُول: «**أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! أَلا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»(١).

وفِي رِوَايَة لمُسلِمٍ عن نافِعٍ عن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَام عِندَ بابِ حَفصَةَ فقَالَ بِيَدِه نَحوَ المَشرِق: «**الْفِتْنَةُ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**» قَالَها مَرَّتينِ أَو ثَلاثًا. وقَالَ عُبَيدُ الله بن سَعِيد -وهُوَ أحد شيوخ مُسلِم- فِي رِوَايَتِه: «قَام رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِندَ بابِ عائِشَةَ».

ورَواهُ الإِمَام أَحمَدُ وقَالَ: «كان قائِمًا عِندَ بابِ عَائِشَةَ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩١) (٥٦٥٩)، والبخاري (٧٠٩٣)، ومسلم (٢٩٠٥) وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠٥) وأحمد (٢/ ١٨) (٤٦٧٩) وغيرهما.

وقد رَواهُ مالِكٌ وأَحمَدُ والبُخارِيُّ من حَدِيثِ عَبدِ الله بن دِينَارٍ: سَمِعتُ ابنَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُول: قَال رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -وأَشارَ بِيَدِه نَحوَ المَشرِقِ- فقَال: «**هَا إِنَّ الْفِتَنَ مِنْ هَاهُنَا! إِنَّ الْفِتَنَ مِنْ هَاهُنَا! إِنَّ الْفِتَنَ مِنْ هَاهُنَا! مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**». هَذَا لَفظُ إِحدَىٰ رِوايَاتِ أَحمَدَ(١).

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَد -أيضًا- والشَّيخانِ والتِّرمِذِيُّ من حَدِيث الزُّهرِيِّ عن سالِمٍ عن أَبِيه عن النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قَامَ إِلَىٰ جَنبِ المِنبَرِ فقَالَ: «**الْفِتْنَةُ هَاهُنَا مِن حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ** -أو قَال: **قَرنُ الشَّمسِ**-» هَذَا لَفظُ البُخارِيِّ.

ولَفظُ مُسلِمٍ: أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال وهُوَ مُستَقبِلُ المَشرِقِ: «**هَا إِنَّ الْفِتَنَةَ هَاهُنَا! هَا إِنَّ الْفِتَنَةَ هَاهُنَا! هَا إِنَّ الْفِتَنَةَ هَاهُنَا! مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**».

وفِي رِوايَةِ التِّرمِذِيِّ: قَام رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ المِنبَرِ فَقَال: «**هَاهُنَا أَرْضُ الْفِتَنِ**» وَأَشَارَ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ «**حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ** -أو: قَالَ: **قَرْنُ الشَّمْسِ**-». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيح»(٢).

ورَوَاه الإِمَام أَحمَدُ ومُسلِمٌ -أيضًا- من حَدِيثِ حَنظَلَةَ -وهُوَ ابنُ أَبِي سُفيانَ المَكِّيُّ- قَال: سَمِعتُ سَالِمًا يَقُول: سَمِعتُ ابنَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يَقُول: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُشِيرُ بِيَدِه نَحوَ المَشرِق ويَقُول: «**ها إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! هَا إِنَّ الْفِتنَة**

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٥) (٢٩)، وأحمد (٢/ ٥٠) (٥١٠٩)، والبخاري (٣٢٧٩)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٤٠) (٦٢٤٩)، والبخاري (٣٥١١)، ومسلم (٢٩٠٥)، والترمذي (٢٢٦٨) وغيرهم.

هَاهُنَا! هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! مِنْ حَيْثُ يُطْلِعُ الشَّيْطَانُ قَرْنَيْهِ». هَذَا لَفظُ أَحمَدَ(١).

وفي رِوَايَة له أُخرَىٰ عن حَنظَلَة عن سالِمِ بنِ عَبدِ الله بنِ عُمَر عن ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رَأيتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِير بِيَدِه يَؤُمُّ العِرَاقَ: «**هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا! مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**». إِسنادُهُ صَحِيح، رِجالُه كُلُّهم من رِجَالِ «الصَّحيحَين»(٢).

وفي هَذِه الرِّوايَةِ فائِدَة جَلِيلَة: وهي البَيانُ بأَنَّ مَنشَأَ الفِتَنِ من جهَة العِرَاقِ، لا مِن جِهَة نَجدٍ الَّتِي هي أَرضُ العَرَب؛ فَفِيهَا ردٌّ عَلَىٰ من زَعَم من المَلاحِدَة أَنَّ المُرَاد بذَلِكَ أَرضُ العَرَب، وسَيأتِي ما يَشهَدُ لِهَذِه الرِّوَايَة من حَدِيث عُمَر وابنِهِ وابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ورَوَاه الإِمَامُ أَحمَدُ ومُسلِمٌ -أيضًا- من حَدِيثِ عِكرِمَة بنِ عَمَّار عن سالِمٍ عن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خَرَج رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن بَيتِ عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقَالَ: «**رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**» يَعنِي: المَشرِقَ(٣).

ورَواهُ مُسلِمٌ -أيضًا- من حَدِيثِ ابنِ فُضَيلٍ عن أَبِيه قال: سَمِعتُ سالِمَ بنَ عَبدِ الله بنِ عُمَر يَقُول: يا أَهلَ العِرَاقِ، ما أَسْأَلَكُم عَنِ الصَّغِيرَة وأَرْكَبَكُم للكَبِيرَة! سَمِعتُ أَبِي عَبدَ الله بنَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُول: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا**» وأَومَأَ بيَدِهِ نجوَ المَشرِق «**مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ**». وأَنتُم يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعضٍ، وإِنَّما قَتَل مُوسَىٰ الَّذِي قَتَل مِن آلِ فِرْعَون خَطَأً؛

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠) (٤٩٨٠)، ومسلم (٢٩٠٥) وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٤٣) (٦٣٠٢) وغيره.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣) (٤٧٥١)، ومسلم (٢٩٠٥) وغيرهما.

فقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠](١).

ورَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ والبُخارِيُّ والتِّرمِذِيُّ من حَدِيث ابنِ عَونٍ عن نافِعٍ عن ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي شَامِنَا! اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي يَمَنِنَا!**» قَالُوا: وفِي نَجدِنَا. فقالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي شَامِنَا! اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي يَمَنِنَا!**». قَالُوا: وفِي نَجدِنَا. قَال: «**هُنَالِكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَمِنْهَا** -أو قَال: **بِهَا**- **يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيح غَرِيب»(٢).

ورَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ من حَدِيث عَبدِ الرَّحمَن بنِ عَطاءٍ عن نافِعٍ عن ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي شَامِنَا ويَمَنِنَا**» مَرَّتَين؛ فقَالَ رجل: وفِي مَشرِقِنا يا رَسُول الله، فقَالَ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مِنْ هُنَالِكَ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ وَلَهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ**». قَال الهَيثَمِيُّ: «رِجالُه رِجالُ الصَّحِيحِ غيرَ عَبدِ الرَّحمَن بن عطاءٍ وهُوَ ثِقَة وفِيهِ خِلافٌ لا يَضُرُّ».

وقد رَواهُ الطَّبَرانِيُّ فِي «الأَوسَطِ» ولَفظُه: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**»، وقَالَ رَجُلٌ: وفِي مَشرِقِنا يا رَسُول الله، فقَال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**»، فقَالَ رَجُل: وفِي مَشرِقِنا يا رَسُول الله؛ فقَال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا؛ إِنَّ مِنْ هُنَالِكَ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَبِهِ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الكُفْرِ، وَبِهِ الدَّاءُ الْعُضَالُ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٥) وغيره.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١١٨) (٥٩٨٧)، والبخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٥٣) وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٩٠) (٥٦٤٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٤٩) (١٨٨٩). وانظر: «المجمع» (١٠/ ٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٤٦).

ورَواهُ الإمَامُ أَحمَدُ من حَدِيث بِشرِ بنِ حَربٍ: سَمِعتُ ابنَ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنهُما يَقُول: سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا، وَيَمَنِنَا وَشَامِنَا**» ثمَّ استَقبَلَ مَطلعَ الشَّمسِ فقَالَ: «**مِنْ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرنُ الشَّيْطَانِ! مِن هَاهُنَا الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ**»(١).

وعن مالِكٍ أنَّه بَلَغه: «أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَرادَ أن يَخرُجَ إِلَىٰ العراق فقَالَ له كَعبُ الأَحبارِ: لَا تَخْرُجْ إِلَيها! فَإِنَّ بِها تِسعَةَ أَعشارِ السِّحرِ، وبِهَا الدَّاءَ العُضالَ». ذَكَره فِي «المُوطَّأ»(٢).

قال الخَطَّابِيُّ: «القَرنُ: الأُمَّة من النَّاسِ يَحدُثُون بَعدَ فَناءِ آخَرِين، وقَرنُ الحَيَّةِ: أن يُضرَبَ المَثَل فِيمَا لا يُحمَد مِن الأُمورِ».

نَقَله عَنهُ الحافِظُ ابنُ حَجَر فِي «فَتحِ البارِي»؛ قال: «وقَالَ غَيرُه: كَان أَهلُ المَشرِق يَومَئِذٍ أَهلَ كُفْرٍ؛ فأَخبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الفِتنَةَ تَكُون من تِلكَ النَّاحِيَة؛ فكَان كَمَا أَخبَرَ، وأَوَّل الفِتَن كَان مِن قِبَلِ المَشرِق فكَان ذَلِك سببًا للفُرقَةِ بَين المُسلِمين، وذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّه الشَّيطَان ويَفرَح به، وكَذَلِكَ البِدَع نَشَأت مِن تِلكَ الجِهَة.

وقال الخطابي: نَجْدٌ من جِهَة المَشرِق، ومَن كان بالمَدِينَة كان نَجْدُه بادِيَةَ العِرَاقِ ونَواحِيَها، وهِيَ مَشرِقُ أَهلِ المَدِينَة، وأَصلُ النَّجْدِ: ما ارتَفَع من الأَرضِ، وهُوَ خِلافُ الغَوْرِ؛ فإنَّه ما انخَفَضَ مِنهَا، وتِهَامَةُ كُلُّها من الغَورِ ومَكَّة مِن تِهَامَةَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٤) (٦٠٦٤) وغيره قال الأرنؤوط: «صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر بن حرب الأزدي روىٰ له النسائي وابن ماجه وفيه ضعف».

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٥) (٣٠) عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

قال الحافظُ ابنُ حَجَر: وعُرِفَ بِهذا وهَاءَ ما قَالَه الدَّاوُدِيُّ أنَّ نَجدًا من ناحِيَةِ العِراقِ؛ فإنَّه تَوَهَّم أنَّ نَجدًا مَوضِعٌ مَخصُوصٌ، ولَيسَ كَذَلِكَ، بل كُلُّ شَيءٍ ارتَفَع بالنِّسبَة إِلَىٰ ما يَلِيه يُسَمَّىٰ المُرتَفِع نَجدًا والمُنخَفِض غَورًا»[١].

قُلتُ: وقد تَقَدَّم ما رَواهُ سالِمُ بنُ عَبدِ الله بنِ عُمَر عن أَبِيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: رَأيتُ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُشِير بِيَدِه يَؤُمُّ العِراقَ: «هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا...» الحَدِيث. وهذه الرِّوايَةُ فيها تَعيِينُ المُرادِ مِمَّا أُبْهِمَ في غَيرِها مِن الرِّوايَات؛ كَقَولِهِم: «وفِي نَجدِنا»، وقَولِهِم: «وفِي مَشرِقِنا»؛ فالمُرَادُ بذَلِك كُلِّه أَرضُ العِراقِ وما يَلِيه من المَشرِق، وقَد وَقَع مِصداقُ ذَلِك فكَان قَتْلُ عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ أَيدِي أَهلِ العِراقِ ومَن مَالأَهُم مِن أَجلافِ أَهلِ مِصرَ، وبِقَتْلِه انفَتَح بَابُ الفتَنِ إِلَىٰ يَومِ القِيامَةِ[٢].

وكَانَت فِي العِرَاقِ وَقعَةُ الجَمَلِ ووَقْعَة صِفِّينَ، وفِيه قُتِلَ الحُسَين بنُ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وأَصحَابُه، وكَانَت فِيهِ -أيضًا- فِتنَةُ المُختارِ بنِ أَبِي عُبَيدٍ، وفِتنةُ الحَجَّاج بنِ يُوسُف... وغَيرُ ذَلِك مِن الفِتَن العَظِيمَة.

وكَذَلِكَ كانَت فِتنَةُ بَنِي العَبَّاسِ ودُعاتِهِم فِي العِرَاقِ وخُراسَانِ، وكَذَلِكَ فِتَن الأَهواءِ المُضِلَّة؛ فكُلُّها ظَهَرت أَوَّلَ ما ظَهَرت بأَرضِ العِرَاقِ؛ كفِتنَة الخَوارِجِ، والرَّافِضَة، والقَدَرِيَّة، والمُرجِئَة، والمُعتَزِلَة؛ والجَهمِيَّة... ثُمَّ انتَشَرت بَعدَ ذَلِك فِي أَرجاءِ الأَرضِ.

ولَم يَزَلِ العِراقُ مَوضِعَ هَرْجٍ وفِتَنٍ فِي الدِّينِ، وآخِرُ ذَلِك فِتنَةُ المَسِيحِ الدَّجَّال،

---

(١) (١٣/ ٤٧).

(٢) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٦٨ وما بعدها)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ٥٣٦)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٧٠).

وهي أَعظَمُ فِتنَة تكُون عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ.

وقَد جاء فِي بَعضِ الأَحادِيث أنَّه يَخرُج مِن العِرَاقِ، وفِي بَعضِها أنَّه يَخرُج مِن خُراسَان.

وعلىٰ هَذَا فيُحتَمَل أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرادَ بقَولِه: «**قَرْنِي الشَّيطانِ**» أَوَّلَ الفِتَن وآخِرَها وما بَينَ ذَلِكَ من الفِتَن العَظِيمَةِ.

ويُحتَمَل أنَّه أَرادَ بذَلِك فِتنَة الهَرْج وفِتنَةَ الأَهواءِ المُضِلَّةِ، والله أَعلَمُ بمُرَادِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوَجهُ الثَّانِي: أنَّ المُصنِّف أَرادَ بطُلوعِ قَرنِ الشَّيطانِ بنَجدٍ ظُهورَ الشَّيخِ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب قدَّسَ الله رُوحَه، وقد سَمَّىٰ أَهلَ نَجدٍ بالقَرنِيِّين فِي صَفحَة (٥٠ و١٢٧) من كِتَابِه.

وهَذَا من البُهتانِ والإِثمِ المُبينِ؛ لكَونِه وَصَفَهم بصِفَة ذَمِيمَة لَم تَرِدْ فِيهِم، وإِنَّما وَرَدَت فِي غَيرِهم، وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وعَن أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَهُ فِيهِ**». رَواهُ الطَّبَرانِيُّ. قَال المُنذِرِيُّ: «وإِسنادُه جَيِّد»(١).

وفِي رِوَايَة له: «**أَيّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ وهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ يُشِينُهُ**

---

(١) تقدم.

بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُذِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ».

وعن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** سَمِعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَهُ**». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَدُ وأبو دَاوُد والطَّبَرانِيُّ وزَادَ: «**وَلَيْسَ بِخَارِجٍ**»(١).

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ الله تَعالَىٰ قَال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ**﴾ [الحُجُرات: ٦]؛ وقَد زَعَم المُصنِّف فِي آخِرِ كِتَابه أنَّه من القَائِمين بالكِتَابِ والسُّنَّة، ثُمَّ خَالَفَ قَولَه بفِعْله فِي مَواضِعَ كَثِيرَةٍ من كِتَابِه، ومِنهَا هَذَا المَوضِعُ؛ حَيثُ لم يَتَثَبَّت فِي أَمرِ الشَّيخ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب وأَهلِ نَجدٍ، وتَسَرَّع إِلَىٰ وَصفِهِم بصِفَة مُضادَّة لِصِفَتِهم فِي الحَقِيقَة، ولو أنَّه تَثَبَّت فِي أَمرِ الشَّيخ والنَّجدِيِّين كَمَا تَثَبَّت عُلَماءُ الدِّينِ لَظَهَر له ما ظَهَر لَهُم من بَراءَةِ الشَّيخِ والنَّجدِيِّين مِمَّا رَماهُم به عُلَماء الزَّيغ والضَّلالِ من البُهتانِ والإِثمِ المُبينِ.

الوَجهُ الرَّابِعُ: أنَّ ظُهورَ الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ وتَجدِيدَه للدِّين فِي أَرضِ نَجدٍ كان فِي أَواخِر القَرنِ الثَّانِي عَشَرَ مِن الهِجرَة، لا فِي أَواخِر القَرنِ الحادِي عَشَر كَمَا زَعَمه المُصنِّف.

الوَجهُ الخَامِسُ: مِن فَسادِ تَصَوُّر المُصنِّف جَعْلُه تَجدِيدَ الدِّين ونَشْرَ السُّنَّة فِي البِلَادِ النَّجدِيَّة نَشرًا للفِتنَة فِيهَا، وهَذَا شَأنُ أَهلِ البِدَعِ الَّذِين نُكِسَت قُلُوبُهم فَصَارُوا يَرَون الحَقَّ فِي صُورَةِ البَاطِلِ والبَاطِلَ فِي صُورَةِ الحَقِّ، عِياذًا بالله مِن عَمَىٰ البَصِيرَة.

الوَجهُ السَّادِسُ: مِن عَجِيبِ أَمرِ المُصنِّف حُكمُه للمِصرِيِّين بالإِيمانِ،

---

(١) تقدم.

وأنَّهُم الطَّائِفَة المَنصُورة إِلَىٰ قِيامِ السَّاعة -كما تقدَّم ذِكْر ذَلِك-، وحُكمُه عَلَىٰ الإِمَامِ المُجَدِّد للدِّين بأنَّه قَرنُ الشَّيطانِ، وأنَّه نَشَرَ الفِتنَة، وتَسمِيَتُه للنَّجدِيِّين بالقَرنِيِّين، ولا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَن له أَدنَىٰ عِلمٍ ومَعرِفَة أنَّ الأَمرَ فِي كُلٍّ من الفَرِيقَين بالعَكسِ مِمَّا قَال فيه.

فأمَّا الشيخُ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب قدَّس الله رُوحَه: فإنَّه قام بالدَّعوَة إِلَىٰ الله تعالَىٰ أَتَمَّ القِيامِ؛ فجَعَل اللهُ تَعالَىٰ فِي قِيَامِه أَعظَمَ البَرَكَة، وجَدَّد الله بِهِ دِينَ الإِسلَامِ بَعد اندِرَاسِه، ونَشَر به السُّنَّة فِي أَرضِ الجَزِيرَة العَرَبِيَّة وغَيرِها وقَمَع به البِدعَة، وطَهَّر به بِلادَ نَجدٍ من أُمورِ الجاهِلِيَّة.

وكَذَلِكَ كَان أَولادُه وأَحفادُه وتَلامِيذُه، وتَلامِيذُ أَولادِه وأَحفادِه، وغَيرُهم من عُلَماء نَجدٍ الأَعلامِ، فكُلُّهم كَانُوا عَلَىٰ الصِّراطِ المُستَقِيم والمَنهَجِ القَويمِ، يَدعُون إِلَىٰ الله تَعالَىٰ عَلَىٰ بَصِيرَة ويُجاهِدُون أَهلَ الشِّركِ والبِدَع، وكُتُبُهم ورَسائِلُهم شَاهِدَة بِمَا ذَكَرْتُه عَنهُم.

وأمَّا المِصرِيُّون: فقد تَقَدَّم ما ذَكَرْناه عَنهُم مِن الافتِتَانِ بالقُبورِ، ودُعاءِ أَهلِها والالتِجَاءِ إِلَيهم فِي طَلَب الحاجَاتِ وتَفرِيجِ الكُرُباتِ وإِغاثَة اللَّهفاتِ، وأَنَّ البِدَع والخُرافاتِ وأَنواعَ المَعاصِي والمُنكَرَات كَانَت فاشِيَةً عِندَهُم بكَثرَةٍ، وأَنَّهُم نَبَذُوا حُكْمَ الشَّرِيعَة المُحَمَّدِيَّة وَراءَ ظُهورِهم واعتَاضُوا عَنها بالقَوانِينِ الوَضعِيَّة الَّتِي هي مِن حُكمِ الطَّاغُوت والجاهِلِيَّة، وأَنَّهُم افتَتَنوا بالاشتِرَاكِيَّة الخَبِيثَة، مع تَمَسُّكِهم بالتَّقالِيدِ الإِفرَنجِيَّة فِي كُلِّ جَليلٍ وحَقيرٍ من أُمورِهم... إِلَىٰ غَيرِ ذَلِك مِمَّا ذَكَرْناه ولم نَذْكُرْه مِمَّا يَطُول وَصفُه.

ومَع هَذَا يَقُول المُصنِّف عَنهُم: إنَّهُم عَلَىٰ الحقِّ، وإنَّهُم الطَّائِفَة المَنصُورَة! ويَقُول فِي الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب قدَّس الله رُوحَه: إنَّه قَرنُ الشَّيطانِ، وإنَّه نَشَر الفِتنَة، وأنَّ النَّجدِيِّين هم قَرنُ الشَّيطانِ، وهَذَا مِن قَلْبِ الحَقِيقَة وعَكْسِ القَضِيَّة فِي كُلٍّ من الفَرِيقَينِ.

وما أَشبَهَ حَالَ المُصنِّف بالَّذِين قَال الله تَعالَىٰ فِيهِم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

الوَجهُ السَّابِعُ: أنَّ المُصنِّف قَال عن العُلَماءِ: إنَّهُم كَانُوا يَحمَلِون الأَحادِيثَ الوارِدَة فِي الخَوارِج عَلَىٰ الشيخ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّاب وعلىٰ أَصحَابِه. وهَذَا الكَلام فِيهِ إِيهامٌ وتَلبِيسٌ عَلَىٰ مَن جَهِل حالَ الشَّيخِ مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب، كَمَا أنَّ فِيهِ افتِرَاءً عَلَىٰ عُلَماءِ الدِّينِ.

وجَوابُه أَن يُقالَ: أمَّا عُلَماءُ الزَّيغِ والضَّلالِ من المَفتُونِين بالقُبورِ وأَهلُ البِدَعِ والأَهواءِ ومَن شَاكَلَهم؛ فإِنَّهم قَد أَظهَروا العَداوَة للشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب وأَصحَابِه، ورَمَوْهُم بكُلِّ ما يَرَون أنَّه يَعِيبُهم ويَحُطُّ مِن قَدرِهِم، فقَالُوا كَذِبًا وزُورًا: إنَّهُم خَوارِجُ، وقَالُوا: إنَّهُم قَرنُ الشَّيطانِ، وقَالُوا: إنَّهُم نَشَروا الفِتنَة، وقَالُوا: إنَّهم يُبغِضون الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... إِلَىٰ غَيرِ ذَلِك مِمَّا بَهَتُوهم به وافتَرَوْه عَلَيهِم.

وأَمَّا عُلَماء الدِّين؛ فإِنَّهُم شَهِدُوا للشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- أنَّه أَظهَر تَوحِيدَ الله؛ وجَدَّد دِينَه ودَعَا إِلَيه، واعتَرَفُوا بعِلمِه وفَضلِه وهِدَايَتِه، وأَثنَوا عَلَيهِ نَظمًا ونَثرًا.

فمِن ذَلِك: ما قَالَه عالِمُ اليَمَن الأَميرُ مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ الصَّنعَانِيُّ(١) رَحِمَه الله تَعالَىٰ:

قِفِي وَاسْأَلِي عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سُوحَهَا ... بِهِ يَهْتَدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّدٍ الْهَادِي لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... فَيَا حَبَّذَا الْهَادِي وَيَا حَبَّذَا الْمَهْدِي
لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ ... بِلَا صَدَرٍ فِي الْحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ
وَقَدْ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ ... يُعِيدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ بِمَا يُبْدِي
وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَوَىٰ كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ فَوَافَقَ مَا عِنْدِي
وَيَعْمُرُ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ هَادِمًا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيهَا عَنِ الرُّشْدِ
أَعَادُوا بِهَا مَعْنَىٰ سُوَاعٍ وَمِثْلُهُ ... يَغُوثٌ وَوَدٌّ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وَدِّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ الْمُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
وَكَمْ عَقَرُوا فِي سُوحِهَا مِن عَقِيرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَىٰ عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مُقَبِّلٍ ... وَمُسْتَلِمِ الْأَرْكَانِ مِنْهُنَّ بِالْأَيْدِي
لَقَدْ سَرَّنِي مَا جَاءَنِي مِنْ طَرِيقِهِ ... وَكُنْتُ أَرَىٰ هَذِي الطَّرِيقَةِ لِي وَحْدِي(٢)

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، أخذ عن العلامة صلاح الأخفش وغيره. وأخذ عنه الشيخ أحمد بن محمد قاطن وغيره. من كتبه «توضيح الأفكار»، و«سبل السلام»، وغير ذلك. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف. انظر: «التاج المكلل» (ص ٤٠٦)، و«الأعلام» (٦/ ٣٨).

(٢) انظر: «ديوان الصنعاني» (١٢٩).

وقَال عالِمُ الأحساءِ حُسَينُ بنُ غَنَّامٍ[(١)] رَحِمَه الله تَعالَىٰ:

لَقَدْ رَفَعَ الْمَوْلَىٰ بِهِ رُتْبَةَ الْهُدَىٰ ... بِوَقْتٍ بِهِ يُعْلَىٰ الضَّلَالُ وَيُرْفَعُ
سَقَاهُ نَمِيرَ الْفَهْمِ مَوْلَاهُ فَارْتَوَىٰ ... وَعَامَ بِتَيَّارِ الْمَعَارِفِ يَقْطَعُ
فَأَحْيَا بِهِ التَّوْحِيدَ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ ... وَأَوْهَىٰ بِهِ مِنْ مَطْلَعِ الشِّرْكِ مَهْيَعُ
سَمَا ذِرْوَةَ الْمَجْدِ الَّتِي مَا ارْتَقَىٰ لَهَا ... سِوَاهُ وَلَا حَاذَىٰ فَنَاهَا سَمَيْدَعُ
وَشَمَّرَ فِي مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... يَشِيدُ وَيُحْيِي مَا تَعَفَّىٰ وَيَرْفَعُ
يُنَاظِرُ بِالْآيَاتِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي ... أُمِرْنَا إِلَيْهَا فِي التَّنَازُعِ نَرْجِعُ
فَأَضْحَتْ بِهِ السَّمْحَاءُ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا ... وَأَمْسَىٰ مُحَيَّاهَا يُضِيءُ وَيَسْطَعُ[(٢)]

وقَال العَلَّامة مُحَمَّد بنُ عَلِيٍّ الشَّوكانِيُّ اليَمَنِيُّ[(٣)] رَحِمَه الله تَعالَىٰ:

إِمَامُ الْوَرَىٰ عَلَّامَةُ الْعَصْرِ قُدْوَتِي ... وَشَيْخُ الشُّيُوخِ الْحَبْرِ فَرْدُ الْفَضَائِلِ
مُحَمَّدُ ذُو الْمَجْدِ الَّذِي عَزَّ دَرْكُهُ ... وَحَلَّ مَقَامًا مِنْ لُحُوقِ الْمُطَاوِلِ
عَنَيْتُ ابْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ قُدْوَةَ عَصْرِهِ ... سُلَالَةَ أَنْجَابٍ زَكِيَّ الْخَصَائِلِ

---

(١) هو حسين بن أبي بكر آل غنام، النجدي الأحسائي. الْتقىٰ بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، فدرس عليه وعلىٰ أبنائه، وقرأ عليه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وغيره، له «روضة الأفكار والأفهام»، و«العقد الثمين»، وغير ذلك، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين وألف. انظر: «عنوان المجد» (١/ ٣١٠)، و«الأعلام» (٢/ ٢٥١)، و«معجم المؤلفين» (٣/ ٣١٧).

(٢) انظر: «عنوان المجد» (١/ ١٩٣-١٩٦) لابن بشر.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، قرأ علىٰ أبيه والقاضي الحسن المغربي، وغيرهما. وأخذ عنه القاضي محمد بن حسن الشجني، وجماعة، له «نيل الأوطار»، و«البدر الطالع»، وغير ذلك، توفي سنة خمسين ومائتين وألف. انظر: «التاج المكلل» (ص ٤٣٦)، و«الأعلام» (٦/ ٢٩٨).

عَلَيْـهِ مِـنَ الـرَّحْمَنِ أَعْظَـمُ رَحْمَـةٍ ... تَبُـلُّ ثَـرَاهُ بِالضُّـحَىٰ وَالْأَصَـائِلِ
لَقَـدْ أَشْـرَقَتْ نَجْـدٌ بِنُـورِ ضِـيَائِهِ ... وَقَـامَ مَقَامَـاتِ الْهُـدَىٰ بِالـدَّلَائِلِ
إِمَـامٌ لَـهُ شَـأْنٌ كَبِيـرٌ وَرُتْبَـةٌ ... مِـنَ الْفَضْـلِ تُثْنِـي هِمَّـةَ الْمُتَطَـاوِلِ
تَـأَخَّرَ مِـيلَادًا وَفِـي حَلْبَـةِ الْعُلَـىٰ ... وَمَيْـدَانِ فَخْـرٍ سَـابِقٌ لِلْأَوَائِـلِ
وَيَـأْمُرُ بِـالْمَعْرُوفِ فِـي كُـلِّ حَالَـةٍ ... وَعَـنْ مُنْكَـرٍ يَنْهَـىٰ وَلَـيْسَ بِقَابِـلِ
وَلَـمْ يَـأْلُ جُهْـدًا فِـي نَصِـيحَةِ مُسْلِمٍ ... بِـرَأْيٍ وَتَـدْبِيرٍ وَحُسْـنِ تَعَامُـلِ
وَمِـنْ شَـأْنِهِ قَمْـعُ الضَّـلَالِ وَنَصْـرُهُ ... لِمَـنْ كَـانَ مَظْلُومًـا وَلَـيْسَ بِخَـاذِلِ
وَكَمْ كَانَ فِي الـدِّينِ الْحَنِيفِي مُجَاهِـدًا ... بِمَاضِـي سِـنَانٍ دَامِـغٍ لِلْأَبَاطِـلِ
فَلَـوْلَاهُ لَـمْ تُحْـرِزْ رَحَـىٰ الـدِّينِ مَرْكَـزًا ... وَلَا اشْـتَدَّ لِلْإِسْـلَامِ رُكْـنُ الْمَعَاقِـلِ
وَلَا كَـانَ لِلتَّوْحِيـدِ وَاضِـحُ لَاحِـبٍ ... يُقِيمُ اعْوِجَـاجَ السَّيْرِ مِنْ كُـلِّ عَـادِلِ
فَمَـا هُـوَ إِلَّا قَـائِمٌ فِـي زَمَانِـهِ ... مَقَـامَ نَبِـيٍّ فِـي إِمَاتَـةِ بَاطِـلِ

وقَال الشَّيخُ مُلَّا عِمرَان بنُ عليِّ بنِ رِضوَان(١) نَزِيلُ لِنْجَه من بِلادِ العَجَم رَحِمَه الله تَعالَىٰ، فِي رَدِّه عَلَىٰ مَن عارَضَ الشَّيخَ مُحَمَّدَ بنَ عَبدِ الوَهَّاب رَحِمه الله تَعالَىٰ:

الشَّـيْخُ شَـاهَدَ بَعْـضَ أَهْـلِ جَهَالَـةٍ ... يَـدْعُونَ أَصْـحَابَ الْقُبُـورِ الْهُمَّـدِ
تَاجًـا وَشَمْسَـانَ وَمَـنْ ضَـاهَاهُمَا ... مِـنْ قُبَّـةٍ أَوْ تُرْبَـةٍ أَوْ مَشْـهَدِ

---

(١) هو عمران بن علي بن رضوان بن مالك الحارثي الشافعي، العلامة الجليل من علماء القرن الثالث عشر الهجري من بلاد لنجه، له ديوان، ومن أشهر قصائده «البائية» وهي حول عقيدة أهل السنة والجماعة، توفي في سنة ثمانين ومائتين وألف. انظر: «الحجة تاريخ لنجه» (ص ١١٤ وما بعدها).

يَرْجُونَ مِنْهُمْ قُرْبَةً وَشَفَاعَةً ... وَيُؤَمِّلُونَ كَذَاكَ أَخْذًا بِالْيَدِ

وَرَأَىٰ لِعُبَّادِ الْقُبُورِ تَقَرُّبًا ... بِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الشَّنِيعِ الْمُفْسِدِ

مَا أَنْكَرَ الْقُرَّاءُ وَالْأَشْيَاخُ مَا ... شَهِدُوا مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي لَمْ يُحْمَدِ

بَلْ جَوَّزُوهُ وَشَارَكُوا فِي أَكْلِهِ ... مَنْ كَانَ يَذْبَحُ لِلْقُبُورِ وَيَفْتَدِي

فَأَتَاهُمُ الشَّيْخُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالنُّـ ... ـصْحِ الْمُبِينِ وَبِالْكَلَامِ الْجَيِّدِ

يَدْعُوهُمُ لِلَّهِ أَلَّا تَعْبُدُوا ... إِلَّا الْمُهَيْمِنَ ذَا الْجَلَالِ السَّرْمَدِ

لَا تُشْرِكُوا مَلَكًا وَلَا مِنْ مُرْسَلٍ ... لَا وَلَا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّدِ

فَتَنَافَرُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَيْسَ ذَا ... إِلَّا عَجِيبٌ عِنْدَنَا لَمْ يُعْهَدِ

مَا قَالَهُ آبَاؤُنَا أَيْضًا وَلَا ... أَجْدَادُنَا أَهْلُ الْحِجَا وَالسُّؤْدَدِ

إِنَّا وَجَدْنَا جُمْلَةَ الْآبَا عَلَىٰ ... هَذَا فَنَحْنُ بِمَا وَجَدْنَا نَقْتَدِي

فَالشَّيْخُ لَمَّا أَنْ رَأَىٰ ذَا الشَّأْنِ مِنْ ... أَهْلِ الزَّمَانِ اشْتَدَّ غَيْرَ مُقَلِّدِ

نَادَاهُمُ يَا قَوْمُ كَيْفَ جَعَلْتُمُ ... لِلَّهِ أَنْدَادًا بِغَيْرِ تَعَدُّدِ

قَالُوا لَهُ بَلْ إِنَّ قَلْبَكَ مُظْلِمٌ ... لَمْ تَعْتَقِدْ فِي صَالِحٍ مُتَعَبِّدِ

قَالُوا لَهُ غَشَّاشُ أُمَّةِ أَحْمَدٍ ... وَهُوَ النَّصِيحُ بِكُلِّ وَجْهٍ يَبْتَدِي

هَلْ قَالَ إِلَّا وَحِّدُوا رَبَّ السَّمَا ... وَذَرُوا عِبَادَةَ مَا سِوَىٰ الْمُتَفَرِّدِ

وَتَمَسَّكُوا بِالسُّنَّةِ الْبَيْضَا وَلَا ... تَتَنَطَّعُوا بِزِيَادَةٍ وَتَرَدُّدِ

هَذَا الَّذِي جَعَلُوهُ غِشًّا وَهُوَ قَدْ ... بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ الْكِرَامُ لِمَنْ هُدِي

مِنْ عَهْدِ آدَمَ ثُمَّ نُوحٍ هَكَذَا ... تَتْرَىٰ إِلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

وَكَذَلِكَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ... وَالتَّابِعُونَ وَكُلُّ حَبْرٍ مُهْتَدِ

مِنْهَـاجُهُمْ هَـذَا عَلَيْـهِ تَمَسَّـكُوا ... مَـنْ كَـانَ مُسْـتَنًّا بِهِـمْ فَلْيَقْتِـدِ
عَجَبًـا لِمَـنْ يَتْلُـو الْكِتَـابَ وَيَـدَّعِي ... عِلْـمَ الْحَـدِيثِ مُسَلْسَـلًا فِـي الْمُسْـنَدِ
وَيَقُـولُ لِلتَّوْحِيـدِ غِشًّـا إِنَّ ذَا ... خَطَـرٌ عَلَـىٰ مَـنْ قَالَـهُ فَلْيَشْـهَدِ
وَيُجَـدِّدُ الْإِسْـلَامَ وَالْإِيمَـانَ مُعْـ ... ـتَقِدًا بِـأَنَّ الشَّـيْخَ خَيْـرُ مُجَـدِّدِ
مَـا ذَنْبُـهُ فِـي النَّـاسِ إِلَّا أَنَّـه ... هَـدَّ الْقِبَـابَ وَتِلْـكَ سِـيرَةُ أَحْمَـدِ
لَمَّـا نَفَـىٰ الْإِطْـرَاءَ عَـنْهُمْ وَالْغُلُـوّ ... قَـالُوا أَتَيْـتَ بِـذَا الْجَفَـاءِ الْمُبْعِـدِ
لَـوْ كَـانَ حُبُّـكَ لِلنَّبِـيِّ مُحَقَّقًـا ... لَفَعَلْـتَ فَعْلَتَنَـا لَعَلَّـكَ تَهْتَـدِي
وَاللهُ قَـدْ ذَمَّ الْغُلُـوَّ فَقَـالَ يَـا ... أَهْـلَ الْكِتَـابِ بِغِلْظَـةٍ وَتَهَـدُّدِ
إِذْ قَـالَ لَا تَغْلُـوا بِنَهْـيٍ لَازِمٍ ... فِـي دِينِكُمْ فِـي الْحُكْـمِ لَـمْ يَتَـرَدَّدِ
وَكَـذَا الرَّسُـولُ نَهَـىٰ وَأَخْبَـرَ أَنَّـهُ ... فِيـهِ الْهَـلَاكُ لِرَاهِـبٍ مُتَعَبِّـدِ
عَجَبًـا لَهُـمْ لَـوْ كَـانَ فِيهِمْ مُنْصِـفٌ ... لَـرَأَىٰ الْمُحِـبَّ مُحَمَّـدًا لِمُحَمَّـدِ
مِـنْ حَيْـثُ إِنَّ الْإِتِّبَـاعَ مُقَـارِنٌ ... لِلْحُـبِّ فِـي نَـصِّ الْكِتَـابِ الْأَمْجَـدِ
قَـالُوا صَـبَأْتُمْ نَحْـوَهُ قُلْنَـا لَهُـمْ ... الْحَـقُّ شَـمْسٌ لِلْبَصِـيرِ الْمُهْتَـدِي
مَـا بَيْنَنَـا نَسَـبٌ نَمِيـلُ بِـهِ وَلَا ... حَسَـبٌ يُقَرِّبُنَـا لَـهُ بِتَـوَدُّدِ
أَيْضًـا وَلَا هُـوَ جَارُنَـا الْأَدْنَـىٰ الَّـذِي ... نَمْتَـارُ نِعْمَتَـهُ وَلَـمْ نَسْـتَرْفِدِ
لَكِنَّهَـا شَـمْسُ الظَّهِيـرَةِ قَـدْ بَـدَتْ ... لِـذَوِي الْبَصَـائِرِ فَاهْتَـدَىٰ مَن يَهْتَـدِي
فَالْعَـالِمُونَ الْعَـامِلُونَ الْمُنْصِـفُو ... نَ بِـهِ أَقَـرُّوا بِالْفَضَـائِلِ وَالْيَـدِ
لَكِـنْ قَلِيـلٌ مِـنْهُمُ فِـي عَصْـرِنَا ... كَالشَّـعْرَةِ الْبَيْضَـا بِجِلْـدٍ أَسْـوَدِ
فَـإِنِ اعْتَـرَاكُمْ فِـي الَّـذِي قَـدْ قَالَـهُ ... شَـكٌّ وَرَيْـبٌ وَاخْـتِلَافٌ يَبْتَـدِي

فَزِنُــوا بِمِيــزَانِ الشَّــرِيعَةِ قَوْلَـــهُ   تَجِــدُوهُ حَقًّــا ظَــاهِرًا لِلْمُقْتَــدِي (١)

وقَال الشَّيخُ أَحمَدُ بنُ مُحَمَّد الحِفْظِي اليَمَني -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- فِي أُرجُوزَة له:

حَرَّكَنِــي لِنَظْمِهَــا الْخَيْــرُ الَّــذِي   قَــدْ جَاءَنَــا فِــي آخِــرِ الْعَصْــرِ الْقَــذِي
لَمَّــا دَعَــا الــدَّاعِي مِــنَ الْمَشَــارِقِ   بِــأَمْرِ رَبِّ الْعَــالَمِينَ الْخَــالِقِ
وَبَعَـــثَ اللهُ لَنَـــا مُجَـــدِّدَا   مِــنْ أَرْضِ نَجْــدٍ عَالِمًــا مُجْتَهِــدَا
شَــيْخُ الْهُــدَىٰ مُحَمَّــدُ الْمُحَمَّــدِي   الْحَنْبَلِــيُّ الْأَثَــرِيُّ الْأَحْمَــدِي
فَقَــامَ وَالشِّــرْكُ الصَّــرِيحُ قَــدْ سَــرَىٰ   بَــيْنَ الْــوَرَىٰ وَقَــدْ طَغَــىٰ وَاعْتَكَــرَا
لَا يَعْرِفُــونَ الــدِّينَ وَالتَّهْلِــيلَا   وَطُــرُقَ الْإِسْــلَامِ وَالسَّــبِيلَا
إِلَّا أَسَــامِيهَا وَبَــاقِي الرَّسْــمِ   وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُــو مِــنْ أَهْــلِ الْعِلْــمِ
وَكُــلُّ حِــزْبٍ فَلَهُــمْ وَلِيجَــهْ   يَدْعُونَــهُ فِــي الضِّــيقِ لِلتَّفْرِيجَــهْ
وَمِلَّــةُ الْإِسْــلَامِ وَالْأَحْكَــامُ   فِــي غُرْبَــةٍ وَأَهْلُهَــا أَيْتَــامُ
دَعَــا إِلَــىٰ اللهِ وَبِالتَّهْلِيلَــهْ   يَصْــرُخُ بَــيْنَ أَظْهُــرِ الْقَبِيلَــهْ
مُسْتَضْــعَفًا وَمَــا لَــهُ مُنَاصِــرُ   وَلَا لَــهُ مُعَــاوِنٌ مُــوَازِرُ
فِــي ذِلَّــةٍ وَقِلَّــةٍ وَفِــي يَــدِهْ   مَهَفَّــةٌ تُغْنِيــهِ عَــنْ مُهَنَّــدِهْ
كَأَنَّهَــا رِيــحُ الصَّــبَا فِــي الرُّعْــبِ   وَالْحَــقُّ يَعْلُــو بِجُنُــودِ الــرَّبِّ
قَــدْ أَذْكَرَتْنِــي دِرَةَ لِعُمَــرِ   وَضَــرْبَ مُوسَــىٰ بِالْعَصَــا لِلْحَجَــرِ
وَلَــمْ يَــزَلْ يَــدْعُو إِلَــىٰ دِيــنِ النَّبِــي   لَــيْسَ إِلَــىٰ نَفْــسٍ دَعَــا أَوْ مَــذْهَبِ
يُعَلِّــمُ النَّــاسَ مَعَــانِي أَشْــهَدُ   أَنْ لَا إِلَــهَ غَيْــرُ فَــرْدٍ يُعْبَــدُ

---

(١) انظر: «البيان المبدي» (٣١) لابن سحمان.

مُحَمَّـــــدٌ نَبِيُّـــــهُ وَعَبْـــــدُهُ ... رَسُــــولُهُ إِلَـــيْكُمُ وَقَصْـــدُهُ

أَنْ تَعْبُــــدُوهُ وَحْـــدَهُ لا تُشْـــرِكُوا ... شَـــيْئًا بِـــهِ وَالِابْتِـــدَاعَ فَـــاتْرُكُوا

وَمَـــــنْ دَعَـــا دُونَ الْإِلَـــهِ أَحَـــدَا ... أَشْـــرَكَ بِـــاللهِ وَلَـــوْ مُحَمَّـــدَا

إِنْ قُلْــــتُمْ نَعْبُـــــدُهُمْ لِلْقُرْبَـــــهْ ... أَوْ لِلشَّـــفَاعَاتِ فَتِلْـــكَ الْكِذْبَـــهْ

وَرَبُّنَــــا يَقُــــولُ فِــــي كِتَابِــــهِ ... هَـــذَا هُـــوَ الشِّـــرْكُ بِـــلَا تَشَـــابُهِ

هَــذِي مَعَــانِي دَعْــوَةِ الشَّــيْخِ لِمَــنْ ... عَاصَــرَهُ وَاسْــتَكْبَرُوا عَــنِ السُّــنَنْ

وَبَعْـــدَمَا اسْـــتُجِيبَ لِلَّـــهِ فَمَـــنْ ... جَــادَلَ فِــي اللهِ تَــرَدَّىٰ وَافْتَــتَنْ

وَمَـــنْ أَجَـــابَ دَاعِــيَ اللهِ مَلَــكْ ... وَمَــنْ تَــوَلَّىٰ مُعْرِضًــا فَقَــدْ هَلَــكْ(١)

وثَناءُ العُلَماءِ من سائِرِ الأَمصارِ عَلَىٰ الشَّيخ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- واعتِرَافُهم بعِلْمِه وفَضلِه ونَصِيحَتِه لِلَّه ولِكِتَابِه ولِرَسُوله ولأَئِمَّة المُسلِمين وعامَّتِهِم - كثيرٌ جدًّا.

بل قَد اعتَرَف أَعداءُ الإِسلامِ والمُسلِمين من كُتَّاب النَّصارَىٰ ومُؤَرِّخِيهم أَنَّ الشَّيخَ مُحَمَّدًا وأَتباعَهُ أَرادُوا تِجدِيدَ الإِسلَامِ وإِعادَتَه إِلَىٰ ما كان عَلَيهِ فِي الصَّدرِ الأَوَّل، كَمَا سَتأتِي الإِشارَةُ إِلَىٰ ذَلِك فِي كَلامِ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا، وفِيمَا نَقَله الشَّيخُ مُحَمَّد بنُ عبد الرَّحمَن بن سَنَد عن الكاتِبِ الأَمرِيكِيِّ.

قَال مُحَمَّد رشيد رضا فِي مُقَدِّمة كِتاب «صِيانَة الإِنسانِ عن وَسوَسَة دَحْلان»(٢): «لم يَخْلُ قَرنٌ مِن القُرونِ الَّتِي كَثُرت فِيهَا البِدَع من عُلَماءَ رَبَّانِيِّين

---

(١) انظر: «الضياء الشارق» (ص٣٧) لابن السحمان.

(٢) (ص ٦).

يُجَدِّدون لِهَذِه الأُمَّة أَمرَ دِينِها بالدَّعوَة والتَّعلِيم وحُسنِ القُدوَة، وعُدولٍ يَنفُون عنه تَحرِيفَ الغالِينَ وانتِحالَ المُبطِلين وتَأوِيلَ الجَاهِلِين، كَمَا وَرَد فِي الأَحاديثِ.

ولَقَد كَان الشَّيخُ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّاب النَّجْدِي من هَؤُلاءِ العُدولِ المُجَدِّدين، قَام يَدعُو إِلَىٰ تَجرِيد التَّوحيدِ وإِخلاصِ العِبادَة لِلَّه وَحدَه بِمَا شَرَعه فِي كِتَابِه وعَلَىٰ لِسَان رَسُولِه خاتَمِ النَّبيِّين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وتَرْكِ البِدَع والمَعاصِي، وإِقامَة شَعائِر الإِسلَامِ المَتْرُوكَة، وتَعظِيم حُرُماتِه المُنتَهَكة المَنهُوكة.

فنَهَدَت لمُناهَضَته واضطِهَادِه القُوَىٰ الثَّلاثُ: قُوَّةُ الدَّولَة الحُكَّام، وقُوَّة أَنصارِها من عُلَماء النِّفاقِ، وقُوَّة العَوامِّ الطَّغامِ.

وتَصَدَّىٰ لِلطَّعنِ فِي الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب والرَّدِّ عَلَيهِ أَفرادٌ مِن أَهلِ الأَمصارِ المُختَلِفة، مِنهُم رَجُلٌ مِن أَحَد بُيوتِ العِلْم فِي بَغدادَ، قَد عَهِدْناه يَفتَخِر بأَنَّه من دُعاةِ التَّعطيلِ والإِلحَادِ.

وكان أَشهَرَ هَؤُلاءِ الطَّاعِنين مُفتِي مَكَّة المُكَرَّمة الشَّيخُ أَحمَد زِينِي دَحْلَان المُتَوفَّىٰ سَنَة (١٣٠٤) أَلَّف رِسالَةً فِي ذَلِك تَدُور جَمِيعَ مَسائِلِها عَلَىٰ قُطبَيْن اثنَيْن: قُطبُ الكَذِب والافتِرَاءِ عَلَىٰ الشَّيخِ، وقُطبُ الجَهلِ بتَخطِئَتِه فِيمَا هُوَ مُصِيبٌ فِيه.

وكنَّا نَسمَع فِي صِغَرِنا أَخبَارَ الوَهَّابِيَّة المُسْتَمَدَّة من رِسالَة دَحْلَان هَذَا ورَسائِلِ أَمثالِه فنُصَدِّقُها بالتَّبَع لمَشايِخِنا وآبَائِنا، ونُصَدِّق أنَّ الدَّولَة العُثمانِيَّة هي حامِيَةُ الدِّينِ ولأَجلِه حَارَبَتْهم وخَضَّدَتْ شَوكَتَهُم.

وأَنَا لَم أَعلَم بحَقِيقَة هَذِه الطَّائِفَة إلَّا بَعدَ الهِجرَة إِلَىٰ مِصرَ والاطِّلاع عَلَىٰ «تَارِيخِ الجَبَرْتِي» وتاريخ «الاستِقْصَا فِي أَخبارِ المَغرِب الأَقْصَىٰ»؛ فعَلِمْتُ مِنهُما

أَنَّهُم هُم الَّذِين كَانُوا عَلَىٰ هِدايَة الإِسلَامِ دُونَ مُقاتِلِيهم، وأَكَّده الاجتِماعُ بالمُطَّلِعين عَلَىٰ التَّاريخ من أَهلِها ولاسِيَّما تَوارِيخُ الإِفرِنجِ الَّذِين بَحَثُوا عن حَقِيقَة الأَمرِ فعَلِمُوها وصَرَّحوا أنَّ هَؤُلاءِ النَّاسَ أَرادُوا تَجدِيدَ الإِسلَامِ وإِعادَتَه إِلَىٰ مَا كَان عَلَيهِ فِي الصَّدرِ الأَوَّل، وإذن لَتَجَدَّد مَجدُه وعَادَت إِلَيهِ قُوَّته وحَضارَتُه، وأنَّ الدَّولَة العُثمانِيَّة ما حَارَبَتْهم إِلَّا خَوفًا مِن تَجديدِ مُلكِ العَرَب وإِعادَة الخِلافَة الإِسلامِيَّة سِيرَتَها الأُولَىٰ.

علىٰ أنَّ العَلَّامَة الشَّيخَ عَبدَ الباسِطِ الفَاخُورِيَّ مُفتِيَ بَيرُوت كَان أَلَّفَ كِتابًا فِي تَارِيخِ الإِسلَامِ(١) ذَكَر فِيهِ الدَّعوَة الَّتِي دَعَا إِلَيها الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّاب، وقَالَ: إنَّها عَينُ ما دَعَا إِلَيهِ النَّبيُّون والمُرسَلُون، ولَكِنَّه قَال: إنَّ الوَهَّابِيِّين فِي عَهدِه مُتَشَدِّدون، وقَد عَجِبْنا لَهُ كَيفَ تَجَرَّأ عَلَىٰ مَدحِهِم فِي عَهدِ السُّلطانِ عَبدِ الحَميدِ؟!

ورَأيتُ شَيخَنا مُحَمَّد عَبدُه فِي مِصرَ عَلَىٰ رَأيِهِ فِي هِدَايَة سَلَفِهم وتَشَدُّد خَلَفِهم، وأنَّه لَوْلَا ذَلِك لَكَان إِصلاحُهُم عَظِيمًا ورُجِيَ أن يَكُون عَامًّا، وقَد رَبَّىٰ المَلِكُ عَبدُ العَزيزِ غُلاتَهُم المُتَشَدِّدين مُنذُ سَنَتَيْن تَربِيَةً يُرجَىٰ أَنْ تكُون تَمهِيدًا لإِصلاحٍ عَظيمٍ.

وأنَّ عُلَماءَ السُّنَّة فِي الهِندِ واليَمَن قد بَلَغَهُم كُلُّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الرَّجُل فَبَحَثُوا وتَثَبَّتُوا كَمَا أَمَر الله تَعالَىٰ؛ فظَهَر لَهُم أنَّ الطَّاعِنِين فِيهِ مُفتَرُون لا أَمانَةَ لَهُم، وأَثنَىٰ عَلَيهِ فُحولُهم فِي عَصرِه وبَعدَ عَصرِه وعَدُّوه من الأَئِمَّة المُصلِحين

(١) بعنوان: «تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام»، انظر: «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٧١).

المُجَدِّدين للإِسلَامِ ومِن فُقهاءِ الحَدِيثِ كَمَا نَرَاه فِي كُتُبِهِم، ولا تَتَّسِع هَذِه المُقَدِّمة لِنَقْل شَيءٍ مِن ذَلِك». انتهَىٰ.

والتَّشَدُّد الَّذِي أَشارَ إِلَيهِ إنَّما وَقَع فِي بَعضِ الأَعرابِ فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ؛ فأَمَّا الحَاضِرَة وكَثيرٌ مِن البَادِيَة فكَانُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَة السَّلَفِيَّة ولَم يَكُن فِيهِم تَشَدُّد كَمَا يَزعُمُه بَعضُ النَّاس؛ فإِطلَاقُ التَّشَدُّد عَلَىٰ العُمومِ مُتعَقَّب عَلَىٰ مَن ادَّعاهُ، كَمَا لا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَن له أَدنَىٰ مَعرِفَة بحَالِ أَهلِ نَجدٍ.

وقَال مُحَمَّد رَشِيد رِضَا فِي هامِشِ «صِيانَة الإِنسان»: «مِن المَعلُوم بالتَّواتُر أنَّ الشَّيخ -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- جَدَّد الإِسلامَ فِي نَجدٍ وغَيرِ نَجدٍ».

وقَال -أيضًا- فِي مُقَدِّمة «رَسائِل العَلَّامَة الشَّيخ عَبدِ اللَّطِيف ابنِ الشَّيخِ عَبدِ الرَّحمَنِ بن حَسَنٍ ابنِ شَيخِ الإِسلام مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب رحمهم الله تَعالَىٰ»: «لا نَعرِف فِي تَارِيخ الإِسلَامِ شَعبًا دَخَل فِي جَمِيعِ الأَطوَارِ الَّتِي دَخَل فِيهَا الإِسلامُ فِي نَشأَتِهِ الأُولَىٰ: غُربَةً وجِهَادًا وهِجرَةً وحِجَاجًا وقُوَّةً، غَيرَ هَذَا الشَّعبِ النَّجدِيِّ.

فَقَد ظَهَر الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّاب فِي وَقتٍ كَانَ حَالُ أَهلِه شَرًّا مِن حَالِ المُشرِكين وأَهلِ الكِتَابِ فِي زَمَن البَعثَة، مِن شِركٍ وخُرافَاتٍ وبِدَع وضَلَالاتٍ وجَهالَةٍ غَالِبَةٍ، فَدَعا إِلَىٰ عِبَادَة الله وَحدَه والرُّجوعِ إِلَىٰ أَصلِ الإِسلَامِ الَّذِي كَان عَلَيهِ النَّبيُّ ﷺ وأَصحَابه رَضِيَ اللهُ عَنهُم؛ فعَادَاه فِي بِلَادِه الأَكثَرُون ووَالَاهُ فِيهَا الأَقَلُّون، فنَصَر الله تَعالَىٰ أَولياءَه مِن أُمراءِ آلِ سُعودٍ وأَتباعِهِم عَلَىٰ أَعدائِهِم.

ثُمَّ تَصدَّىٰ لعَداوَتِهم التُّركُ وأَعوانُهم فكَانَت الحَربُ سِجالًا بينَهُم، وعاقَبَ الله السُّعودِيِّين زمنًا ما بِمَا كان مِن تَخاذُلٍ بَينَهُم وتَقصِيرٍ فِي إِقامَة بَعضِ سُنَن الله فِي

دَولَتِهم، ثُم كَانَت العاقِبَة الحُسنَىٰ لَهُم عِندَما تَابُوا مِن ذَنبِهِم ورَجعُوا إِلَىٰ وَحدَتِهِم واعتَبَروا بقَولِ الله تَعالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وقَولِه فِي أَصحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِندَما ظَهَر عَلَيهِم المُشرِكُون فِي غَزوَة أُحُد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقَولِه تَعالَىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

امتَحَن الله النَّجدِيِّين بتَصَدِّي التُّركِ لعَداوتِهِم وتَألِيبِ العَرَب وشُرفاءِ الحِجَازِ والمِصرِيِّين عَلَيهِم لِئَلَّا يُعِيدوا مُلْكَ العَرَب وسُلطانَهُم الَّذِي سَلَبُوه مِنهُم، فحَارَبُوهم باسمِ الإِسلَامِ، ونَشَرُوا الكُتُب والفَتاوَىٰ فِي رَميِهم بالكُفرِ والابتِدَاعِ، وقَد اغتَرَّ كَثِيرُون بِمَا فَعَلُوه باسمِ الإِسلَامِ، وشَايَعَهُم عَلَيهِ أَفرادٌ وجَماعَاتٌ هُم دُونَ الخَوارِجِ الَّذِين خَرَجُوا عَلَىٰ الإِمَام أَمِيرِ المُؤمِنين الخَلِيفَة الرَّابعِ للرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفَّرُوه وتَبَرَّءوا منه، ودُونَ الَّذِين بَغَوْا عَلَيهِ وحارَبُوه مَع مُعاوِيَة، نَعَم هُم دُونَهُم عِلمًا بالدِّينِ وعَمَلًا به، بل كَفَّرهم وقَاتَلهم أَخلَاطٌ مِنهُم المُسلِم والكافِرُ والزِّندِيق والمُنافِق، وعَسْكَرٌ لا يُقِيم الصَّلَاة ولا يُؤَدِّي الزَّكاةَ، ولا يُحَرِّم ما حَرَّم اللهُ ورَسُولُه، من الخَمرِ والزِّنا واللِّواطِ وأَكلِ أَموالِ النَّاس بالبَاطِل والقِتالِ لطَاعَة الرُّؤَساء ولو فِي مَعصِيَة الله تَعالَىٰ.

بِهَذا كَان عُلَماؤُهم وأُمَراؤُهم فِي حالٍ تُشبِه حالَ مُسلِمي الصَّدرِ الأَوَّل فِي مُقاوَمَة المُشرِكِين الَّذِين يَدعُون غَيرَ الله ويَجعَلُون لله أَندادًا كالَّذِين جَاهَدَهُم

النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفِي مُقارَعَة تَارِكِي الصَّلَاةِ ومَانِعِي الزَّكاةِ كالَّذِين قاتَلَهُم أَبُو بَكرٍ الخَليفَةُ الأَوَّلُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفِي مُجالَدَة البُغاةِ كالَّذِين قاتَلَهُم الخَلِيفَة الرَّابِعُ عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفِي مُجادَلَة المُبتَدِعِين مِنَ الرَّوافِض والجَهمِيَّة كالَّذِين نَاضَلَهم الإِمَامُ أَحمَدُ وإخوانُه أَئِمَّة السُّنَّة بالحُجَّة.

فأَعادُوا نَشأَةَ الإِسلامِ العَمَلِيَّة سِيرَتَها الأُولَىٰ فِي الصَّدرِ الأَوَّل من وِلايَةٍ وبَراءَةٍ وهِجرَةٍ وجِهَادٍ بالسَّيفِ والسِّنانِ، وبالحُجَّة والبُرهانِ؛ عَلَىٰ حِينِ صَارَت النُّصوصُ الخاصَّةُ بِهَذِه الأَحوالِ مَنسِيَّةً أو كالمَنسِيَّةِ عِندَ غَيرِهم من شُعوبِ الإِسلَامِ ودُوَلِه، لا يتَعلَّق بِهَا عَمَلٌ من الأَعمالِ ولا حُكمٌ من الأَحكامِ».

وقَد عَدَّه أَحمَد أَمِين[1] فِي كتابه «يَوم الإِسلَامِ» مِن المُجَدِّدين للدِّين وقَال: كَان مِن بَنِي تَمِيم، ظَهَر فِي أَواخِر القَرنِ الثَّامِنَ عَشَر -أي المِيلادِيِّ-، وكَان أَهَمُّ مَبادِئِ إِصلاحِه الرُّجوعَ إِلَىٰ القُرآنِ الكَرِيم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة، ودافَعَ عَن مَبدَأِ الأَخذِ

(١) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع علىٰ التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته الىٰ (الطباخ). مولده ووفاته بالقاهرة. قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرَّس بها إلىٰ سنة (١٩٢١)، وتولىٰ القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عيِّن مدرسًا بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وانتخب عميدًا لها (سنة ٣٩)، وعُيِّن مديرًا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة ٤٧) واستمر إلىٰ أن توفي سنة (١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م). انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ١٠١).
ومما يجب التنبيه عليه أن أحمد أمين يردد في كتبه كلام المستشرقين، ويعتمد علىٰ كتب الأدب في تقرير الحقائق، وهو معتزلي النزعة، وأحد رءوس العقلانيين، ممن عظموا العقل حتىٰ ردوا به أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتصروا للمعتزلة ضد أهل السنة، فكن علىٰ حذر من كتاباته.

بالحَديث والاعتِمَادِ عَلَيهِ اعتِمَادًا كُلِّيًّا عَكْسَ ما فَعَله الفُقَهاء السَّابِقُون مِن أَخْذِهِم بالرَّأيِ، واقتَنَع بمَذهَب أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ فِي اعتِمَادِه عَلَىٰ الحَدِيثِ، ودَرَس مُؤَلَّفاتِ ابنِ تَيمِيَّة، وأَعادَ الرَّجمَ للزَّانِي والزَّانِيَة واكتَسَبَت تَعالِيمُه أَنصارًا كِثِيرين، وأَبطَلَ الأَضرِحَة وهَدَمها، وحَرَّم لُبسَ الحَريرِ، وأيَّ زِينَةٍ وزُخْرُفٍ فِي المَساجِدِ، كَمَا تَشَدَّد فِي تَحرِيم المُسكِرَات وتَحرِيم التَّدخِين... إِلَىٰ أن قَال: إِصلاحَاتُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّاب هي إِصلَاحَاتٌ دِينِيَّة لا دُنيَوِيَّةٍ». انتهىٰ.

وقَال مُحَمَّد رَشِيد -أيضًا- فِي مُقَدِّمة «مَجمُوعة الحَدِيثِ النَّجدِيَّةِ»: «وقَد كَان مِمَّا استَعمَلَ اللهُ بِه الشَّيخَ مُحَمَّدَ بنَ عَبدِ الوَهَّاب مُجَدِّدَ الدِّين فِي نَجدٍ وما حَولَها أَنْ أَحْيَا مُدارَسَة السُّنَّة النَّبَوِيَّة فِيهَا للاهتِدَاءِ بِهَا لا لمُجَرَّد التَّبَرُّك بأَلفَاظِها، ولا لأَجلِ الاستِقلَالِ فِيهَا دُونَ مَا كَتَب المُحَدِّثون والفُقَهاءُ فِي شَرحِها والاستِنبَاطِ مِنهَا، بل نَرَىٰ مَن هَداهُم الله تَعالَىٰ بدَعوَتِه وأَنقَذَهم مِن الجَاهِلِيَّة الَّتِي عَادَت إِلَىٰ أَكثَرِ أَهلِ جَزِيرَة العَرَب ما زَالُوا يُحْيُون كُتَب فِقهِ شَيخِ السُّنَّة الأَكبَرِ الإِمَامِ أَحمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع خِيَارِ كُتُب التَّفسيرِ والحَدِيثِ لغَيرِ الحَنابِلَة من عُلَماءِ السُّنَّة فكَانُوا مِن أَجدَرِ المُسلِمين بلَقَب أَهلِ السُّنَّة».

وقَالَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَن بنِ سَنَد[١] فِي رَدِّه عَلَىٰ الرَّاوِي العِرَاقِيِّ: «لَقَد نَهَض الشَّيخُ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّاب -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- نَهضَةً أَكْرِمْ بِهَا مِن نَهضَةٍ! وقَد بَلَغ مِن أَمرِ تِلكَ النَّهضَةِ أَنْ عَرَفها البَاحِثُون فِي عِلَل رُقِيِّ الأُمَم وانحِطَاطِها حتَّىٰ من غَيرِ عُلَماء الإِسلَامِ.

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سند (١٣٠٨- ١٣٩٨هـ) من أحفاد شيخ الكويت عثمان بن سند، انظر ترجمته في: «علماء نجد في ٨ قرون» لابن بسام (٦/ ٤٦- ٤٧).

وإِلَيكَ نَظرِيَّةَ أَحَد عُلَماء الغَربِ فِي تِلكَ النَّهضَة الإِصلَاحِيَّة الَّتِي نَهَض بها الشَّيخُ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّاب.

قال لوثروب ستودارد الأَمرِيكِيُّ فِي كتابه «حاضِرِ العالَم الإِسلامِيِّ» المُترجَم إِلَىٰ اللُّغَة العَرَبِيِّة بقَلَم الأُستاذ عَجَّاج نُويهِض -الفَصل الأَوَّل من الكِتَاب، فِي اليَقَظة الإِسلَامِيَّة-: ... فِي القَرنِ الثَّامِنَ عَشر -أي: المِيلَادِيِّ- كَان العالَمُ الإِسلامِيُّ قَد بَلَغ من التَّضَعضُع أَعظَمَ مَبلَغٍ، ومِن التَّدَلِّي والانحِطَاطِ أَعمَقَ دَرْكَة، فارْبَدَّ جَوُّه وطَبَقت الظُّلمَة كُلَّ صَقْعٍ مِن أَصقَاعِه، ورَجًا من أَرجَائِه، وانتَشَر فِيهِ فَسادُ الأَخلاقِ والآدَابِ، وتَلاشَىٰ ما كَان باقِيًا من آثَارِ التَّهذِيب العَرَبِيِّ، واستَغرَقَت الأُمَم الإِسلامِيَّة فِي اتِّباعِ الأَهواءِ والشَّهواتِ، وماتَت الفَضِيلَةُ فِي النَّاس، وسَادَ الجَهلُ وانطَفَأَت قَبَساتُ العِلمِ الضَّئِيلَة.

وانقَلَبَت الحُكومَات الإِسلَامِيَّة إِلَىٰ مَطايَا استِبدَادٍ وفَوضَىٰ واغتِيَالٍ؛ فلَيس يُرىٰ فِي العالَمِ الإِسلَامِيِّ فِي ذَلِك العَهدِ سِوَىٰ المُستَبِدِّين الغاشِمِين كسُلطانِ تُركِيَا وآخِرِ مُلوكِ المَغُولِ فِي الهِندِ يَحكُمون حُكمًا واهنًا فاشِيَ القُوَّةِ مُتَلاشِيَ الصِّبغَة، وقَام كَثيرٌ من الوُلَاةِ والأُمراءِ يَخرُجون عَلَىٰ الدَّولَة الَّتِي هُم فِي حُكمِها ويُنشِئُون حُكومَاتٍ مُستَقِلَّةً ولَكِنْ مُستَبِدَّةً كحُكُومَة الدَّولَة الَّتِي خَرَجوا عَلَيها؛ فكَان هَؤُلاءِ الخَوارِجُ لا يَستَطِيعُون إِخضَاعَ مَن فِي حُكمِهِم من الزُّعماءِ هُنا وهُناكَ، فكَثُر السَّلْب والنَّهب، وفُقِدَ الأَمنُ، وصَارَت السَّماءُ تُمطِرُ ظُلمًا وجَورًا.

وجَاء فَوقَ جَميعِ ذَلِك رِجالُ الدِّينِ المُستَبِدُّون يَزِيدُون الرَّعايَا إِرهاقًا فَوقَ إِرهاقٍ، فغُلَّت الأَيدِي، وقُعِد عن طَلَب الرِّزقِ، وكَاد العَزمُ يَتَلاشَىٰ فِي نُفوسِ المُسلِمين، وبَارَت التِّجارَة بورًا شَدِيدًا، وأُهمِلَت الزِّراعَةُ أَيَّ إِهمَالٍ.

وأمَّا الدِّينُ فقَد غَشِيَتْه غاشِيَةٌ سَودَاءُ، فأُلبِسَت الوَحدَانِيَّةُ الَّتِي علَّمَها صاحِبُ الرِّسالَة النَّاسَ سَجْفًا من الخُرافاتِ وقُشورِ الصُّوفِيَّة، وخَلَت المَساجِدُ من أَربابِ الصَّلَواتِ، وكَثُر عَدَد الأَدعِيَاءِ الجُهَلاءِ وطَوائِفِ الفُقَراء والمَساكِين يَخرُجُون من مَكانٍ إِلَىٰ مَكانٍ يَحمِلُون فِي أَعناقِهِم التَّمائِمَ والتَّعاوِيذَ والسُّبْحات، ويُوهِمُون النَّاسَ بالبَاطِلِ والشُّبُهاتِ، ويُرَغِّبُونَهم فِي الحجِّ إِلَىٰ قُبورِ الأَوَّلياء، ويُزَيِّنون للنَّاسِ التِمَاسَ الشَّفاعَة من دُفَناءِ القُبورِ.

وغابَت عن النَّاس فَضائِلُ القُرآنِ؛ فصَار يُشرَب الخَمرُ والأَفيُون فِي كُلِّ مَكانٍ، وانتَشَرت الرَّذائِل، وهُتِكَت سُتُر الحُرُمات عَلَىٰ غَيرِ خَشيَة واستِحيَاءٍ.

ونالَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ والمَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ ما نَال غَيرَهُما مِن سائِرِ مُدُن الإِسلَامِ؛ فصَارَ الحجُّ المُقدَّس الَّذِي فَرَضه الله تَعالَىٰ وفَرَضه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مَن استَطاعَهُ ضَربًا من المُستَهزَآتِ.

وعَلَىٰ الجُملَة؛ فقَد بُدِّل المُسلِمون غير المُسلِمين، وهَبَطوا مَهبِطًا بَعيدَ القَرارِ؛ فلَو عادَ صاحِبُ الرِّسالَة إِلَىٰ الأَرضِ فِي ذَلِك العَصرِ ورَأَىٰ مَا كَان يَدهَىٰ الإِسلامَ لَغَضِب وأَطلَق اللَّعنَة عَلَىٰ مَن استَحَقَّها من المُسلِمين كما يُلعَن المُرتَدُّون وعَبَدة الأَوثانِ.

وفِيمَا العالَم الإِسلامِيُّ مُستَغرِقٌ فِي هَجْعَتِه ومُدَّلِجٌ فِي ظُلمَتِه، إِذَا بِصَوتٍ قد دَوَّىٰ مِن قَلبِ صَحْراءِ شِبهِ الجَزِيرَة مَهدِ الإِسلَامِ، يُوقِظ المُؤمِنين ويَدعُوهم إِلَىٰ الإِصلاحِ والرُّجوعِ إِلَىٰ سَواءِ السَّبيلِ والصِّراطِ المُستَقِيم؛ فكَان الصَّارِخُ هَذَا الصَّوتَ إِنَّما هُوَ المُصلِح المَشهُور مُحَمَّد بن عَبدِ الوَهَّاب؛ الَّذِي أَشعَلَ نَارَ الوَهَّابِيَّة فاشتَعَلَت

واتَّقَدَت واندلَعت أَلسِنَتُها إِلَىٰ كُلِّ زَاوِيَة مِن زَوايَا العالَمِ الإِسلامِيِّ، ثُمَّ أَخذ هَذَا الدَّاعي يَحُضُّ المُسلِمين عَلَىٰ إِصلَاحِ النُّفوسِ واستِعَادَة المَجدِ الإِسلامِيِّ القَدِيمِ والعِزِّ التَّلِيدِ؛ فتبَدَّت تَباشِيرُ صُبحِ الإِسلَامِ ثُمَّ بَدَت اليَقَظة الكُبْرىٰ فِي عالَمِ الإِسلَامِ.

وُلِدَ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّاب فِي نَجدٍ الواقِعَةِ فِي قَلبِ الصَّحْراءِ العَرَبِيَّة حَوالَي سَنَةَ أَلفٍ وسَبعِمِائَةٍ مِيلادِيٍّ؛ وكانَت نَجدٌ فِي ذَلِك العَصرِ عَلَىٰ انحِطَاطِ العالَمِ الإِسلَامِيِّ وتَدَلِّيه أَنقَىٰ البُلدَان إِسلامًا وأَطهَرَ الأَقطارِ دِينًا؛ وإِذ كَانَ مُنذُ أَوَّلِ شَأنِه شَدِيدَ المَيلِ إِلَىٰ الاطِّلَاعِ والتَّفَقُّه فِي الدِّينِ، لَسَرعَان ما اشتَهَر ذِكْرُه وذَاعَ اسمُه فعُرِف بعِلمٍ وافِرٍ، قَوَّامًا عَلَىٰ التَّقوَىٰ؛ فحجَّ إِلَىٰ مَكَّة فِي أَوائِل عُمُره وطَلَب العِلمَ فِي المَدِينَة المُنَوَّرة، وساحَ إِلَىٰ كَثِيرٍ من البِلَادِ المُجاوِرَة حتَّىٰ فارِسَ، ثمَّ عادَ إِلَىٰ نَجدٍ مُشتَعِلًا غَضَبًا دِينِيًّا لِمَا رَآهُ بأُمِّ عَينِه مِن سُوءِ حالَةِ الإِسلَامِ فَصَحَت عَزِيمَتُه عَلَىٰ القِيَامِ بدَعوَة الإِصلاحِ.

فقَضَىٰ سِنينَ عَدِيدَةً راحِلًا من بِلَادٍ إِلَىٰ بِلَادٍ فِي شِبهِ الجَزِيرَة؛ فبَشَّر بالدَّعوَة مُوقِظًا النُّفوسَ، حتَّىٰ استطَاع بَعدَ جِهادٍ طَوِيلٍ أن يَجعَل مُحَمَّدَ بنَ السُّعودِ -وهُوَ أَكبَرُ أُمرَاء نَجدٍ وأَعلَىٰ زُعَمائِهِم- كَعبًا وشَأنًا يَقبَل الدَّعوَة ويَدخُل فِيهَا؛ فاكتَسَب ابنُ عَبدِ الوَهَّاب بذَلِك مَكانَةً أَدبِيَّةً عالِيَةً ومَنزِلَةً اجتِمَاعِيَّةً رَفِيعَةً وقُوَّةً حَربِيَّةً لا يُستَهان بِهَا؛ فاستَفادَ من ذَلِكَ استِفادَةً جَلِيلةً قد مَكَّنَتْه من بُلوغِ غَايَتِه وإِدرَاكِ غَرَضه.

فتكَوَّنت عَلَىٰ التَّوالِي وَحدَةٌ دِينِيَّة سِيَاسِيَّة فِي جَمِيعِ الصَّحْراء العَرَبِيَّة شَبيهَةٌ بِتِلكَ الوَحدَةِ الَّتِي أَنشأَها صاحِبُ الرِّسالَة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وفِي الواقِعِ فإِنَّ المَنهج الَّذِي نَهَجه ابنُ عَبدِ الوَهَّاب يُشبِه شَبَهًا كَبِيرًا ذَاكَ الَّذِي نَهَجه الخُلَفاء الرَّاشِدُون كأَبِي بَكرٍ وعُمَر.

ولمَّا مات سَنَة أَلفٍ وسَبعِمائة وسَبعَةٍ وثَمانِينَ -أي: مِيلادِيَّة- خَلَفه ابنُ السُّعود فكانَ خَيرَ خَلِيفَة للمُصلِح الإسلاميِّ الكَبيرِ، واقتَفَىٰ الوَهَّابِيُّون آثارَ خِلافَةِ الرَّاشِدِين، وعَلَىٰ ما كان فِي يَدِ ابنِ السُّعودِ مِن القُوَىٰ الحَربِيَّة العَظِيمَة فإن ذَلِك ما كَان لِيَصْرِفَه عَن أَن يَكُون عَلَىٰ الدَّوامِ نازِلًا عَلَىٰ رَأيِ الجَماعَة وشُورَاها، فَلَم يَمتَهِن حُرِّيَّةَ أتبَاعِهِ وبَنِي قَومِه.

وكانَت حُكومَتُه عَلَىٰ عُنفِها مَكِينَةً عادِلَةً فانقَطَع التَّعَدِّي، وأَمِن النَّاسُ السَّرِقَات، وانتَشَر الأَمنُ وسادَتِ الطُّمأنِينَة والرَّاحَة وعَكَف عَلَىٰ العِلمِ والتَّهذِيب؛ فكَان فِي كُلِّ واحَةٍ مَدرَسَةٌ، وفِي كُلِّ قَبِيلَة بَدَوِيَّة عَددٌ من المُعَلِّمين.

وبَعد أنْ أَخضَع ابنُ السُّعودِ نَجدًا وتمَّ له الأَمرُ فِي كامِلِها؛ أَخَذ يَستَعِدُّ لِيَقُوم بعَمَل أَكبَرَ، أَلَا وهُوَ إِخضَاعُ جَميعِ العالَمِ الإِسلَامِيِّ ونَشْرِ الإِصلَاحِ فِيهِ؛ فجَعَل نُصْبَ عَينَيهِ فِي المَقامِ الأَوَّل تَحرِيرَ الأَماكِن المُقَدَّسة الحِجَازِيَّة، فكَرَّ عَلَىٰ الحِجَازِ فِي صَدرِ القَرنِ التَّاسِعَ عَشَر -أي: المِيلادِيِّ- بمُقاتَلَتِه الشُّجعَان المُشتَعِلين غَيرَةً دِينِيَّة، وكان لَهُ ما أَرادَ من الاستِيلَاءِ عَلَىٰ الأَماكِنِ المُقَدَّسة، فلَم تَستَطِع قُوَّةٌ الوُقوفَ فِي وَجهِ الوَهَّابِيِّين وهُم يَحمِلُون عَلَىٰ التُّركِ، والتُّركُ فِي نَظَرِهم أَهلُ الارتِدَادِ والجُحودِ، ومُغتَصِبُو الخِلافَةِ اغتِصَابًا وحَقُّها أن تَكُون أبدًا فِي العَرَب.

وبَينَمَا كانَ ابنُ السُّعودِ سَنَة أَلفٍ وثَمانِمِائَةٍ وأَربَعَة عَشَرَ -أي: مِيلادِيَّة- يَعُدُّ العُدَّة لِفَتحِ سُورِيَّا وهِمَّتُه مَتِينَة، كان يُخَيَّل إِلَىٰ العالَمِ مِنهُ أَنَّ الوَهَّابِيِّين مُتَدَفِّقُون عَلَىٰ الشَّرقِ تَدَفُّقًا وصانِعُون ما شَاءَ الله مِن الإِصلَاحِ فِي الإِسلَامِ، غَيرَ أَنَّ ذَلِك ما قُدِّرَ لِيَكُون.

فلمَّا أَيقَن سُلطانُ تُركِيَا أنَّه لا يَستَطِيع القَضاءَ عَلَىٰ الوَهَّابِيِّين استَصرَخ بطَلًا من مَشاهِيرِ الأَبطالِ وهُوَ مُحَمَّد علي واستكفَاهُ أَمْرَ القَضاءِ عَلَيهِم، وكَان هَذَا المِقدامُ الأَلبانِيُّ سَيِّدَ مِصرَ وأَمِيرَها واقِفًا حَقَّ الوُقوفِ عَلَىٰ قُدرَةِ أُورُبَّا وشِدَّةِ بَأسِهَا وتَفوُّقِها؛ فَدَعا إِلَيهِ ضُبَّاطًا مِن أَهلِ الغَربِ فنَظَّمُوا له جَيشًا قَوِيًّا ودَرَّبُوه تَدرِيبًا عَلَىٰ الطِّرازِ الغَربِيِّ، وجَهَّزوه بمُعِدَّات الأَسلِحَة الغَربيَّة، وكَان غالِبُ هَذَا الجَيشِ مُؤَلَّفا مِن المُقاتِلَة الأَلبانِيِّين الأَشِدَّاءِ.

فسَرَعان ما أَجَاب مُحَمَّد علي نِداءَ السُّلطانِ فأَيقَنَ حِينَئِذٍ أنَّ الوَهَّابِيِّين عَلَىٰ شِدَّة غَيرَتِهم الدِّينِيَّة وحَماسَتِهم لن يَستَطِيعُوا بَعدُ الوُقوفَ بوَجهِ البَنادِق والمَدافِع الأُورُبِّيَّة يُطلِق عِيارَها جُنُود مُجَرِّبون، وما هي إلَّا مُدَّة قَصِيرَة حتَّىٰ استُرِدَّت الأَماكِنُ المُقَدَّسَة الحِجَازِيَّة ورُدَّ الوَهَّابِيُّون عَلَىٰ أَعقابِهِم فانقَلَبُوا إِلَىٰ الصَّحْراءِ، فاختَفَت الإِمبرَاطُورِيَّة الوَهَّابِيَّة الوَلِيدَة للحالِ اختِفاءً أو أُرخِي السِّتارُ عَلَىٰ الدَّورِ السِّيَاسِيِّ الوَهَّابِيِّ.

بَيْدَ أنَّ خاتِمَةَ هَذَا الدَّورِ السِّياسِيِّ كانَت فاتِحَةَ الدَّورِ الدِّينِيِّ فَقَد ظَلَّت نَجدُ بُؤرَةً تَشتَعِلُ فِيهَا نارُ الغَيرَةِ الدِّينِيَّة، ومُنبَثَقُ النُّور تَنبَعِث مِنهُ الأَشِعَّة الوَهَّاجَة إِلَىٰ كُلِّ ناحِيَةٍ مِن نَواحِي الأَرضِ.

وما فَتِئَ الوَهَّابِيُّون مُنذُ قُضِيَ عَلَىٰ قُوَّتِهِم السِّياسِيَّة يَبُثُّون رُوحَ الحَرَكة الدِّينِيَّة فِي مِئَاتِ الأُلوفِ مِن الحَجيجِ الوَافِدِين كُلَّ عامٍ إِلَىٰ مَكَّةَ والمَدِينَة مِن كُلِّ قُطرٍ من أَقطار العالَمِ الإِسلَامِيِّ، فيَقتَبِسُ هَؤُلاءِ نارًا وَهَّابِيَّة ثم يَعُودُون إِلَىٰ أَوطانِهِم يُشعِلُون بِهَا ما استَطَاعُوا إِشعَالَه فِي سَبيلِ الإِصلَاحِ.

وهَكَذا قد استَطَاعَ الوَهَّابِيُّون أَن يَبْذُروا بُذورًا تَلاهَا الاختِمَارُ الشَّديدُ للثَّورَة الدِّينِيَّة فِي كُلِّ فَجٍّ إِسلامِيٍّ، حتَّىٰ بَلَغت دَعوَتُهم الدِّينِيَّةُ أَقصَىٰ المَعمُور.

فَقَام فِي شَمالِ الهِندِ الزَّعِيمُ الوَهَّابي المغَالي السَّيِّد أَحمَد مُستَنفِرًا مُسلِمي بنجَاب، وأَنشَأَ دَولَةً وَهَّابِيَّة؛ فكَان هَذَا الزَّعِيمُ يَعُدُّ عُدَّتَه لفَتحِ سائِرِ شَمالِيِّ الهِندِ فحَالَت مَنِيَّتُه بَينَه وبَينَ ذَلِكَ، واضمَحَلَّت الدَّولَة الوَهَّابِيَّة الهِندِيَّة سَنَة أَلفٍ وثَمانِمِائَةٍ وثَلاثِينَ -أَي: مِيلادِيَّة- غَيرَ أَنَّه لمَّا جاء الإِنكلِيز يَفتَحُون البِلادَ عَانَوا الأَمَرَّينِ مِن بَقَايا النَّارِ الوَهَّابِيَّة الكامِنَة فِي الرَّمادِ، وظَلَّت هَذِه النَّار مَخبُوءَةً إِلَىٰ ما شَاء الله؛ فكانَت عامِلًا مِن عَوامِلِ الثَّورَة الهِندِيَّة، ثمَّ استَطَار مِن شَرَرِها ما تَناوَل أَفغانِسْتَان وسائِرَ القَبائِلِ الهِندِيَّة عِندَ الحُدودِ الشَّمالِيَّة الغَربِيَّة فأَشعَلَها أَيَّمَا إِشعَالٍ...

إِلَىٰ أَن قَال: فالدَّعوَةُ الوَهَّابِيَّة إِنَّما هي دَعوَةٌ إِصلاحِيَّة خالِصَةٌ بَحتَة غَرَضُها إِصلاحُ الخَرقِ ونَسْخُ الشُّبُهاتِ وإِبطالُ الأَوهامِ، ونَقضُ التَّفاسِير المُختَلِفَة والتَّعالِيقِ المُتَضارِبَة الَّتِي وَضَعها أَربابُها فِي عُصورِ الإِسلامِ الوُسطَىٰ، ودَحضُ البِدَع وعِبادَةِ الأَولِياءِ.

وعَلَىٰ الجُملَة؛ هي الرُّجوعُ إِلَىٰ الإِسلَامِ والأَخذُ به عَلَىٰ أَوَّلِه وأَصلِه، ولُبابِهِ وجَوهَرِه، أي: أَنَّها الاستِمسَاكُ بالوَحدَانِيَّة الَّتِي أَوحَىٰ الله بها إِلَىٰ صاحِبِ الرِّسالَة صافِيَةً ساذَجَةً، والاهتِدَاءُ والائتِمَامُ بالقُرآن المُنَزَّل مُجَرَّدًا.

وأَمَّا ما سِوَىٰ ذَلِك فبَاطِلٌ ولَيس فِي شَيءٍ مِن الإِسلَامِ.

ويَقتَضِي ذَلِك الاعتِصَامُ كُلَّ الاعتِصَام بأَركانِ الدِّينِ وفُروضِه وقَواعِدِ الآدابِ كالصَّلاةِ والصَّوم وغَيرِ ذَلِكَ، والكَونُ عَلَىٰ السَّذاجَة التَّامَّة فِي أَحوالِ المَعِيشَة،

وتَحرِيمُ اتِّخاذِ المَلابِسِ الحَرِيرِيَّة والتَّأَنُّق فِي الأَطعِمَة وشُربِ الخَمرِ والتَّبغِ -أي: الدخان- وغَيرِ ذَلِكَ، مِمَّا بَعضُه مِن أَسبابِ السَّرَف، وبَعضُه الآخَرُ مِن المَضارِّ المُفسِدَة لسَلامَةِ العَقلِ.

انتهىٰ ما يَقتَضِي إِيرادُه هُنا مِمَّا كَتَبه ذَلِك الأَجنَبِيُّ عن الإِسلامِ من الشَّهادَةِ الصَّحِيحَة، والاعتِرَافِ بفَضلِ نَهضَة الإِصلَاحِ الوَهَّابِيَّة الَّتِي لم تُحصَر فِي قُطرٍ من أَقطارِ الإِسلامِ ولا شَعبٍ من شُعوبِه، بل عمَّ أَصلُ نَفعِها وهِدَايَتِها سائِرَ الأَقطارِ والشُّعوبِ الإِسلامِيَّة.

فمَا أَشبَهَ ذَلِك بأَمرِ هِرَقْل قَيصَرِ الرُّومِ وأَبِي سُفيانَ القُرَشِيِّ، حِينَ اطَّلَعَ قَيصَرُ عَلَىٰ كِتابِ النَّبيِّ ﷺ الَّذي دَعاهُ به إِلَىٰ الإِسلَامِ، وجَرَت قِصَّة مُحادَثَةِ قَيصَرَ مع أَبِي سُفيانَ، وقَولُ قَيصَرَ لأَبِي سُفيانَ: «إِنْ صَدَقْتَ فَسَيملِكُ مُحَمَّدٌ ما تَحْتَ قَدَمَيَّ!»، فيَخرُج أَبُو سُفيانَ وهُوَ يَقُول: «لَقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أَبِي كَبْشَةَ! فَقد أَصبَحَ يَخافُه مَلِكُ بَنِي الأَصفرِ!»[(١)].

فمَا أَشبَهَ اللَّيلَةَ بالبارِحَةِ! فقَد اعترَف بفَضلِ الوَهَّابِيَّة وإِصلاحِ نَهضَتِها أَعداءُ الإِسلامِ مِن العُلَماء، كَمَا اعترَف قَيصَرُ بصِحَّة الرِّسالَةِ، وأَنكَرَ فَضْلَ الوَهَّابِيَّة أَدعِياءُ العِلمِ من المُسلِمين الجُغرَافِيِّين كَمَا جَحَد فَضلَ الرِّسالَة الأَقرَبُون مِن العَرَبِ، والفَضلُ ما شَهِدَت به الأَعداءُ». انتهَىٰ باختِصَارٍ من كِتابِ «البَراهِينِ الإِسلَامِيَّة عَلَىٰ إِبطالِ المَزاعِمِ الرَّاوِيَّة».

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقَال كَارْل بُرُوكِلْمان الألمانِيُّ فِي كِتابِه «تَارِيخ الشُّعوبِ الإِسلامِيَّة ما مُلَخَّصُه:

وُلِد فِي نَجدٍ المُرتَفِعَة فِي قَلبِ الجَزِيرَة مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّاب من قَبِيلَة تَمِيمٍ، ما بَينَ أَواخِرِ القَرنِ السَّابعَ عَشَر وأَوائِلِ القَرنِ الثَّامِنَ عَشَر -أي: الميلادي-؛ فَنَشأ مُحِبًّا للعِلمِ واقِفًا نَفسَه عَلَىٰ دِراسَةِ الفِقْه والشَّرِيعَة، وقَصَد إِلَىٰ عَواصِم الشَّرقِ الإِسلامِيِّ طَلَبًا للعِلمِ فِي مَدارِسِها، ودَرَس فِقهَ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ الَّذِي دافَعَ فِي شِدَّةٍ وثَباتٍ عن مَبدَأِ الأَخذِ بالحَدِيث والاعتِمَادِ عَلَيهِ اعتِمادًا كُلِّيًّا ضِدَّ نَزْعَة الفُقهاءِ السَّابِقِين إِلَىٰ الأَخذِ بالرَّأيِ، ثُم إِنَّه دَرَس مُؤَلَّفات ابنِ تَيمِيَّةَ الَّذِي كان قَد أَحيَا تَعالِيمَ ابنِ حَنبَلٍ.

والواقِعُ أَنَّ دِراسَتَه لآرَاءِ هَذينِ الإِمَامَين انتَهَت به إِلَىٰ الإِيقانِ عن أَنَّ الإِسلامَ فِي شَكلِه السَّائِد فِي عَصرِه مُشْرَب بالمَساوِئِ؛ فلمَّا آبَ إِلَىٰ بَلَدِه الأَوَّلِ سَعَىٰ أَوَّل ما سَعَىٰ إِلَىٰ أن يُعِيدَ إِلَىٰ العَقِيدَة والحَياةَ الإِسلامِيَّتَيْن صَفاءَهُما الأَصليَّ...

إِلَىٰ أن قَال: حتَّىٰ إذا انفَضَّت فَتْرَة قَصِيرَة اكتَسَبَت تَعالِيمُه أَنصارًا ومُرِيدِين، وذُكِر أَنَّه أَقامَ حدَّ الرَّجمِ، ونَهَىٰ عن لُبسِ الحَرِيرِ، وحرَّم أَيَّما تَزيِينٍ أو زَخرَفَة للمَساجِد والأَضرِحَة، بل لَقَد تَوَسَّع فِي فَهمِ التَّحريمِ الإِسلامِيِّ لمُختَلَف ضُروبِ المُسكِرِ؛ فحرَّمَ تَدخِين التَّبغِ الَّذِي أَعلَن جَمِيعُ الفُقَهاء من الحَنابِلَة وغَيرِ الحَنابِلَة مُعارَضَتُهم له أَوَّلَ دُخولِه إِلَىٰ بِلَادِ الشَّرقِ، قَال: والواقِعُ أَنَّ هَذَا المُصلِحَ لم يَكُن يَتَمَتَّع مِن خِصْبِ الأَفكارِ أو الابتِكَارِ بأَكثَرَ ممَّا كان يَتَمَتَّع به الرَّسُول نَفسُه. انتَهَىٰ المَقصُودُ من كَلامِه.

وقَالَ فِيكتُور فِينِدِي الصَّحَفي السُّوِيدي فِي مَقالٍ له مَنشورٍ فِي جَرِيدَة البِلاد عَدَد (١٩٠٤) وتاريخ (١٣) المحرم سنة (١٣٨٥هـ) ما نصُّه: ورُبَّ سائِلٍ يَسأَلُ: هل للمَملَكَة دُستُورٌ؟ فأَقُول له: نَعَم، فإِنَّ دُستُورَها هُوَ القُرآنُ، ويَرجِع الفَضلُ فِي

ذَلِك إِلَىٰ الشَّيخِ الإِمَامِ مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّاب المُصلِح الدِّينِيِّ الأَكبَرِ الَّذِي قام فِي القَرنِ الثَّامِنَ عَشَر المِيلادِيِّ بحَملَةٍ شَعْواءَ عَلَىٰ المُسلِمين المُتهاوِنِين فِي دِينِهم، والَّذِي بَينَه وبَينَ آلِ سُعُود مُنذُ ذَلِكَ التَّارِيخِ أَوثَقُ الوَشائِجِ، ويَبدُو التَّمسُّكُ بأَهدابِ الدِّينِ وبتَعالِيمِه واضِحًا فِي كُلِّ مَكانٍ وفِي مَواسِمَ مِثلِ شَهرِ الصِّيامِ فِي رَمَضانَ، أو فِي مَوسِم الحجِّ عِندَما يَفِدُ الحَجِيجُ إِلَىٰ مَكَّة مِن كُلِّ بِقَاعِ المَعمُورة».

انتَهَىٰ المَقصُود من كَلامِه.

وفِيمَا ذَكَرْته مِن ثَناءِ عُلَماء المُسلِمين وعُلَماء أَهلِ الكِتَابِ عَلَىٰ الإِمَامِ المجدد مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّاب -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- كِفايَةٌ فِي رَدِّ ما قالَهُ المُصنِّف وأَمثالُه فِيهِ من الزُّورِ والبُهتانِ، ويُعلَم من ذَلِكَ ما عَلَيهِ عُلَماء أَهلِ الكِتَابِ الَّذِين ذَكَرْنا أَقوالَهُم مِن تَحَرِّي الصِّدقِ وأَداءِ الأَمانَةِ فِيمَا كَتَبُوه عَن الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَهَّاب -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- بخِلَافِ المُصنِّف وأَمثالِه مِن أَهلِ الزَّيغِ والإِلحَادِ؛ فإِنَّهم قد كَذَبوا فِيمَا قَالُوه فِي حقِّ الشَّيخِ وأَصحَابِه، ولم يُؤَدُّوا الأَمانَةَ فِي ذَلِكَ، فبُعدًا لِمَن كَان الكُفَّارُ أَصدَقَ مِنهُم مَقالًا وأَوثَقَ فِي أَداءِ الأَمانَةِ!

فصل

وفِي صَفحَة (٧٨):

ذَكَر المُصنِّف فِي جُملَة ما أَنكَرَه عَلَىٰ المَلاحِدَة العَصرِيِّين أَنَّهُم دَقُّوا الأَبوابَ باللَّيلِ عَلَىٰ عِدَّة بُيوتٍ كان أَهلُها مُجتَمِعين لذِكْرِ الله تَعالَىٰ، وبَعضُهُم للصَّلاةِ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بـ«دَلائِلِ الخَيراتِ»(١)؛ فأَسكَتُوهم.

---

(١) كتاب «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار» من تأليف محمد بن

والجَوابُ: أن يُقالَ:

إن كان الاجتِماعُ لذِكْرِ الله تَعالَىٰ عَلَىٰ نَحوِ ما يُذكَر عن الصُّوفِيَّة مِن اجتِمَاعِ الجَماعَة ورَفْعِهم أَصواتَهُم جَمِيعًا بالتَّهليلِ؛ فهَذَا من البِدَع الَّتِي يَنبَغِي النَّهيُ عَنهَا.

وقَد أَنكَر ابنُ مَسعُودٍ وأَبُو مُوسَىٰ الأَشعرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَىٰ الَّذِين اجتَمَعوا للذِّكرِ عَلَىٰ صِفَةٍ لم يَفْعَلْها أَصحَابُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدَّ ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِعْلَهُم ذَلِك من البِدَع.

فرَوَىٰ الطَّبَرانِيُّ فِي «الكَبيرِ» عن عَمرِو بن سَلَمة قَال: «كُنَّا قُعُودًا عَلَىٰ بابِ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بينَ المَغرِب والعِشَاءِ، فأَتَىٰ أَبُو مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقَالَ: اخْرُجْ إِلَينا أَبا عَبدِ الرَّحمَن! فخَرَج ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقَال: أَبَا مُوسَىٰ، ما جاء بِكَ هَذِه السَّاعَةَ؟ قال: لَا واللهِ إِلَّا أَنِّي رَأَيتُ أَمرًا ذَعَرَنِي وإِنَّه لَخيرٌ، ولَقَد ذَعَرَنِي وإِنَّه لَخيرٌ، قَومٌ جُلوسٌ فِي المَسجدِ ورَجلٌ يَقُول: سَبِّحوا كَذَا وكَذَا، احمَدُوا كَذَا وكَذَا! قَال: فانطَلَق عَبدُ الله وانطَلَقْنا مَعَهُم حتَّىٰ أَتاهُم فقَال: مَا أَسرَعَ مَا ضَلَلْتُم وأَصحَابُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحياءٌ، وأَزوَاجُه شُوَّابٌ، وثِيابُه وأَبنِيَتُه لَم تُغيَّرْ، أَحْصُوا سَيِّئاتِكُم فأَنَا أَضمَنُ عَلَىٰ الله أن يُحصِي حَسَناتِكُم!»(١).

ورَوَىٰ الدَّارِمِيُّ عن عَمرِو بنِ يَحيَىٰ قَال: سَمِعتُ أَبي يُحَدِّث عن أَبِيه قَال: «كنَّا

=

سليمان الجزولي المتوفىٰ سنة (٨٧٠هـ)، يعدُّ من أشهر الكتب عند الصوفية، وقد اشتمل علىٰ كثير من الأمور المبتدعة والشركية، وهذا الكتاب قد حذر منه أهل العلم. انظر: «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٢/ ١٦٦).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٢٧) (٨٦٣٦).

نَجلِسُ عَلَىٰ باب عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَبلَ صَلاة الغَداةِ؛ فإذَا خَرَج مَشَينا معه إلَىٰ المَسجِدِ، فجاءَنا أَبُو مُوسَىٰ الأَشعَرِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقَالَ: أَخَرَجَ إلَيكُم أَبُو عَبدِ الرَّحمَن بَعدُ؟ قُلنَا: لَا؛ فجَلَس مَعَنا حتَّىٰ خَرَج، فلَمَّا خَرَج قُمنَا إلَيهِ جميعًا فقَالَ له أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ، إنِّي رَأيتُ فِي المَسجِدِ آنِفًا أمرًا أَنكَرْتُه ولَم أَرَ والحَمدُ لِلَّه إلَّا خيرًا، قَال: فمَا هُو؟ فقَال: إنْ عِشتَ فستَراهُ، قَال: رَأيتُ فِي المَسجِد قَومًا حِلَقًا جُلوسًا يَنتَظِرون الصَّلاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُل وفِي أَيدِيهِم حَصًىٰ؛ فيَقُول: كَبِّرُوا مِائَةً! فيُكَبِّرون مِائَةً، فيَقُول: هَلِّلُوا مِائَةً! فيُهَلِّلون مِائَةً، ويَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً! فيُسَبِّحون مِائَةً، قَال: فمَاذَا قُلتَ لَهُم: قال: مَا قُلتُ لَهُم شيئًا انتِظارَ رَأيِكَ وانتِظَارَ أَمرِكَ؛ قَال: أَفلَا أَمَرْتَهُم أَن يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِم وضَمِنْتَ لَهُم أَلَّا يَضِيعَ مِن حَسَناتِهِم شَيءٌ، ثُمَّ مَضَىٰ ومَضَينَا حتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِن تِلْكَ الحِلَقِ فوَقَف عَلَيهِم فقَال: مَا هَذَا الَّذِي أَراكُم تَصنَعُون؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَن، حَصًىٰ نَعُدُّ به التَّكبِيرَ والتَّهلِيلَ والتَّسبِيحَ، قَال: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُم فأَنَا ضامِنٌ أَلَّا يَضِيعَ مِن حَسَناتِكُم شَيءٌ، وَيْحَكُمْ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! ما أَسرَعَ هَلَكَتَكُم! هَؤُلاءِ صَحابَةُ نَبِيِّكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَوافِرُون، وهَذِه ثِيابُه لَم تَبْلَ وآنِيَتُه لَم تُكْسَر، والَّذِي نَفسِي بِيَدِه، إنَّكُم لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هي أَهدَىٰ مِن مِلَّة مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو مُفتَتِحُو بابِ ضَلالَةٍ! قَالُوا: والله يا أَبَا عَبدِ الرَّحمَن ما أَرَدْنا إلَّا الخَيرَ! قال: وكَمْ مِن مُرِيدٍ للخَيرِ لن يُصِيبَه!»(١).

ورَوَىٰ عَبدُ الله ابنُ الإمَام أَحمَد فِي «زَوائِد الزُّهدِ» والطَّبَرانِيُّ وأَبُو نُعَيمٍ فِي «الحِليَة» وأَبُو الفَرَج بنُ الجَوزِيِّ -واللَّفظُ لَهُ- عَن أَبِي البَخْتَرِي قال: «أَخبَرَ رَجُلٌ عَبدَ الله بنَ مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ قومًا يَجلِسُون فِي المَسجِد بَعدَ المَغرِب، فِيهِم رَجُلٌ

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٢٨٦) (٢١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

يَقُول: كَبِّرُوا اللهَ كَذَا وكَذَا! وسَبِّحُوا اللهَ كَذَا وكَذَا! واحمَدوا اللهَ كَذَا وكَذَا! قَال عَبدُ الله: فإِذَا رَأَيتَهُم فَعَلُوا ذَلِك فَأْتِنِي فَأَخبِرْنِي بمَجلِسِهم، فأَتاهُم فجَلَس فلمَّا سَمِعَ ما يَقُولون قام فَأَتىٰ ابنَ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجَاءَ -وكانَ رَجُلًا حَدِيدًا- فقَال: أَنَا عَبدُ الله بنُ مَسعُود! والَّذِي لا إِلَه غَيرُه، لَقَد جِئتُم بِبِدعَةٍ ظَلْمَاءَ أو لَقَد فَضَلْتُم أَصحَابَ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلمًا، عَلَيكُم بالطَّرِيق فالْزَمُوه، ولَئِنْ أَخَذْتُم يَمِينًا وشِمالًا لَتَضِلُّنَ ضَلالًا بَعِيدًا». وفِي رِوَايَة الطَّبرانِي: «فَأَمَرهم أن يَتفَرَّقُوا».

ورَوَىٰ مُحمَّد بنُ وضَّاحٍ: «أنَّ عَبدَ الله بنَ مَسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُدِّثَ أنَّ نَاسًا يُسَبِّحُون بالحَصَىٰ فِي المَسجِد، فأَتاهُم وقَد كَوَّم كُلُّ رَجُلٍ مِنهُم كَوْمَة مِن حَصًىٰ؛ فَلَم يَزَل يَحصِبُهم بالحَصَىٰ حتَّىٰ أَخرَجَهُم من المَسجِد وهُوَ يَقُولُ: لَقَد أَحْدَثْتُم بِدعَةً ظَلمَاءَ أو لَقَد فَضَلْتُم أَصحَابَ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلمًا!»(١).

وقد أَمَر الله تَعالَىٰ بإِخفَاءِ الذِّكرِ ونَهَىٰ عن رَفْعِ الصَّوتِ بذَلِك؛ فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وثَبَت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه أَنكَر رَفْعَ الصَّوتِ بالذِّكرِ ونَهَىٰ عن ذَلِكَ.

كما فِي «الصَّحيحَينِ» وغَيرِهما عن أَبِي مُوسَىٰ الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا غَزَا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيبَرَ أو قَالَ: لَمَّا تَوجَّه رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشرَفُوا

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٢٥) (٨٦٣٠)، والدارمي في «السنن» (١/ ٢٨٦) (٢١٠)، وعبد الله بن أحمد في «زوائده على الزهد» (٢٠٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٠)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١/ ٣٨) (١٦)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ١٧) وغيرهم من طرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

عَلَىٰ وادٍ فَرَفَعُوا أَصواتَهُم بالتَّكبِير: الله أَكبَرُ الله أَكبَرُ لا إِلَه إِلَّا الله! فقَالَ رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ! إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وهُوَ مَعَكُمْ**»(١).

وإِذَا عُلِمَ هَذَا؛ فالإِنكارُ عَلَىٰ الَّذِين كَانُوا يرفَعُون أَصوَاتَهُم بالذِّكرِ هُوَ الصَّوابُ، بدَليلِ ما ذَكَرْنا من الآيَةِ وحَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأَيضًا: فإِنَّ رَفْعَ الصَّوتِ بالذِّكرِ حتَّىٰ تُسمَعَ أَصواتُ الذَّاكِرِين فِي الأَسواقِ وهُم مِن داخِلِ البُيوتِ فِيهِ مُراءَاةٌ للنَّاسِ، أو هُوَ مَظِنَّةٌ للمُراءَاةِ ومُشابَهَةٌ للمُرائِين؛ والرِّياء حَرامٌ؛ لأنَّه من الشِّركِ بالله تَعالَىٰ، وقد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وما كَانَ مَظِنَّةً للرِّياءِ ومُشابَهَةِ المُرائِين، فأَقلُّ أَحوالِهِ الكَراهَة. قالَهُ شَيخُ الإِسلامِ أَبُو العَبَّاس بنُ تَيمِيَّة رَحِمَه الله تَعالَىٰ(٢).

وقد رَوَىٰ الإِمَام أَحمَدُ وأَبُو يَعلَىٰ وابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِه» والبَيهَقِيُّ فِي «شُعَب الإِيمان» عن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) وغيرهما من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٧٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٧٢) (١٤٧٧)، وأبو يعلىٰ في «المسند» (٢/ ٨١) (٧٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٩١) (٨٠٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٨٢) (٥٤٨) وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٨٨٧).

وأيضًا: فإنَّ الذِّكْرَ الَّذِي تجتَمِعُ له الصُّوفِيَّة لَم يَكُن مِن فِعْلِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا مِن فِعْلِ أَصحَابه رِضوَانُ الله عَلَيهِم أَجمَعِين.

وقد رَوَىٰ الإِمَامُ أَحمَدُ والشَّيخانِ وأبو دَاوُد وابنُ ماجَهْ عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»(١). وفِي رِوايَة لأَحمَدَ ومُسلِمٍ وللبُخارِيِّ تَعلِيقًا مَجزُومًا به: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَدُ -أيضًا- وأَهلُ السُّنَنِ وابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه» والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكه» عن العِربَاضِ بن سارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيحٌ»، وصحَّحَه الحاكِمُ ووافقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(٣).

وقال **حُذَيفَةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ عِبادَة لا يَتَعَبَّدُها أَصحَابُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٠) (٢٦٣٧٢)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤) وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٦) (٢٥١٧١)، والبخاري (٣/ ٦٩) معلقًا، ومسلم (١٧١٨) وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ١٧٨) (٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٥) (٣٣٠) وغيرهم من حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

فَلَا تَعَبَّدُوها؛ فإنَّ الأَوَّلَ لم يَدَعْ للآخِرِ مَقالًا، فاتَّقوا اللهَ يا مَعشَرَ القُرَّاءِ وخُذُوا مِمَّن كَان قَبلَكُم».

وقَالَ ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«اتَّبِعُوا ولا تَبتَدِعُوا فقَد كُفِيتُم، كُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»**. رَواهُ الدَّارِمِي وابنُ وَضَّاحٍ.

وفِي رِوايَةٍ لابنِ وَضَّاحٍ: عن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّه قال:** «اتَّبِعوا آثَارَنا ولا تَبتَدِعُوا فَقد كُفِيتُم».

ورَوَىٰ ابنُ وَضَّاحٍ -أيضًا- عن حُذَيفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «اتَّبِعُوا سُبُلَنا، ولَئِن اتَّبَعتُمُونا لَقَد سَبَقْتُم سَبقًا بَعِيدًا، ولَئِن خَالَفْتُمونا لَقَد ضَلَلْتُم ضَلالًا بَعيدًا»[١].

ولَقَد ذُكِر عن بَعضِ الصُّوفِيَّة أَنَّهُم كَانُوا يَبتَدِئُون الذِّكرَ بقَولِ: لا إِلَه إلَّا الله، ثم يَقتَصِرون عَلَىٰ الاسمِ المُفرَدِ فيَقُولُون: الله الله، ثُمَّ يَعدِلُون عن ذَلِك إِلَىٰ المُضْمَرِ فيَقُولُون: هُو هُو، ويَزعُمُون أنَّ الإتيَانَ بـ: لَا إِلَه إلَّا الله تامَّةً هُوَ ذِكْرُ العامَّةِ، وأنَّ الاقتِصَارَ عَلَىٰ الاسمِ المُفرَدِ هُوَ ذِكْرُ الخاصَّة، وأنَّ الاقتِصَار عَلَىٰ الاسمِ المُضمَرِ هُوَ ذِكرُ خاصَّةِ الخاصَّةِ.

وهَذَا مِن تَلاعُبِ الشَّيطانِ بِهِم، وفاعِلُ هَذَا يَنبَغِي زَجْرُه عَنهُ، وإن أَصَرَّ عَلَىٰ المُخالَفَة فيَنبَغِي أن يُؤَدَّبَ بِمَا يَردَعُه عن هَذِه البِدعَة، فإنَّ الاقتِصارَ عَلَىٰ الاسمِ المُفرَد أو عَلَىٰ المُضمَرِ لَيسَ بذِكْرٍ مَشرُوعٍ، وإنَّما هُوَ من بِدَعِ الصُّوفِيَّة.

قَال شَيخُ الإسلامِ أَبُو العَبَّاسِ بنُ تَيمِيَّة رَحِمَه الله تَعالَىٰ: «ومِن هَؤُلاءِ مَن يُرَجِّح

---

(١) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٥) وغيره من طرق عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

الاسمَ المُفردَ -كقَولِه: الله الله الله!- عَلَىٰ كَلِمَة الإخلاصِ التَّامَّة وهي قَول: لا إِلَه إِلَّا الله، ومِنهُم مَن يُرَجِّح ذِكْرَ المُضمَر -وهُوَ قَول: هُو هُو، أو: يا هُوَ- عَلَىٰ الاسمِ المُظهَر، وهَذَا كُلُّه من الغَلَط الَّذِي سَبَبُه فَسادُ كَثيرٍ من السَّالِكِين حتَّىٰ آلَ الأَمرُ ببَعضِهِم إِلَىٰ الحُلولِ والاتِّحادِ.

وكُلُّ ذِكْرٍ عَلَّمَه الرَّسُولُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّته أو قَالَه إِنَّما هُوَ بالكَلامِ التَّامِّ لا بالاسمِ المُفرَد ولا بالمُضمَرِ»(١). انتهىٰ.

والصَّلاةُ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدَلائِلِ الخَيراتِ بِدعَةٌ أَحْدَثَها أَهلُ الغُلُوِّ والإِطرَاءِ الَّذِي نَهَىٰ عَنهُ رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقَولِه: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**». مُتَّفَق عَلَيهِ من حَدِيث عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

وقد قَال الأَميرُ مُحَمَّد بنُ إِسماعِيلَ الصَّنعانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَصِيدَتِه الَّتِي مَدَح بِهَا شَيخَ الإِسلامِ مُحَمَّدَ بنَ عَبدِ الوَهَّاب رَحِمَه الله تَعالَىٰ:

وَحَــرَّقَ عَمْــدًا للــدَّلائِلِ دفْتَــرًا ... أَصَــابَ فَفِيهَــا مَـا يَجِـلُّ عَـنِ الْعَـدِّ
غُلُــوٌّ نَهَــىٰ عَنْــهُ الرَّسُــولُ وَفِرْيَــةٌ ... بِـلا مِرْيَـةٍ فَاتْرُكْـهُ إِنْ كُنْـتَ تَسْـتَهْدِي
أَحَادِيــثُ لا تُعْـزَىٰ إِلَــىٰ عَــالِمٍ فَــلا ... تُسَـاوِي فِلْسًـا إِنْ رَجَعْـتَ إِلَـىٰ النَّقْـدِ
وَصَــيَّرَهَا الْجُهَّــالُ لِلــذِّكْرِ ضَــرَّةً ... تَـرَىٰ دَرْسَـهَا أَزْكَـىٰ لَـدَيْهَا مِـنَ الْحَمْـدِ
لَقَــدْ سَــرَّنِي مَــا جَــاءَنِي مِــنْ طَرِيقِــهِ ... وَكُنْتُ أَرَىٰ هَذِي الطَّرِيقَةَ لِي وَحْدِي

(١) انظر: «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) وغيره من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ إنَّ رَفْعَ الصَّوتِ بالصَّلاةِ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بِدعَة أُخرَىٰ.

قَال شَيخُ الإِسلامِ أَبُو العَبَّاسِ بنُ تَيمِيَّة رَحِمَه الله تَعالَىٰ: «اتَّفَق المُسلِمون عَلَىٰ أنَّ الصَّلَاة عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والدُّعاءَ كُلَّه سِرًّا أَفضَلُ، بل الجَهرُ ورَفعُ الصَّوتِ بالصَّلاةِ بِدعَةٌ»(١). انتَهىٰ.

ورَوَىٰ مُحَمَّدُ بنُ وَضَّاحٍ عن يُونُس بنِ عُبَيد قَال: «كَانُوا يَجتَمِعُون فأَتاهُم الحَسَن(٢) فقَالَ له رَجُل: يا أَبَا سَعِيد، ما تَرَىٰ فِي مَجلِسِنَا هَذَا؟ قَومٌ مِن أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ لا يَطعَنُون عَلَىٰ أَحدٍ، نَجتَمِع فِي بَيتِ هَذَا يَومًا وفِي بَيتِ هَذَا يومًا، فنَقرَأُ كِتابَ الله ونَدعُو رَبَّنا ونُصَلِّي عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ونَدعُو لأَنفُسِنا ولعَامَّة المُسلِمين؟ قَال: فنَهَىٰ عن ذَلِك الحَسَنُ أَشَدَّ النَّهيِ»(٣).

وإذا عُلِمَ هَذَا؛ فالصَّوابُ المَنعُ من الصَّلاة عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بدَلائِل الخَيراتِ ومن رَفعِ الصَّوتِ بالصَّلاةِ عَلَيهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ لأنَّ ذَلِك بِدعَة والبِدَع لا يَجُوز إِقرَارُها.

فصلٌ

وفِي صَفحَة (٩٨):

أَورَد المُصنِّف هَؤُلاءِ الآياتِ: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ

---

(١) انظر: «المستدرك على مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٩٣).

(٢) يعني الحسن البصري، وقد مرت ترجمته.

(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٢٦) وغيره عن الحسن به.

سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦]، ثمَّ جَزَم أَنَّها مِمَّا نَزَل فِي مَلاحِدَة العَصرِيِّين دُونَ غيرِهم، قَال: «وإنْ ظَنَّ كَثيرٌ من أَهلِ التَّفسيرِ أَنَّها نَزلت فِي الحَرُورِيَّة».

والجَوابُ: أَن يُقالَ:

إنَّ الآيَةَ عامَّةٌ لليَهُود والنَّصارَىٰ والحَرُورِيَّة وغيرَهم مِمَّن كان يَعبُد اللهَ تَعالَىٰ عَلَىٰ غَيرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ، ويَدخُل فِي عُمومِها مَلاحِدَة العَصرِيِّين وغيرُهم مِمَّن يَحسَب أنَّه مُصِيبٌ فِي عَمَلِه وهُوَ مُخطِئٌ فِيهِ.

وقد رَوَىٰ البُخارِيُّ فِي «صَحِيحِه» عن سَعدِ بن أَبِي وقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قَال: «هُم اليَهُود والنَّصارَىٰ»(١).

ورُوِي مِثلُه عن ابنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا(٢).

وقَالَ عليُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والضَّحَّاك وغَيرُ واحِدٍ: «هُم الحَرُورِيَّة»(٣).

قَال ابنُ كَثيرٍ(٤) رَحِمَه الله تَعالَىٰ: «ومَعنَىٰ هَذَا عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ هَذِه الآيَةَ الكَرِيمَةَ تَشمَلُ الحَرُورِيَّةَ كَمَا تَشمَلُ اليَهُودَ والنَّصارَىٰ وغَيرَهُم، لا أَنَّها نَزَلَت فِي

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٨) وغيره عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٠)، و«التفسير البسيط» (١٤/ ١٦٤) للواحدي، و«معالم التنزيل» (٥/ ٢١٠).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٨٠)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٢٥).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٠٢).

هَؤُلاءِ عَلَىٰ الخُصوصِ ولا هَؤُلاءِ، بل هِيَ أَعَمُّ مِن هَذَا؛ فإنَّ هَذِه الآيَةَ مَكِّيَّةٌ قبلَ خِطابِ اليَهُود والنَّصارَىٰ وقَبلَ وُجودِ الخَوارِجِ بالكُلِّيَّةِ، وإنَّما هي عامَّةٌ فِي كُلِّ مَن عَبَدَ الله عَلَىٰ غَيرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَحسَب أنَّه مُصِيب فِيهَا وأنَّ عَمَلَه مَقبُولٌ وهُوَ مُخطِئٌ وعَمَلُه مَردودٌ، كَمَا قَال تَعالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]».

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (١٠١) ذَكَر المُصنِّف المَارِقِين من العَصرِيِّين وقَالَ ما نَصُّه:

«حتَّىٰ صارَ المُؤمِن يَمشِي فِيهِم مُختَفِيًا لاسِيَّما إذا كان ذاكِرًا لِلَّه تَعالَىٰ أو حامِلًا لِسُبْحَة فِي عُنُقِه».

والجَوابُ: أن يُقالَ:

لَيسَ حَمْلُ السُّبحَةِ فِي العُنُق من أَفعالِ المُؤمِنين، وإِنَّما هُوَ من أَفعالِ الصُّوفِيَّة المُبتَدِعِين.

ولا يَجُوز حَمْلُ السُّبْحَة فِي العُنُق لأُمورٍ ثَلاثَةٍ:

الأَوَّل: أنَّه من مُحدَثاتِ الأُمورِ الَّتِي حَذَّر مِنهَا رَسُول الله ﷺ أُمَّتَه؛ فقَالَ فِي حَدِيث العِربَاضِ بنِ سَارِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ**

الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رَواهُ الإِمَامُ أَحمَد وأَهلُ السُّنَن، وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيحٌ»، وصَحَّحه ابنُ حِبَّان والحاكِمُ ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصه».

ورَوَىٰ الإِمَام أَحمَدُ -أيضًا- والشَّيخانِ وأَبُو دَاوُد وابنُ ماجَهْ عن عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**. وفِي رِوايَة لأَحمَد ومُسلِم والبُخارِيِّ تَعلِيقًا مَجزُومًا به: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**؛ أي: مَردُودٌ.

الثَّانِي: أنَّ فِي حَملِها فِي العُنُق مُشابَهَة النِّساءِ؛ لأنَّ تَعلِيقَ القَلائِد فِي الرِّقابِ مِن أَفعالِهِن، وقَد لَعَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَشَبِّهين من الرِّجالِ بالنِّساء فِي عِدَّة أَحادِيثَ(١) لَيسَ هَذَا مَوضُوعَ ذِكْرِها.

الثَّالِثُ: أنَّ فِي تَعلِيقِها فِي العُنُق مُراءَاةً لِلنَّاسِ، أو هُوَ مَظِنَّةٌ للمُراءَاةِ ومُشابَهَةٌ للمُرائِين؛ والرِّياء شِركٌ، وما كَان مَظِنَّةً للمُراءَاةِ ومُشابَهَةِ المُرائِين فأَقَلُّ أَحوالِهِ الكَراهَةُ.

والمَشرُوع عَدُّ التَّسبيحِ بالأَصابعِ لا بالسُّبحَةِ.

قَال شَيخُ الإِسلامِ أبو العَبَّاس بنُ تَيمِيَّة رَحِمَه الله تَعالَىٰ: «عَدُّ التَّسبِيح بالأَصابع سُنَّة، كَمَا قَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنِّساء: **«سَبِّحْنَ واعْقِدْنَ بِالْأَصَابِعِ؛ فَإِنَّهُنَّ**

---

(١) منها: ما أخرجه البخاري (٥٨٨٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ».

مَسْئُولاتٌ وَمُسْتَنْطَقَاتٌ»(١).

وأما عَدُّه بالنَّوَىٰ والحَصَىٰ ونَحوُ ذَلِك فحَسَنٌ، وكَان من الصَّحابَة مَن يفعل ذَلِك.

وقد رَأَىٰ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَّ المُؤمِنين تُسَبِّح بالحَصَىٰ وأَقَرَّها عَلَىٰ ذَلِك(٢).

ورُوِي أنَّ أَبَا هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُسَبِّحُ بِهِ(٣).

وأمَّا التَّسبِيحُ بِمَا يُجعَل فِي نِظَامٍ مِن الخَرْزِ ونَحوِه؛ فمِنَ النَّاس مَن كَرِهَه، ومِنهُم مَن لَم يَكْرَهْه، وإِذَا أُحْسِنَت فِيهِ النِّيَّة فَهُوَ حَسَن غَيرُ مَكرُوهٍ، وأمَّا اتِّخاذُه فِي اليَدِ أو نَحوِ ذَلِك؛ فهَذَا إِمَّا رِياءٌ للنَّاس أو مَظِنَّةُ المُراءَاةِ ومُشابَهَةِ المُرائِين مِن غَيرِ حاجَةٍ، والأَوَّل مُحَرَّم والثَّانِي أَقَلُّ أَحوالِه الكَرَاهَة؛ فإنَّ مُراءَاةَ النَّاس فِي العِبادَةِ المُختَصَّة كالصَّلاةِ والصِّيامِ والذِّكْر وقِراءَةِ القُرآنِ مِن أَعظَمِ الذُّنوبِ»(٤). انتَهَىٰ.

ورَوَىٰ مُحَمَّد بنُ وَضَّاحٍ عن الصَّلْتِ بنِ بِهْرَامَ قَال: «مرَّ ابنُ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بامرَأَةٍ مَعَها تَسبِيحٌ تُسَبِّح بِه فَقَطَعَه وأَلقَاهُ، ثُمَّ مَرَّ برَجُلٍ يُسَبِّح بحَصًىٰ فَضَرَبَه برِجْلِه ثم قَال: لَقَد سَبقْتُم! رَكِبْتُم بِدعَةً ظَلْمَاءَ أو لَقَد غَلَبْتُم أَصحَابَ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلمًا!»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣) وغيرهما من حديث يُسيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢٣١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٤) وغيره من حديث صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قال الألباني: «منكر». انظر: «ضعيف سنن الترمذي» (ص٤٦٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٨٣) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف.

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٥٠٦).

(٥) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١/ ٤٠) (٢١) وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وروى ابنُ وَضَّاحٍ -أيضًا- عن أَبَانَ بنِ أبي عَيَّاشٍ قَال: «سَأَلْتُ الحَسَن عن النِّظامِ مِن الخَرْزِ والنَّوىٰ ونَحوِ ذَلِك يُسَبِّحُ بِهِ، فقَال: لَم يَفْعَلْ ذَلِك أَحَد مِن نِسَاءِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا المُهاجِرَاتُ، وبَلَغَنِي أنَّ ابنَ مَسعُودٍ مرَّ عَلَىٰ رَجُل وهُوَ يَقُول لأَصحَابه: سَبِّحُوا كَذَا وكَبِّرُوا كَذَا وهَلِّلُوا كَذَا! قَال ابن مَسعُود: عَلَىٰ الله تَعُدُّونَ أو عَلَىٰ الله تُسَمِّعُونَ! قَد كُفِيتُم الإِحصَاءَ والعَدَّةِ! قَال أَبانُ: فقُلتُ للحَسَن: فإنْ سَبَّح الرَّجُل وعَقَد بِيَدِه؟ قَال: لا أَرَىٰ بذَلِك بأسًا»(١).

فَصْلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (١٠٧) ما نَصُّه:

«ومِمَّا ظَهَر وشَاعَ فِي هَذَا الزَّمانِ مِن مَقالاتِ الكُفَّار الَّتِي رَوَّجها هَؤُلاءِ المارِقُون مَقَالَة دَارْوِين: النُّشوءَ والارتِقَاءَ، وأنَّ الإِنسانَ أَصلُه قِردٌ، وقد أَشارَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ هَذِه المَقالَةِ وبُطلانِهَا فِي الحَدِيثِ الصَّحيحِ المُخرَّج فِي الصَّحيحِ عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه**»(٢)؛ أي: صُورَةِ آدَمَ الَّتِي خَلَقَه عَلَيهَا، ولَم يَخْلُقْه فِي صُورَةِ القِرْدِ، ثُمَّ بَعدَ ذَلِك النُّشوءِ والتَّطَوُّرِ والارتِقَاءِ صارَ إِلَىٰ هَذِه الصُّورَةِ المَوجُودِ عَلَيها بَنُو آدَمَ اليَومَ».

والجَوابُ: أن يُقالَ:

أَمَّا مَقالَةُ دَارْوِين فَهِي كُفْرٌ صَرِيحٌ لِمَا فِيهَا مِن التَّكذِيبِ بِمَا أَخبَرَ الله به عَن

---

(١) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١/ ٤١) (٢٣) وغيره عن الحسن به.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٦١٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَلْقِهِ لآدَمَ مِن طِينٍ، وأنَّ الله تَعالَىٰ خلَقه بِيَدَيْه، ونَفَخ فِيهِ مِن رُوحِه، وأَمَر المَلائِكَة بالسُّجودِ لَهُ، وهَذِه فَضائِلُ عَظِيمَةٌ خَصَّ الله بِهَا آدَمَ دُونَ سائِرِ المَخلُوقاتِ.

وفِي هَذِه المَقالَةِ الخَبِيثَةِ -أيضًا- أَعظَمُ عُقوقٍ لآدَمَ أَبِي البَشَر؛ حَيثُ جَعَلُوه ناشِئًا مِن القِرَدَة الَّتِي هي مِن أَخبَثِ الحَيَواناتِ وأَشوَهِها خَلقًا.

ولا تَسْتَغْرِبْ هَذِه المَقالَةَ الخَبِيثَةَ وأَمثالَها مِن مَقالاتِ الكُفرِ من مَلاحِدَة الإِفرِنْجِ وأَشباهِهِم من أَعداءِ الله تَعالَىٰ، وإِنَّمَا المُستَغْرَبُ تَلَقِّيها بالقَبُول مِن كَثيرٍ من المُنتَسِبين إِلَىٰ الإِسلامِ، ومِنهُم مَن يَنتَسِب إِلَىٰ العِلمِ، وقَد رَأَيتُ مَعنَاها مَنشُورًا فِي بَعضِ صُحُف المُسلِمين الرَّائِجَة عِندَهُم، ومَا رَأَيتُ أَحَدًا أَنكر ذَلِك عَلَيهِم، فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله العَلِيِّ العَظيمِ.

وإِنَّما يَقُول بِهَذِه المَقالَةِ الخَبِيثَةِ مَن يُنكِر وُجودَ الصَّانِع، ويَرَىٰ أَنَّ المَخلُوقاتِ إِنَّما تَكوَّنَت مِن قِبَلِ الطَّبِيعَة لا بِفِعْلِ الرَّبِّ الفَاعِلِ المُختارِ الَّذِي أَوجَدَ جَمِيعَ المَخلُوقاتِ مِن العَدَم وصَوَّرَها عَلَىٰ غَيرِ مِثالٍ سبَق، قَال الله تَعالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقَالَ تَعالَىٰ مُخبِرًا عن مُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وفِي هَذِه الآياتِ رَدٌّ عَلَىٰ مَلاحِدَة الإِفرِنْجِ ومَن يُقَلِّدُهم مِن طَغَامِ المُسلِمين

فيما يَزعُمُونه مِن النُّشوءِ والتَّطَوُّر والارتِقَاء، والآياتُ فِي الرَّدِّ عَليهِم كَثِيرَة وفِيمَا ذَكَرْتُه هَاهُنا كِفايَةٌ.

وفِي الحَدِيث الصَّحيحِ عن أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ؛ فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ والأَبْيَضُ وَالأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ**». رَواهُ الإِمَام أَحمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ وابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه» والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» والبَيهَقِيُّ فِي «سُنَنِه» وقَالَ التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن صَحِيح» وصَحَّحه الحاكِمُ ووافَقَه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(١).

وفِي هَذَا الحَدِيثِ رَدٌّ عَلَىٰ مَن قَال بالنُّشوءِ والتَّطَوُّر والارتِقَاءِ فِي بَنِي آدَمَ.

وأمَّا تَأوِيلُ المُصنِّف لِقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعالَىٰ خَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**» **بقَولِه: «أَي صُورَة آدَمَ الَّتِي خَلَقَه عَلَيها»**: فَهُو تَأوِيلٌ بَاطِلٌ مَردُودٌ، وهُوَ من أَقوالِ الجَهمِيَّة؛ نصَّ عَلَىٰ ذَلِك الإِمَامُ أَحمَدُ -رَحِمَه الله تَعالَىٰ- فِي رِوَايَة أَبِي طَالِبٍ عَنهُ.

قَال أَبُو جعفَرٍ مُحمَّدُ بنُ عليٍّ الجُرجَانِيُّ المَعرُوفُ بحمدَانَ: «سَأَلتُ أَبَا ثَورٍ عن قَولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**» فقَالَ: عَلَىٰ صُورَة آدَمَ، وكَان هَذَا بَعدَ ضَرْبِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ والمِحنَةِ، فقُلتُ لأَبِي طالِبٍ: قُلْ لأَبِي عَبدِ الله،

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠) (١٩٥٩٧)، وأبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٢٩) (٦١٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨٨) (٣٠٣٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٩) (١٧٧٠٨) وغيرهم من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٠).

فقَالَ لي أَبُو طالِبٍ: قَال لي أَبُو عَبدِ الله: صَحَّ الأَمرُ عَلَىٰ أَبِي ثَورٍ؟ مَن قَال: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة آدَمَ فَهُو جهمِيٌّ، وأَيُّ صُورَةٍ كانَت لآدَمَ قَبلَ أَنْ يَخْلُقَه؟!»[١].

وقال زَكَرِيَّا بنُ الفَرَجِ: «سَأَلْتُ عَبدَ الوَهَّابِ -يَعنِي: الوَرَّاقَ- غَيرَ مَرَّةٍ عن أَبِي ثَورٍ؛ فأَخبَرَنِي أنَّ أَبَا ثَورٍ جَهمِيٌّ، وذَلِكَ أَنَّه قَطَع بِقَولِ أَبِي يَعقُوبَ الشَّعرانِيِّ، حَكَىٰ: أَنَّه سَأَل أبا ثَورٍ عن خَلقِ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه فقَالَ: إنَّما هُوَ صُورَةِ آدَمَ لَيسَ هُوَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحمَنِ.

قَال زَكَرِّيا: فقُلتُ بَعدَ ذَلِك لعَبدِ الوَهَّابِ: ما تَقُول فِي أَبِي ثَورٍ؟ فقَالَ: ما أَدِينُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ إلَّا بقَولِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ: يُهجَرُ أَبُو ثَورٍ ومَن قَال بقَولِه.

قَال زَكَرِيَّا: وقُلتُ لعَبدِ الوَهَّاب مرَّةً أُخرَىٰ وقَد تَكَلَّم قَومٌ فِي هَذِه المَسأَلَة -خَلْقِ اللهِ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِه-؛ فقَالَ: مَن لَم يَقُلْ: إنَّ اللهَ خَلَق آدَمَ عَلَىٰ صُورَة الرَّحمَن فَهُوَ جَهمِيٌّ»[٢].

وقد قَال عَبدُ الله ابنُ الإمَامِ أَحمَدَ فِي كتاب «السُّنَّة»: حدَّثَني أَبُو بَكرٍ الصَّاغَانِيُّ، حدَّثَنا أَبُو الأَسوَد -وهُوَ النَّضرُ بنُ عَبدِ الجَبَّار-، حَدَّثنا ابنُ لَهِيعَة، عن أَبِي يُونُس -وهُوَ سُلَيم بنُ جُبَير السَّدُوسِيُّ مَولَىٰ أَبِي هُرَيرَة- عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّمَا صُورَةُ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَنِ**». ابنُ لَهِيعَةَ ضَعَّفَه بَعضُ الأَئِمَّة، وحَسَّن بَعضُهم

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٩)، و«الإبانة الكبرىٰ» (٧/ ٢٦٦) (١٩٨).

(٢) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢١٢).

حَدِيثَه، ورَوَىٰ له مُسلِم مَقرُونًا بآخَر، وبَقِيَّة رِجالِهِ ثِقاتٌ(١).

وقَال أَبُو بَكرٍ الآجُرِّيُّ فِي كِتابِ «الشَّرِيعَة»: أَخبَرَنا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ الله بنُ صَالِحٍ البُخارِيُّ قَال: حَدَّثَنا إِسحاقُ بنُ إِبراهِيمَ المَروَزِيُّ قَال: حدَّثَنا جَرِيرُ بنُ عَبدِ الحَمِيدِ، عن الأَعمَشِ، عن حَبيبِ بن أَبِي ثابِتٍ، عن عَطاءٍ، عن ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ** عَزَّ وَجَلَّ». إِسنادُه صَحِيحٌ؛ أَبو مُحَمَّدٍ عَبدُ الله بنُ صَالِحٍ البُخارِيُّ قَال فِيهِ أَبُو عليٍّ الحافِظُ: ثِقَةٌ مَأمُونٌ، وقَالَ أَبُو بَكرٍ الإِسمَاعِيلِيُّ: ثِقَة ثَبْتٌ، وقَالَ أَبُو الحَسَن بنُ المُنادِي: «هُوَ أَحَدُ الثِّقاتِ والصلاحِ والفَهمِ لِمَا يُحَدِّث به»، وبَقِيَّة رِجَالِه رِجالُ الصَّحيحِ(٢).

قَال أَبُو بَكرٍ الآجُرِّي: «هَذِه من السُّنن الَّتِي يَجِب عَلَىٰ المُسلِمين الإِيمانُ بِها، ولا يُقَال فِيهَا: كَيفَ ولِمَ؟ بَل تُستَقبَلُ بالتَّسليمِ والتَّصديقِ وتَرْكِ النَّظَر، كَمَا قَال مَن تَقَدَّم مِن أَئِمَّة المُسلِمين.

حدَّثَنا أَبو نَصرٍ مُحَمَّد بنُ كُرْدِيٍّ قال: حدَّثَنا أَبو بَكرٍ المَرُّوذِيُّ قَال: سَأَلتُ أَبَا عَبدِ الله أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الأَحاديثِ الَّتِي تَرُدُّها الجَهمِيَّة فِي الصِّفاتِ والأَسماءِ والرُّؤيَة وقِصَّةِ العَرشِ، فصَحَّحَها وقَال: تَلَقَّتْها العُلَماء بالقَبُول، تُسَلَّم الأُخبارُ كَمَا جاءَت.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٣٦) (١٢٤٣) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني: «منكر». انظر: «الضعيفة» (١١٧٥).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٣/ ١١٥٢) (٧٢٥) وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١١٧٦).

وقَال أَبُو بَكرٍ المَرُّوذِيُّ: وأَرسَل أَبُو بَكرٍ وعُثمَان ابْنَا أَبِي شَيبَة إِلَىٰ أَبِي عَبدِ الله يَستَأذِنَانِه فِي أن يُحَدِّثا بِهَذِه الأَحادِيثِ الَّتِي تَرُدُّها الجَهمِيَّة، فقَالَ أَبُو عَبدِ الله: حَدِّثُوا بِهَا؛ فَقَد تَلَقَّتْها العُلَماء بالقَبولِ. وقَال أَبُو عَبدِ الله: تُسَلَّم الأَخبارُ كما جاءَت.

قَال مُحَمَّد بنُ الحُسَينِ الآجُرِّيُّ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ الله الزُّبَيرِيَّ وقَد سُئِل عن مَعنَىٰ هَذَا الحَدِيث؛ فذَكَر مِثلَ ما قِيلَ فِيه، ثُمَّ قَال أَبُو عَبدِ الله: نُؤمِنُ بِهَذِه الأَخبارِ الَّتِي جَاءَت كَمَا جَاءَت، ونُؤمِنُ بِها إيمانًا وَلَا نَقُولُ: كَيفَ، وَلَكِنْ نَنتَهِي فِي ذَلِك إِلَىٰ حَيثُ انتُهِيَ بِنا؛ فنَقُول فِي ذَلِكَ ما جَاءَت به الأَخبارُ كَمَا جَاءَت»[1].

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (١١٣) وصَفحَة (١١٤):

ذَكَر المُصنِّف عَداوَة المُستَشرِقِين للإِسلامِ، وشِدَّةَ بَحثِهِم عن الطُّرُق المُوصلَة إِلَىٰ القَضاءِ عَلَيهِ وإِفسادِه، واتِّفاقَ الدُّولِ الكافِرَةِ عَلَىٰ ذَلِك، وإِنفاقَهُم الأَموالَ الباهِظَة عَلَيه.

قَال: «ومَعَ ذَلِك فَهُم أَشَدُّ النَّاس خِدمَة للصُّوفِيَّة وتَعظِيمًا لَهُم، واحتِرَامًا لأَضرِحَة الأَولِياءِ وإِقامَةِ المَوالِد الَّتِي تُقام لَهُم كُلَّ سَنَة، حتَّىٰ إِنَّهُم هُم الَّذِين يُنفِقُون عَلَيهم فِي بَعضِ الأَحيانِ، ويُشَجِّعون القَبائِلَ عَلَىٰ إِقامَتِها بحُضورِ الرُّؤسَاءِ مِنهُم وغَيرِ ذَلِكَ، مَع ما فِيهِ من المَظاهِرِ الإِسلامِيَّة والتَّآلُف والاجتِمَاع والتَّعارُف الَّذِي يَحصُل بَينَهم بسَبَبِها، وهُوَ الَّذِي يُحارِبُونه بمَكَّة ويَسعَوْن فِي القَضاءِ عَلَيهِ».

(١) انظر: «الشريعة» (٣/ ١١٥٢).

والجَوابُ عن هَذَا من وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنَّ تَعظِيمَ الأَضرِحَة وإِقامَة المَوالِد للصُّوفِيَّة لَيسَ هُوَ من المَظاهِر الإِسلامِيَّة، وإِنَّما هُوَ من مَظاهِر الوَثَنِيَّة والبِدَع المُضِلَّة، وهَل وقَع الشِّركُ وعِبادَةُ القُبورِ قَدِيمًا وحَدِيثا إِلَّا بسَبَب الغُلُوِّ فِي الأَولِياءِ أو مَن تُظَنُّ الوِلايَةُ فِيه، والعُكوفِ عَلَىٰ قبُورِهِم وتَعظِيمِها بالبِناءِ والكِتابَة عَلَيها والتَّمَسُّح بِها واتِّخاذِها مَساجِدَ.. وغَيرِ ذَلِك مِمَّا نَهَىٰ عنه الشَّرعُ المُطَهَّر؟!

الوَجهُ الثَّانِي: مِن عَجِيبِ أَمرِ المُصنِّف وقَبيحِ جَهلِهِ قَولُه عن احتِرَامِ أَضرِحَة الأَولِياءِ وإِقامَة المَوالِد للصُّوفِيَّة: إنَّ فِيهِ أَعظَمَ تَأيِيدٍ للدِّينِ، وهَذَا مِن قَلْبه للحَقِيقَة؛ فإنَّ هَذِه الأُمورَ مِن أَعظَمِ هَوادِمِ الدِّين، كَما لا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَن له أَدنَىٰ عِلمٍ وفَهمٍ.

وهَذَا مَولِدُ البَدَوِيِّ الَّذِي تُقِيمُه الصُّوفِيَّة وأَمثالُهُم من الطَّغامِ فِي كُلِّ عامٍ، ويَحضُرُه مِئاتُ الأُلوفِ من النَّاس الَّذين لا يَسمَعُون ولا يَعقِلُون، إنْ هُم إِلَّا كالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبيلًا مِن الأَنعامِ، ويَحصُل فِيهِ من أَنواعِ الشِّركِ والبِدَع والمُنكَراتِ العَظِيمَة ما لا يُعَدُّ ولا يُحصَىٰ، هَل يَقُول مُسلِم: إنَّه من المَظاهِر الإِسلامِيَّة، وإنَّ فِيهِ تأييدًا للدِّين؟ كَلَّا؛ لا يَقُول هَذَا مُسلِم، وإِنَّما يَقُولُه مَن طَبَع الله عَلَىٰ قَلبِه فصَارَ يَرَىٰ الحَقَّ فِي صُورَة البَاطِلِ والبَاطِلَ فِي صُورَة الحقِّ، عِياذًا بالله مِن رَينِ الذُّنوبِ وانتِكاسِ القُلوبِ.

الوَجهُ الثَّالِث: أنَّ خِدمَة الإِفرِنْج للصُّوفِيَّة وتَعظِيمَهم لَهُم لَيسَ هُوَ من أَجلِ تَمَسُّك الصُّوفِيَّة بدِينِ الإِسلامِ كَمَا قد تَوَهَّمَه المُصنِّف، وإِنَّما ذَلِك لِمَا بَينَهم وبَينَ الصُّوفِيَّة من المُناسَبَة والمُشاكَلَة فِي الغُلُوِّ فِي المَخلُوقِين والبُعدِ عن الدِّينِ الصَّحيحِ.

فأَمَّا الإِفرنجُ: فلا يَخفَىٰ ما هُم عَلَيهِ من الغُلُوِّ فِي المَسيحِ وأُمِّه والحَوارِيِّين وغَيرِهم من القِدِّيسِين عِندَهم؛ حتَّىٰ اتَّخَذوا المَسِيحَ وأُمَّه إِلَهَيْنِ مِن دُونِ الله!

وأَمَّا الصُّوفِيَّة: فلا يَخفَىٰ ما هُم عَلَيهِ من الافتِتَانِ بالبَدَوِيِّ وغَيرِه مِن المُعتَقَدِين عِندَهم، حتَّىٰ اتَّخَذوهُم آلِهَةً مِن دُونِ الله، يَفزَعُون إِلَيهِم فِي قَضاءِ الحاجَاتِ وتَفريجِ الكُرُبات وإِغاثَة اللَّهَفاتِ، ويُسَمُّون البَدَوِيَّ قُطبَ الأَقطابِ والغَوثَ الَّذِي يَتصَرَّف فِي الكَونِ ويُدَبِّر فِيه! ومَن كانَت هَذِه حَالَهم فلا تَستَغْرِبْ خِدْمَة أَشباهِهِم لَهُم وتَعظِيمَهُم إِيَّاهُم.

وأيضًا: فإِنَّ المُستَشرِقِين مِن عُلَماء الإِفرِنج لا تَخفَىٰ عَلَيهِم مُخالَفَة الصُّوفِيَّة لِدِين الإِسلامِ وبُعدُهم عنه، فَهُم لِذَلِك يخَدُمُون الصُّوفِيَّة ويُعظِّمونَهم، ويُقِيمون لَهُم المَوالِد ويُنفِقُون الأَموالَ الكَثِيرَة فِيهَا ويُشَجِّعُونَهُم عَلَيها، يُرِيدون بذَلِك إِظهارَ الوَثَنِيَّة والبِدَع وأَنواعَ المُنكَرات، وتَوهِينَ الإِسلامِ والقَضاءَ عَلَيهِ، كما قَال الله تَعالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

الوَجهُ الرَّابِعُ: أَنَّ أَعظَم المَظاهِر الإِسلامِيَّة أَركانُ الإِسلامِ الخَمسَة، والأَمرُ بالمَعرُوفِ والنَّهيُ عن المُنكَرِ، والجِهادُ فِي سَبيلِ الله، ولُزومُ طاعَةِ الله تَعالَىٰ وطاعَةِ رَسُولِه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ شَيءٍ.

ولَم يَكُن المُستَشرِقُون يُشَجِّعون المُسلِمين عَلَىٰ هَذِه الأمورِ؛ لأَنَّها مِن أَبغَضِ الأَشياءِ إِلَيهِم، وإِنَّما كَانُوا يُشَجِّعون الطَّغَام عَلَىٰ ما يُخالِف الإِسلامَ ويَهدِمُه؛ من أَنواعِ الشِّركِ والبِدَع والمَعاصِي.

الوَجهُ الخَامِسُ: مِن أَعظَمِ فَضائِلِ النَّجدِيِّين وأَكبَرِ مَناقِبِهم مُحارَبَتُهم للمَظاهِرِ الوَثَنِيَّة والبِدَعِ، وسَعيُهم فِي القَضاءِ عَلَيها، وهَذَا المُصنِّفُ المِسكِينُ قد ذَكَر أَنَّهُم يُحارِبُون إِقامَةَ المَوالِدِ بمَكَّة ويَسعَوْن فِي القَضاءِ عَلَيها، يُرِيد بذَلِك ذَمَّهَم وعَيبَهُم، ولا يَدرِي أَنَّه فِي الحَقِيقَة مادِحٌ لَهُم ومُثْنٍ عَلَيهِم بقَمْعِ البِدَع والمُحدَثاتِ الَّتِي حَذَّر مِنهَا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وأَخبَرَ أَنَّها ضَلالَةٌ.

ولَمَّا كان الشَّيخُ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّاب وأَتباعُه أَهلَ تَوحيدٍ وسُنَّة ومُحارَبَةٍ لأَهلِ الشِّركِ والبِدَع؛ كان هَذَا الصُّوفِيُّ المَفتُونُ بالمَظاهِر الوَثَنِيَّة والبِدَعِ المُضِلَّة يَشُنُّ الغارَةَ عَلَيهِم بالإِفكِ والبُهتانِ؛ فيَقُول عَن ظُهورِ الشَّيخِ مُحَمَّدٍ وتَجدِيدِه للدِّين: إِنَّ ذَلِك هُوَ طُلُوعُ قَرنِ الشَّيطانِ فِي نَجدٍ! ويَقُول عن نَشرِ الشَّيخِ للتَّوحيدِ والسُّنَّة: إِنَّ ذَلِك هُوَ نَشرُ الفِتنَة! ويُسَمِّي النَّجدِيِّين بالقَرنِيِّين! ويَقُول: إِنَّهُم يُبغِضُون الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وإِنَّهم يُحارِبُون المَدِينَة ويَسعَوْن فِي القَضاءِ عَلَيها! وإِنَّهم أَعداءُ أَهلِ المَدِينَة! وإِنَّهُم يُضَيِّقُون عَلَيهِم ويُعامِلُونَهُم بما يَحمِلُهم عَلَىٰ مُفارَقَتِها والخُروجِ مِنها لِتَخْرَبَ!

وما يَنقِمُ هَذَا الصُّوفِيُّ مِنهُم إِلَّا أَنَّهُم يُنكِرُون ما هُوَ مَفتُون به هُوَ وشِيعَتُه الصُّوفِيَّةُ من المَظاهِر الوَثَنِيَّة والبِدَعِ المُضِلَّةِ.

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (١٢٤):

زَعَم المُصنِّف أَنَّ إِجابَةَ الدُّعاءِ قَد رُفِعَت إِلَّا فِي رَمَضانَ، وعِندَ الكَعبَة، وعَرَفاتٍ، ثُمَّ رُفِعَت مُطلَقًا.

والجَوابُ: أن يُقالَ:

هَذَا القَولُ خَطَأٌ ظاهِرٌ ورَجمٌ بالغَيبِ، ومِن أَينَ له العِلمُ بردِّ الدَّاعِين كُلِّهم وعَدَم إجابَتِهم؟! ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥].

ولَم يَزَل المُسلِمون -ولِلَّه الحَمدُ- يَرَون إجابَة الدُّعاءِ للجَماعَاتِ والأَفرادِ، فَمَا زَعَمه المُصنِّف مِن رَفْعِ الإجابَةِ مَردُودٌ عَلَيهِ.

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (١٢٧):

سَمَّىٰ المُصنِّف النَّجدِيِّين بالقَرنِيِّين، وزَعَم أنَّهم أَعداءُ أهلِ المَدِينَة، وأنَّهم يُضَيِّقُون عَلَيهم، ويُعامِلُونَهم بِمَا يَحمِلُهم عَلَىٰ مُفارَقَتها والخُروجِ مِنهَا لِتَخْرَبَ!

والجَوابُ: أن يُقالَ:

هَذَا مِنَ الكَذِب والبُهتانِ، كَمَا لا يَخفَىٰ عَلَىٰ مَن رَأَىٰ المَدِينَة وأَهلَهَا فِي هَذِه الأَزمانِ، وقد تَقَدَّم الجَوابُ عن هَذَا البُهتانِ فِي أَثناءِ الكِتَابِ صفحة (٧٩ فما بَعدُ)(١) فليُراجَعْ.

فَصلٌ

وفِي صَفحَة (١٣١):

جَزَم المُصنِّف أنَّ عُلَماء الوَقتِ هُم شَرٌّ مَن تَحتَ أَدِيم السَّماءِ!

(١) انظر في هذه الطبعة: (ص١٥٩ وما بعدها).

والجَوابُ: أن يُقالَ:

هَذَا الإطلاقُ خَطَأ ورَجمٌ بالغَيبِ، ومِن أَينَ له العِلمُ بأَحوالِ العُلَماء كُلِّهم حتَّىٰ يَحكُم عَلَيهِم بأَنَّهُم شَرٌّ مَن تَحتَ أَديمِ السَّماءِ؟! ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨].

والحَقُّ: أنَّ العُلَماء لَيسُوا كُلُّهم مَذمُومِين؛ لأنَّهُم لم يَكُونُوا عَلَىٰ طَرِيقَة واحِدَةٍ، بل مِنهُم المُحسِنُون المُستَحِقُّون للثَّناءِ والمَدحِ، ومِنهُم المُسِيئُون المُستَحِقُّون للذَّمِّ والقَدحِ.

وقد ثَبَت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أو خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ**». رَواهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثَةَ عَشَر من الصَّحابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكُلُّها أَحادِيثُ صَحِيحَةٌ(١).

والمُرَادُ بالطَّائِفَة المَنصُورة أَهلُ السُّنَّة والجَماعة.

وجَزَم البُخارِيُّ فِي «صَحيحِه»(٢) أَنَّهُم أَهلُ العِلمِ.

وقَالَ ابنُ المُبارَك وابنُ المَدينِيِّ وأَحمَدُ بنُ سِنانَ وابنُ حِبَّان: «هُم أَصحَابُ الحَدِيث».

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) وغيرهما من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي الباب عن المغيرة بن شعبة، وثوبان، وعقبة بن عامر، وقرة المزني، وأبي أمامة، وعمران بن حصين، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وانظر: «الصحيحة» (١/ ٥٤٠- ٥٤٢).

(٢) (٩/ ١٠٧).

وقَالَ يَزِيدُ بنُ هَارُون وأَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: «إن لَم يَكُونُوا أَهلَ الحَدِيثِ فلا أَدرِي مَن هُم؟».

قَال القاضِي عِياضٌ: «إنَّما أَرادَ أَهلَ السُّنَّة والجَماعَة ومَن يَعتَقِد مَذهَبَ أَهلِ الحَدِيث». انتَهَىٰ.

وفِي هَذِه الأَحادِيثِ رَدٌّ لِمَا جَزَم به المُصنِّفُ فِي عُلماءِ الوَقتِ؛ لأنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة لم تنقَطِع مِن الأَرضِ ولا تَنقَطِع مِنهَا حتَّىٰ يَأتِيَ أَمرُ الله تَعالَىٰ بِهُبوبِ الرِّيحِ الطَّيِّبَة الَّتِي تَقبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤمِنٍ.

وإذا كانَت الطَّائِفَة المَنصُورة باقِيَةً إِلَىٰ الآنَ فلابُدَّ أن يَكُون فِيهَا عُلمَاءُ صَالِحونَ مُصلِحُون لِمَا أَفسَدَ النَّاسُ، وأُولَئِكَ مِن خَيرِ مَن تَحتَ أَديمِ السَّماءِ، لا كَمَا يَقُول المُصنِّف: إنَّهُم شَرُّ مَن تَحتَ أَديمِ السَّماءِ!

فَصلٌ

وقَال المُصنِّف فِي صَفحَة (١٣٧) ما نَصُّه:

«فَلَو طَافَ المَرءُ أَقطارَ الأَرضِ لَمَا وَجَد مَن يُفتِيه بسُنَّة أَصلًا».

والجَوابُ: أن يُقَال:

هَذَا القَول خَطَأٌ ظاهِرٌ؛ فإنَّ الأَرضَ لم تَخْلُ مِن قائِمٍ لِلَّه بحُجَّة، ولا تَخلُو ما دَامَت الطَّائِفَة المَنصُورَة مَوجُودَةً.

وكِبارُ العُلَماء عِندَنا فِي الجَزِيرَة العَرَبِيَّة لا يَعدِلُون عن الفُتْيا بالكِتَابِ والسُّنَّة، وإِذَا عَدِموا الدَّلِيلَ من الكِتَابِ والسُّنَّة رَجَعوا إِلَىٰ أَقوالِ الصَّحابَة، وبَعد ذَلِك إِلَىٰ أَقوالِ التَّابِعِين وأَئِمَّة العُلَماءِ.

فصل

وفي صفحة (١٣٨):

ذكر المصنف قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

ثُمَّ قَال ما نَصُّه: «وتَحَدُّثًا بنِعمَة الله عَلَينا نَقُول: إنَّنا مِن تِلكَ الطَّائِفَة والحَمدُ لِلَّه، وبِنَا وبأَمثالِنَا يَندَفِعُ الضَّلالُ عن هَذِه الأُمَّة، ويَتَحَقَّق ما أَخبَرَ به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أنَّ أُمَّتَه لا تَجتَمِع عَلَىٰ ضَلالَةٍ، وأَنَّها لا تَزالُ بِها طائِفَةٌ قائِمَةً بالحَقِّ عامِلَةً به إِلَىٰ أن يَأتِيَ أمرُ الله وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ.

بل لا نُبالِغ إِذَا قُلنَا: قَد وَرَدت الإِشارَةُ إِلَينا والحَمدُ لله تَعالَىٰ عَلَىٰ فَضْلِه ومِنَّتِه؛ وذَلِكَ فيما رَواهُ ابنُ وضَّاحٍ وغَيرُه من حَدِيثِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ظَهَرَتْ فِيكُمُ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ، وَجَاهَدُوا فِي غَيْرِ سَبِيلِ اللهِ؛ فَالْقَائِمُونَ يَوْمَئِذٍ بِكِتَابِ اللهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً كَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ**»(١).

فلَيسَ فِي مَغرِبِنا بَل ولا فِي الشَّمالِ الإِفرِيقِيِّ قائمًا بكِتابِ الله داعيًا إِلَيهِ سِرًّا وعَلانِيَة، مُحارَبًا ومُخالَفًا من المُقَلِّدَة الَّذين هُم أَكثَرُ أَهلِ الأَرضِ غَيرُنا.

والجَوابُ: أَن يُقالَ:

هَذِه دَعوَىٰ المُصنِّفِ لنَفسِه وتَزكِيَتُه لَها، والله أَعلَم هل هُوَ عِندَ الله كَذَلِكَ أم

---

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٧/ ٨٠) (٢٦٣١)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٢/ ١٥١) (٢٢٠) وغيرهما من حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيف.

لا؟ وقَد قَال الله تَعالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقَد ذَكَرْتُ عَنهُ كَثيرًا ممَّا يُخالِف ما عَلَيهِ الطَّائِفَة المَنصُورة، ولاسِيَّما تَفسِيرُه لجُملَةِ آياتٍ من القُرآنِ بمُجَرَّدِ رَأيِهِ، وقَولُه عَلَىٰ الله وعلىٰ رَسُولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بغَيرِ عِلمٍ، وكَذَلِكَ استِحلَالُه للكَذِب والبُهتانِ عَلَىٰ أَهلِ نَجدٍ وعَيبُهم بِمَا لَيس فِيهِم، والكَذِب من النِّفاقِ، وسِبابُ المُسلِم فُسوقٌ، وكَذَلِكَ تَعظِيمُه للمَظاهِر الوَثَنِيَّة والبِدَع الَّتِي تُقِيمُها الصُّوفِيَّة فِي المَوالِدِ، وكَذَلِكَ استِرسَالُه فِي اللَّعنِ والشَّتائِم، وكَذَلِكَ تَقرِيرُه لمَذهَب الجَهمِيَّة فِي قَول النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَعالَىٰ خَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**»... إِلَىٰ غَيرِ ذَلِك مِمَّا ذَكَرْتُه عَنهُ فِيمَا تَقَدَّم، فَلْيُراجِعْ ذَلِك ولْيُقَارِنْ بَينَه وبَينَ ما ادَّعاهُ لنَفسِه من مَرتَبَة الكَمالِ! فمَا أَبعَدَها دَعوىٰ مِن الصِّحَّةِ!

فَصلٌ

وقَد صَدَّر المُصنِّف كَثيرًا مِن عَناوِينِ كِتَابه بقَولِه: «إِخبارُه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بكَذَا وكَذَا» بصِيغَة الجَزمِ بأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَخبَرَ بذَلِك، وهُوَ لم يَرِدْ صَرِيحًا عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وهَذَا مِن القَولِ عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بما لم يَقُلْه، وقَد تَواتَرَت الأَحادِيثُ بالوَعيدِ الشَّديدِ لِمَن قَال عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ما لم يَقُلْه(١)،

---

(١) رواه البخاري (١٠٩) وغيره من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنهُ بلفظ: «**من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**». وفي الباب عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وأبي عبيدة، وأنس، وجابر، وزيد بن أرقم، وابن مسعود، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة، وأبي

ولَيسَ هَذَا مَوضُوعَ ذِكْرِها.

فَصلٌ

وقَد أَكثَر المُصنِّف من اللَّعنِ والشَّتْمِ فِي كِتَابِه الَّذِي رَدَدْنا عَلَيهِ فيه، ورُبَّما فَعَل ذَلِك فِي حقِّ أُناسٍ مُعَيَّنِين.

ولا يَجوزُ لَعنُ المُعَيَّن ولو كَانَ كافِرًا، إلَّا إِذَا تَحقَّق أنَّه ماتَ عَلَىٰ الكُفرِ؛ فأمَّا إِذا كان حَيًّا فإِنَّه يُرجَىٰ له الإِسلامُ فيُدعَىٰ له بالهِدايَة ولا يُدعَىٰ عَلَيهِ بالطَّردِ والإِبعادِ من رَحمَة الله.

ولمَّا لَعَن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُناسًا مُعَيَّنين مِن رُؤَساءِ الكُفَّار يومَ أُحُد، أنزل الله عَلَيهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ثُمَّ تابَ الله عَلَيهِم فأَسلَمُوا وحَسُن إِسلامُهُم، والحَدِيث بذَلِك فِي «صَحيحِ البُخارِيِّ» و«مُسنَد الإِمَام أَحمَد» وغَيرِهِما من حَدِيث ابنِ عُمَر[(١)] وأَبِي هُرَيرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)].

فأَمَّا لَعنُ أَهلِ المَعاصِي عَلَىٰ سَبيلِ العُمومِ فجائِزٌ، وهُوَ كَثيرٌ فِي الكِتَابِ والسُّنَّة.

وقَد وَرَد النَّهيُ عن اللَّعنِ والسَّبِّ فِي أَحادِيثَ كَثِيرَةٍ لَيسَ هَذَا مَوضِعَ ذِكْرِهَا.

= هريرة، وأبي سعيد الخدري وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. وانظر: «طرق حديث من كذب علي متعمدًا» للطبراني.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٩)، وأحمد (٢/ ٩٣) (٥٦٧٤) وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٠)، وأحمد (٢/ ٢٥٥) (٧٤٥٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ورَوَىٰ الإمَام أَحمَد ومُسلِمٌ وأبو دَاوُد عن أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

ورَوَىٰ الإمَامُ أَحمَدُ -أيضًا- والتِّرمِذِيُّ وابنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه» والحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» والبَيهَقِيُّ فِي «شُعَب الإيمان» عن عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ الْمُؤمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن غَرِيب»، قَال الحاكِمُ: «عَلَىٰ شَرطِ الشَّيخَينِ» وأقَرَّه الذَّهبِيُّ فِي «تَلخِيصِه»(٢).

ورَوَىٰ التِّرمِذِيُّ -أيضًا- عنِ ابنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَكُونُ المُؤمِنُ لَعَّانًا**». قَال التِّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَن غَرِيب».

ورَوَىٰ بَعضُهم هَذَا الحَدِيثَ بِهَذا الإسنادِ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**لا يَنْبَغِي لِلْمُؤمِنِ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**».

قُلْتُ: وقَد رَواهُ الحاكِمُ فِي «مُستَدرَكِه» بِهَذا اللَّفظِ، وفِي رِوايَة له «**لا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٨) (٢٧٥٦٩)، ومسلم (٢٥٩٨)، وأبو داود (٤٩٠٧) وغيرهم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤) (٣٨٣٩)، والترمذي (١٩٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٤٢١) (١٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧) (٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١٤٠) (٤٧٨٦) وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٩)، والحاكم في «المستدرك» =

ورَوَىٰ الإمَام أَحمَدُ والطَّبَرانِيُّ، عن جُرمُوزٍ الهُجَيْمِيِّ[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قُلتُ: يا رَسُول الله، أَوصِنِي! قَال: «**أُوصِيكَ أَلَّا تكُونَ لَعَّانًا**»[(٢)].

وهَذَا آخِرُ مَا تَيَسَّرَ إِيرَادُه.

والحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين، وصَلَّىٰ الله عَلَىٰ نَبِيِّنا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِه وأَصحَابه ومَن تَبِعَهم بِإِحسانٍ إِلَىٰ يومِ الدِّينِ وسَلَّم تَسلِيمًا كَثيرًا.

وقَد وَقَع الفَراغُ مِن تَسويدِ هَذَا الرَّدِّ فِي يَومِ الإِثنَينِ المُوافِقِ للعِشرِين من رَبيعٍ الأَوَّلِ سَنَة (١٣٨٥هـ).

ثُمَّ كَان الفَراغُ مِن كِتابةِ هَذِه النُّسخَة فِي يَومِ الثُّلاثَاء المُوافِقِ للسَّابع والعِشرِين مِن رَبيعٍ الآخَرِ من السَّنَة المَذكُورة، عَلَىٰ يَدِ جَامِعِه الفَقيرِ إِلَىٰ الله تَعالَىٰ حِمُودِ بنِ عَبدِ الله التُّويجِرِيِّ؛ غَفَر الله لَهُ ولِوَالِدَيهِ وللمُسلِمين والمُسلِماتِ، الأَحياءِ مِنهُم والأَمواتِ، والحَمدُ لله الَّذِي بنِعمَتِه تَتِمُّ الصَالِحاتُ.

=

(١/ ١١٠) (١٤٦)، وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٧٤).

(١) هو جرموز الهجيمي، وقيل: جرموز القريعي البصري، ونسبه ابن قانع فقال: «جرموز بن أوس بن عبد الله بن جرير بن عمرو بن أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم». له صحبة، روىٰ عنه أبو تميمة الهجيمي، وابنه الحارث، له حديث واحد، مخرجه عن أهل البصرة: أنه أتىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: عم تنهاني؟ فقال: «**أنهاك ألا تكون لعانًا**»، فما لعن شيئًا حتىٰ مات. انظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٧/ ٧٩)، و«معجم الصحابة» (١/ ٥٠٢)، و«الاستيعاب» (١/ ٢٧٤)، و«الإصابة» (١/ ٥٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٧٠) (٢٠٦٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٨٣) (٢١٨٠) وغيرهما من حديث جرموز الهجيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٩).

الفهرس

* * *